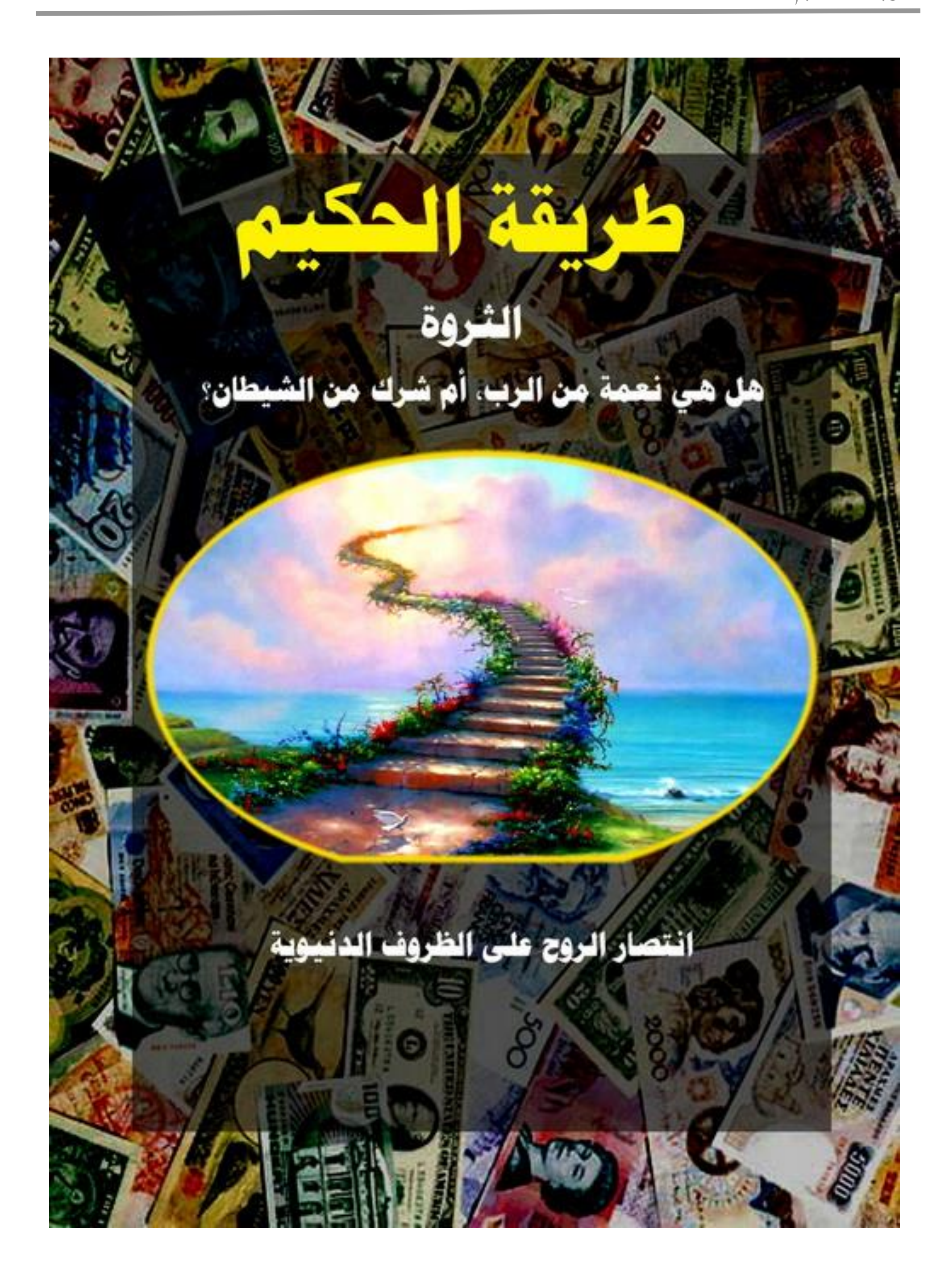

طريقة الحكيم
الثروة
هل هي نعمة من الرب، أم شرك من الشيطان؟
انتصار الروح على الظروف الدنيوية

طريقة الحكيم

الثـــروة

هل هي نعمة من الرب، أم شرك من الشيطان؟

انتصار الروح على الظروف الدنيوية

إعداد

علاء الحلبي

الفهرس

....

طواحين الإله تجرش ببطء

لكن منتوجها يكون ناعم جداً



هناك مقولة شعبية تعود أصولها إلى زمن قديم جداً، تقول: *".. طواحين الإله تجرش ببطء، لكن منتوجها يكون ناعم جداً.."*. يبدو أن هذه الفكرة تفتح الطريق إلى منظور منطقي معين بخصوص نمط الحياة التي نعيشها. أعتقد بأن كل فرد سيوافق على حقيقة أن الظروف الحالية في هذا العالم ليست سعيدة. هي ليست ممتعة أو هنيئة أو مبهجة، لكنها تمثل دون شك النتيجة الحتمية لعمل قانون السببية. لقد سببنا بظهور حالات معينة في المجتمع البشري، وعلينا أن ندفع حتماً ضريبة الأخطاء التي اقترفناها. الكثير من الأشخاص والذين لا يتمتعون بعقول فلسفية يتمسكون بوجهة النظر التي تقول بأن كل هذه الحالات الحاصلة هي سلسلة من الصدف العشوائية، هي تتجاوز السيطرة البشرية، هي تنتج من ظروف لا نفهمها وبالتالي نعجز عن تجنبها أو علاجها. هذا النوع من التفكير يجلب معه نوع معين من القدرية الجبرية، فيبدأ الصراع الأبدي بينها وبين المثالية التي طالما كانت حاضرة في الطبيعة الإنسانية. نحن نرغب دائماً في الإيمان بالخير، لكن بعد أن ننظر

حولنا لا نجد أي دلائل مباشرة على وجود الخير. نرى كل أنواع الانحرافات وندرك الأزمة الهائلة التي نواجهها اليوم في العلاقات الدولية، ونرغب في الظن بأننا الضحايا الأبرياء لعناية إلهية فظيعة ووحشية. البعض يحاولون حل المسألة بكاملها من خلال إنكار حقيقة وجود عامل العناية الإلهية أصلاً، يرغبون في التفكير بأن الإنسان يستطيع أن يفعل ما يرغبه. وما يفعله هو صائب، فقط لأنه يفعله. وأن الأخطاء ليست موجودة فعلياً إذا كان هناك ما يكفي من الناس الذين يعتقدون بأنها صائبة. كل هذه التوجهات الفكرية المختلفة لها تأثير محزن وكئيب على الحياة الخاصة للناس. جميعنا مهتمين بالظروف المحيطة بنا، ويبدو أن هذه الظروف تسوء حالتها يوماً بعد يوم، وهذا يجعلنا محكومون بخيبة الأمل والشعور بالعجز الكامل، فنبدأ بفقدان الإيمان بالإله الأعلى. ونبدأ بالتساؤل حول شمولية القوانين الإلهية ومدى قدرتها. نحن نعلم بأننا متورطون في مشكلة كبرى، الأمر واضح تماماً بالنسبة لنا، لكننا عاجزين عن التأقلم مع هذه الفكرة داخل طبيعتنا.

الكائنات البشرية هي كائنات فانية، أي أن الإنسان هو عابر مؤقت في هذا العالم. نحن زوار مؤقتين في هذا العالم المادي، نمضي فيه وقت محدود ثم نغادر، تاركين وراءنا الفوضى الدنيوية التي طالما أرهقتنا خلال وجودنا هنا. كل هذه العوامل الكئيبة والمشاهد البائسة، والهموم المتعلقة بالبيئة والتلوث والخوف المستمر من التسرّب النووي من المحطات الذرية وتلويث الهواء، والأزمة المستعصية في الشرق الأوسط، والنقص في مصادر النفط،.. كل هذه تبدو أنها حوادث تتراكم باستمرار، ويبدو أنها تمثل فوضى أساسية. لكن في الواقع، هذه الفوضى ليست أساسية أبداً. لا يوجد شيء في قوانين الطبيعة يشير إلى أن هذه المشاكل مفروض وجودها. هذه المشاكل موجودة ليس بسبب قوانين الطبيعة بل بسبب خرق تلك القوانين. لم يتعلم الفرد حتى الآن كيف يتماشى مع الخطة الكونية التي يمثل جزء منها. هو لازال يعتبر نفسه شخص يقف وحيداً وسط فوضى الحياة، ويعتبر الآخرين بنفس الطريقة التي يعتبر فيها نفسه. يراهم أشخاص يفعلون أشياء لا نحبها، يفعلون الأشياء لأذيتنا، وكنتيجة لذلك نعلق في نمط تفكير قصير المدى. وسوف يبدو لنا الأمر بأنه لو كنا نحن من يدير مجريات هذا الكون فسوف نديرها بشكل مختلف. لطالما خطرت هذه الفكرة للناس منذ البداية. يعتقدون بأنه لو أدار الإنسان مجريات الكون بطريقة مختلفة لما كنا متورطين بهذه المعضلة ونواجه هذا المأزق. من الواضح أن الفرد العادي لا يستطيع، بكل تأكيد، إجراء تصحيح على مستوى كوني لحالة الإنسان. من هذه المسألة يبرز استنتاج أن التكامل الأخلاقي يمثل مسألة شخصية بدرجة كبيرة، لكن عندما ينتشر عدم التكامل الأخلاقي بشكل واسع في الحضارة البشرية

سوف يتمكن من حل المشاكل التي نواجهها. لقد سمحنا على مدى القرن الماضي بإفساد معاييرنا الأخلاقية والأدبية بشكل عميق. والأمر الأكثر وقعاً هو أننا عهدنا مصيرنا إلى عامل واحد غير معصوم من الخطأ، وهو عامل الثروة.

نحن طموحين للكسب والحوزة. وخلال عملية الحيازة والكسب سمحنا لأنفسنا أن نفسد كل معيار أخلاقي كامن في داخلنا. لقد أهملنا الاستماع لصوت الضمير، وفشلنا في التعلم من حكمة العصور، كما فشلنا في الإلتزامات الروحية التي يمكن أن تحمينا، ***فوجدنا أنفسنا في النهاية عالقين بين الحجر العلوي والسفلي لطاحونة الإله***، وهذه في الحقيقة ليست وضعية ممتعة.

في الشرق، أي في الهند والصين عموماً، تكون النظرة تجاه كامل هذه الحالة السابقة مختلفة عن النظرة القائمة في الغرب (والشرق الأوسط). ربما قمنا بتطوير بعض الأوضاع بطريقة ما، لكن في العموم، قمنا بتجاهل فكرة السبب الجوهري خلف حياة الإنسان. ***نحن هنا لكي نخدم ونتعلم***. نحن هنا لكي نساعد بعضنا البعض، وليس لمساعدة أنفسنا على حساب بعضنا البعض. نحن هنا لكي نعمل معاً لتحقيق الخير العام، وليس لكي نضحي بالخير العام مقابل الطموحات الشخصية. في كل يوم نطلع فيه على الأخبار ونستمع على المعلقين المطلعين أو غير المطلعين أو المظللين، نخرج بنفس الإستنتاج الجوهري، وهو أن الغاية الرئيسية من الحضارة كما نعرفها اليوم هي المحافظة على مستوى عالي من نمط الحياة. إن مصطلح "نمط حياة" بالنسبة لنا يعني أن نحوز على كل ما نرغبه، يعني أن نستمر في الصرف المتهور والطائش للأموال، وأن نجمع ونراكم أكبر قدر ممكن من الأموال وبأي طريقة ممكنة حتى لو كان ذلك على حساب الآخرين. وهذا كله مناقض تماماً لقوانين السماء، كما يوصفها الصينيون. هذا يناقض الخطة الكونية التي لها غاياتها المختلفة. وهذه الغايات المختلفة مجموعة في النهاية ضمن غاية عظيمة واحدة، وهي خلاص كل شيء حيّ. من المفروض أن نعمل ساعيين إلى تحقيق عالم أفضل. من المفروض أن نكون مكرسين لتحقيق الكمال التدريجي لمجتمعاتنا.

كلمة حضارة تعني في الحقيقة: العيش في حالة لطيفة وأديبة ولبقة مع بعضنا البعض. يمكن اعتبار كلمة حضارة بأنها رديفة تقريباً لكلمة التعاون. لكننا قمنا بتغيير هذه الحالة وجعلنا الحضارة رديفة للمنافسة والصراع. كل حركة نقوم بها وسط تعاملاتنا السياسية العصرية يتم حسابها وفقاً للمصلحة

الشخصية أو الربح المادي أو التقدم الاقتصادي. لقد عززنا مسألة الثروة إلى أبعد الحدود الممكنة، مع أننا لا نفهم مترتبات هذا الوضع بشكل كامل وسليم، أو لم ندرك أن الثروة تمثل عامل خاطئ وحتى خطير. الثروة تمثل مسؤولية ثقيلة على الإنسانية. كامل حضارتنا الحالية، والتي هي صناعية بطبيعتها، تعتمد على عامل الثروة. إن استخدامها بطريقة حكيمة، وتوزيعها بطريقة سليمة، والتحكم بها بطريقة أخلاقية، تجعلها خادم مفيد للإنسانية. لكن عندما لا نولي أي اعتبار لهذه العوامل السابقة ونجعل جمع الثروة ممثلاً للغاية النهائية للوجود، سوف نبقى كما نحن الآن، في حالة فوضى وكارثة داخلية وخارجية.

علينا في البداية النظر إلى الفرد. لأن الفرد يحوز على حق إلهي لأن يعيش بطريقة جيدة. قد لا يعيش دائماً وسط بيئة اجتماعية تسعى إلى الأفضل، لكن هذا لا يبرّءه من التقصير. وفي الكثير من شؤون العيش نكون دائماً في حالة السعي لتقدم المكملات الأساسية للحياة. نادراً ما يمر يوم دون أن نسمع قصة حزينة تروي كيف تعرض أحدهم للغش أو الخداع أو الاستغلال أو سوء المعاملة أو الفضح أو الابتزاز أو غيرها من تعديات، وذلك من قبل أقرب الناس. كما أننا نسمع عن مشاكل دائمة تحصل في المنازل بين الأهل والأولاد أو الأهل فيما بينهم، وغيرها من مشاكل، بحيث نلاحظ الهبوط التدريجي لتحكمنا الأخلاقي بأنفسنا. نحن نعلم بأن حياتنا قابلة لأن تكون أفضل. وأن الشخص الذي يعيش بشكل جيد وسط بيئة صعبة بشكل مأساوي سوف يكافأ على هذا المسعى. لأنه في النهاية موجود هنا لفترة مؤقتة، وعندما يغادر هذا العالم سوف يترك وراءه ما يملكه، لكنه سوف يأخذ معه ما هو عليه. المشكلة الكبرى اليوم هي أن الفرد غير واثق مما سيأخذه معه. هو لا يشعر بارتياح بخصوص سلوكه. هو يكره أن يتم استجوابه عند بوابة العالم الآخر، وتُعرض أمامه القصة الكاملة عن سلوكه. هو يأمل دائماً بأن هذا الموقف لن يمر عليه أبداً، لأنه عندما يموت فسوف يموت إلى الأبد وهذه نهاية القصة. لكن في الحقيقة، هذا الغموض المتعلق بالعالم الآخر يعتبر عزاء وجبر خاطر للفاسدين فقط. هذا الغموض بات يمثل وسيلة للأفراد الذين يعتقدون فعلياً بأنهم يستطيعون الهروب أبداً من المحاسبة على نتائج أفعالهم. لكنهم في النهاية سوف يغادرون هذا العالم كما فعل أجدادهم وكما سوف يفعل أحفادهم. وفي كل من حالات المغادرة هذه، سوف يترك الفرد وراءه المشاكل التي سببها، سوف يترك وراءه الأخطاء التي سمح لها أن تبقى وتتعزّز بحيث أصبحت تمثل جزء من ميراث أولاده وأحفاده. بالتالي يكون الفرد في معظم الحالات مقتنعاً بفكرة أنه إذا لم يكن هناك حياة بعد الموت فهذا أفضل بالنسبة له. سوف يأمل دائماً أن العدم المطلق بعد

الموت سوف ينهي كافة المسائل. والذين يأتون بعده سوف ينتقلون أيضاً إلى هذا العدم كما فعل أولئك الذين جاؤوا قبله وانتقلوا إلى العدم بعد مغادرة الحياة. في الحقيقة، ليس هناك أي إثبات علمي لهذه الفكرة. ليس هناك أي دليل واضح وجلي يقول بأن الفرد الذي يغادر هذه الحياة لن يواجه بأي طريقة من الطرق عواقب أفعاله.

لم نعد متحمسين لتلك الفكرة التي تقول بأن بعض الأشخاص الفاضلين، والذين يمكن الشك بفضيلتهم أصلاً، سوف يذهبون إلى الجنة، بينما العقاب والعذاب ينتظران الأشخاص الباقين. هذه الطريقة في التفكير كانت دارجة في أحد العصور بحيث كانت تشدد عليها السلطات السياسية والدينية لأنها كانت تمثل وسيلة مجدية للحد من انتشار الفساد والجرائم على أنواعها بين المجتمعات. لكن في الحقيقة، لم يتمكن الفرد منذ ذلك الزمن من استيعاب فكرة العذاب الأبدي كعقوبة على خطيئة قد يقترفها مرة واحدة في حياته. راحت الفلسفة منذ زمن بعيد تدرس هذه الحالة وخرجت باستنتاج نهائي بسيط يقول بأن القوة الكونية التي صممت وخلقت كل شيء في الوجود لا يمكنها أن تنوي بأن تجعل جزء كبير من مخلوقاتها يذهب إلى الجحيم الأبدي. لا يمكن لهذا أن يمثل جزء من الغاية الكونية، لا يمكن أن يكون هناك أرواح ضائعة تمضي وقتها في عقاب أبدي. لم يكن هناك سبب للافتراض بأن الفرد الذي يمثل جزء من حياة متكشفة دائماً وفي حالة نمو أبدي، سوف يحمل لعنة أبدية ويعاقب إلى الأبد نتيجة الجهل الذي يعاني منه جيل كامل.

أما الحكماء الشرقيين، والذين تناولوا هذه المسألة، فقد توصلوا إلى استنتاج نهائي بسيط يقول بأنه أينما كنا، في هذا العالم أو عالم آخر، فالغاية من وجودنا هي النمو والتكشّف، وليس من أجل المعاناة والعذاب. غالباً ما نربط المعاناة بالنمو الروحي. نحن معتادون في بلادنا على فكرة شائعة تقول بأنه على الفرد الذي يسعى إلى الارتقاء الروحي أن يعيش بحالة بائسة. عليه أن يحرم نفسه من كل شيء يتمتع به الدنيويون والخطاؤون. عليه أن يعيش وفقاً لقوانين وأحكام صارمة جداً ومتشددة جداً بحيث تعتبر كافة وسائل المتعة التي نعرفها اليوم محرمات ونواقص. عليه أن يعيش وحيداً في حياة فاضلة وسط عالم فاسد يتمتع بالسعادة والبهجة. هذه الحالة طبعاً ليست وصف مغري للحياة التي وجب على الفرد عيشها. وحتى أنها لا تشمل أي حقيقة فعلية. لكننا نحاول أن نؤمن بوجود هكذا حياة فعلاً.

من خلال تكيّف الكائن البشري مع الزمن الذي يعيش فيه، سوف يحوز على الكثير من المكافئات رغم تقصيره في جوانب عدة. إن الحياة المعاشة بشكل سليم وصائب، الحياة المكرسة بصدق، لها الكثير من الفضائل وتستحق العديد من المكافئات. أهم الجوانب لهذه الحالة تتعلق بجسده المادي. العالم الذي نعيشه اليوم هو قاسي جداً على جسم الإنسان. لم تكن الغاية أبداً سوء معاملة الجسم. لقد مُنح لنا كوسيلة رائعة ليساعدنا في سعينا إلى تحسين ذاتنا والتواصل مع الآخرين وتكوين صداقات متبادلة وإنشاء حالة من التعاون المتبادل. الجسم هو تركيبة محكومة بقوانين. تم توليده وفقاً للقانون، وهو موجود في هذا العالم بتعاون وظيفي مع القانون، وعندما ينتهي الجسد من غايته سوف يتلاشى ويعود إلى المصادر الطبيعية التي جاءت منها كافة الأجسام. لكن هذا الجسم لا يستطيع تحمل سوء المعاملة المستمرة. هو لا يستطيع المحافظة على نفسه في حياة مكرسة لخرق القوانين. هذه هي إحدى الحالات التي نواجهها اليوم، ونتيجة لذلك نجد، أكثر من أي وقت في التاريخ، ظهور الأمراض المزمنة والنقص التدريجي في الكفاءة والكهولة المبكرة والعدد الهائل من الأزمات القلبية والانهيارات العصبية والأمراض العقلية على أنواعها. إذاً، الجسم هو الذي يدفع ثمن عواقب أخطاءنا. وهذا ما يدفعه إلى التمرّد علينا من خلال الأمراض، أي كأنه يقول لنا بكل بساطة بأنه لا يمكننا الاستمرار بهذه الطريقة في الحياة. لكن من أجل الاستمرار في فعل ما نرغبه، نحاول بطريقة أو بأخرى معالجة الجسم المتمرد من خلال المرض. إذا كان يعاني من الألم، كل ما علينا فعله هو إعطاءه حبة مسكن لإزالة الألم. إذا كان خاملاً ومنهك، نعطيه حبة أو أبرة منشّطة. إذا كان العقل هو السبب الرئيسي وراء مرض الجسم، نتيجة التفكير والحصر النفسي والإحباط وغيرها من حالات، كل ما علينا فعله هو إلغاء العقل من الساحة وذلك عبر تناول المخدرات أو المسكرات. الكثير من الشباب الصغار اليوم يلجؤون إلى تناول المواد المخدرة لكي يزيلوا الحياة بكاملها عن تفكيرهم! هذه الحياة لا يوافقون عليها، وطريقة عيش عجزوا عن التكيّف معها، ومسؤوليات أثقلت كاهلهم عبر فرضها عليهم عنوة وبطريقة خاطئة، وظروف محيطة ليس لديهم أي سيطرة عليها.

إذاً، الجسم يتلقى العقوبة الأولى. ليس هناك فرق إن كان الجسم عائد للفرد أو جسم شركة أو جمعية أو منظمة أو حتى أمة بكاملها. كل هذه الأشياء هي أجسام قائمة بذاتها، من المفروض أن تُستخدم في سبيل التقدم نحو خير الإنسانية. لكن عندما لم تعد تخدم هذه الغاية تبدأ بالتلاشي والانحلال. الذي لم يعد مفيداً سوف لن يبقى ويستمر. والقصد من الفائدة هنا ليس له علاقة بإشباع الغرائز والرغبات الشخصية، بل الارتقاء بالشخصية.

لدينا إذاً هذه المقولة المأثورة عن ***طواحين الإله***، والتي أضافت إلى هذه المسألة بعد جديد وواسع من التكامل الأخلاقي. وفي الحقيقة لا شيء يهمنا في هذه الأيام أكثر من مسألة التكامل الأخلاقي. إذا لم نستطيع إيجاده في أنفسنا فسوف لن نجده أبداً في عالمنا كما نعرفه. وهذا بالتالي يجعلنا محرومين من تفاؤلنا الطبيعي ورغبتنا الطبيعية لتطوير الذات. لكن على الجانب الآخر، إذا بدأنا نعتبر هذه الصعوبات التي نواجهها ليس كأنها عقوبات بل مجرّد دروس علينا اختبارها واستخلاص الحكمة منها، يمكننا حينها تعلم شيئاً له قيمة دائمة خلال خوضنا الحياة. إن كل حالة أليمة نعاني منها تمثل درس قائم بذاته. الألم بذاته هو مهم. هناك قصة عن رجل، بعد سلسلة طويلة من التجارب المخبرية، تمكن من إزالة الشعور بالألم بداخله. لم يعد يشعر بالألم. لكن في يوم من الأيام، بعد أن بالغ في ثقته بنفسه، جلس على موقد النار فاحترق حتى الموت. وهذه كانت نهايته. في الحقيقة، إن الشعور بالألم ينقذ الفرد. الألم يحمي. الألم يحرسنا ويرشدنا ويحذرنا، لكن رغم ذلك كله لم يُعتبر أبداً بأنه صديق جيد. لطالما اعتبره الناس عدواً لدوداً يقلق راحتنا ويتدخل ليعيقنا عن فعل ما نرغب فعله.

في العالم المحيط بنا، نأتي أيضاً وجهاً لوجه مع حالة طالما كانت تتنامى وتكبر عبر آلاف السنين. لقد ورثنا كارثة العصور. لقد ورثنا الأخطاء التي اقترفتها البشرية منذ البداية. لقد ورثنا حروب الإسكندر وقيصر. ورثنا غزوات المغول. ورثنا حروب واعتداءات نابليون وهتلر وباقي القادة الطموحين الذي سعوا إلى تحقيق أقدارهم من خلال تدمير أخيهم الإنسان. هذا الميراث البشع فرض علينا، كما يسميه الحكماء الشرقيون، كارما عالمية ثقيلة. أثبت هذا الميراث التاريخي البشع بأن الفرد العادي لا يغيّر توجهه وفق الظروف العادية. لقد طوّر الإنسان في داخله ملكة ليست موجودة في أي مخلوق آخر نعرفه. يمكن تعريف هذه الملكة بمصطلح "القدرية المحدودة". يستطيع الفرد أن يصنع خيارات معينة بنفسه. صحيح أنه يعيش في عالم من القوانين، لكنه يترجم هذه القوانين بالتوافق مع حاجاته ومصالحه. صحيح أنه يعيش في رحاب كون من الحقائق، لكنه لا يفهم سوى درجات معينة من هذه الحقائق وذلك توافقاً مع عواطفه ونواياه. لدى الإنسان الحق في القول نعم أم لا. لديه الحق في أن يقبل الشيء أو يرفضه. لديه الحق في أن يبحث ويدرس ومن ثم يقرر، بناء على خبرته، ما هو خيّر. لكن الفرد اليوم يستخدم هذه القدرة على الاختيار ليقرر فعل ما يرغبه. يستخدم هذه القدرة كوسيلة للقرار ضدّ القوانين التي عليه أن يطيعها. يحاول التهرّب من عواقب سلوكه وتصرفاته، لكنه لم يفكر أبداً في محاولة تصحيح مسببات هذه العواقب التي يتهرب منها.

بالتالي كل جيل من الأجيال يواجه هذا العبئ الثقيل المتمثل بالواجبات غير المكتملة. هذا العبئ يمثل تحدي كبير. هذا العبئ موجود لأننا خلقناه أصلاً. هذا لأننا فعلنا الكثير من الأشياء عبر التاريخ والتي جلبت هذه العواقب التي نعاني منها ونمقتها. الحقائق المتعلقة بهذا الأمر هي واضحة ويسهل استكشافها. أولئك المهتمين مثلاً بجوانب محددة من الثقافة الإنسانية يمكنهم قراءة كتب بخصوص انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية. إذا قرأت هكذا كتب سوف تشعر بأنك تقرأ وثائق عصرية تتعلق بالوضع الحالي. هي تظهر ما حصل لروما بالضبط. هي تستعرض ما الذي خلق المسببات التي أدت إلى ذلك الإنهيار. بعد الفساد التدريجي للنزاهة والاستقامة الأخلاقية، والانتشار المستمر للطموح الفردي، أدى ذلك إلى انهيار حضارة إنسانية عظيمة. حضارة تحوز على إمكانيات الصمود لعصور مديدة أخرى، لكنها لم تصمد أبداً. نجد الأمر ذاته في تواريخ كل الحضارات والأمم القديمة الأخرى. الأخطاء التي نقترفها اليوم هي الأخطاء ذاتها التي دمرت الماضي.

الإنجازات ذات الطبيعة البناءة التي نحققها اليوم هي حاضرة أيضاً كومضات ساطعة أو أضواء لامعة في مسيرة التاريخ الطويلة. كل شيء جيّد قد لعب دوره. كل تكريس جديد نتج عنه تقدم أساسي في الطبيعة البشرية والغاية البشرية. لكن منذ البداية، أكثر ما قمنا بملاحقته وقمعه هو أولئك الذين قالوا لنا الحقيقة. نحن لا نريد للحكمة أن تتدخل في متعتنا. نحن نكافح دائماً وبيأس لأن نكون سعداء، وذلك عبر وسائل تؤدي في النهاية إلى عدم السعادة. هذه حالة طبيعية كما قانون السببية، والتي هي أحد تجلياته. نحن أكثر حظاً من الذين سبقونا في الماضي، لأننا نستطيع مراجعة ما كان يحصل في الماضي. نحن ربما نقف عند نقطة الإمكانية الأكبر نحو التنور، لكننا لسنا مستعدين لتعلم الدرس. نحن نعتبر أن التاريخ بكامله بدأ في القرن الماضي. وكل ما حصل قبل ذلك هو مجموعة من الخرافات والأساطير والكثير من الأخطاء. لكن في الحقيقة، إن الخرافات والأساطير والأخطاء هي التي تسيطر علينا اليوم. نحن لم نتعلم الدرس بعد. العائلات لا تتعلم الدرس. تمر العائلة في فترة طويلة من السنوات المضطربة وغير المستقرة والتي قد تنتهي بالطلاق أو الانفصال. لكنهم لم يتعلموا ما الذي يحافظ على تماسك الأسرة. لم يتعلم الأهل كيف يسيطروا على أطفالهم ويرشدوهم بطريقة صحيحة.

نمط الحياة اليوم هو مزدهر أكثر من أي وقت مضى. مستوى العيش في البلدان الأكثر تطور هو مرتفع جداً، لكن مستوى الحياة ذاتها هو منخفض جداً. نحن نسعى باستمرار إلى بناء أشياء

خارجية، والتي هي بذاتها فانية وزائلة وقابلة للإفساد وسوف تنهار حتماً في النهاية. ربما الآن نستطيع استيعاب الفكرة وراء القول المأثور الذي ذكرته في بداية هذا الموضوع. أي نحن دائماً وأبداً في حضور حقيقة ثابتة وراسخة، وعملية حتمية تجري إلى الأبد، وأن العمل الأكثر سعادة وإنتاجاً وربحاً الذي يمكننا القيام به هو التماشي والإندماج مع هذه الحقيقة. ***الطاحونة*** المذكورة في المقولة السابقة إذاً تمثّل المجريات القدرية التي تسحق وتجرش كل ما لا يتوافق مع الحقيقة الأصيلة. ***صحيح أن الطاحونة القدرية بطيئة في عملها لكنها تعمل دائماً دون توقف***. تستمر في عملية الطحن والهرس حتى يستوي المنتوج بكامله في نعومته. و***النعومة*** هنا تعني قابلية الاندماج مع الحقيقة الكونية. الحقيقة هي كلمة تمثل أمر عظيم جداً، وفي جوهرها الحقيقي تتجاوز التعريف اللغوي. لكن هناك دلائل معينة، أو حقائق ثانوية معينة، هي مهمة جداً في عملية إرشادنا، رغم أن الحقيقة الأساسية تكون غامضة بالنسبة لنا. حقيقة الأمر تمثل واقعه، حقيقة الموقف تمثل إحداثياته، لكن أكثر من أي شيء آخر هي تمثل تكامله الفعلي. الحقيقة غير قابلة للإفساد. يستطيع الإنسان أن ينكرها، لكنه لا يستطيع أن يدحضها. الحقيقة تقول بأنه علينا أن نتعاون أو سوف نفنى ونندثر. ليس هناك أي حل آخر ممكن. لأننا خُلقنا لكي نتعاون. ومتما امتنعنا عن التعاون نضع طبيعتنا النفسية تحت ضغط الإجهاد. بشكل تدريجي، كما في حالة الإدمان على المخدرات، نجد أن القيم المزيفة التي اتبعناها أصبح تكرارها المستمر يحولها إلى عادات دائمة، وهذا في النهاية يؤدي إلى تدمير قوة التمييز داخل أنفسنا والتي تمنحنا القوة التي تمكنا من كسر هذه العادات. نحن بالتالي نخسر تدريجياً علاقتنا مع العالم الذي نمثل جزء منه. نحن نخسر إدراكنا لحقيقة أننا هنا لكي ننمو ونصحح أخطائنا ونتقدم تدريجياً نحو تقدير أكبر للحقيقة. علينا أن نكون أكثر إدراكاً لحقيقة المسألة، مهما كانت تلك الحقيقة.

هذه مشكلة تواجهنا اليوم أكثر من أي وقت مضى. في القرنين الماضيين، أصبح المجال الصناعي والنمو الإقتصادي يمثلان أساس السياسات الكبرى في الحياة. نحن نكافح دائماً وباستمرار مع كافة أنواع المواقف والظروف المعقدة والصعبة. ذلك بسبب تفاعل تلك العوامل التي سمحنا لها أن تفلت من نطاق سيطرتنا. لذلك، بدلاً من الشعور بحقيقة أن العالم واقع في مشكلة كبيرة، أو أن مكانة الإنسان في خطة القدر معرضة للخطر الكبير، أعتقد أنه علينا الإدراك بأننا وسط فترة تصحيحية في تاريخ الحضارة. أصبح واضحاً بأنه إذا استمرت الأمور كما هي الآن، سوف نواجه لا شيء سوى الأزمات والكوارث على أنواعها، وسيستمر ذلك إلى مستقبل غير منظور.

كل شيء نعتبره اليوم بأنه صعب يسير إلى الأمام حتى يصبح مضاعف. سوف نواجه مشكلة الانفجار السكاني، تلوث الهواء والماء، شحّ الموارد الطبيعية، وتطوّر الأسلحة النووية التي هي بكل تأكيد غير متوافقة مع واقعنا البائس. وجب حل هذه المشاكل بطريقة أو بأخرى. لكن قبل أن نستطيع حلّها فعلياً، علينا أن نؤمن بوجود حلّ. الكثير من الناس اليوم يشكّون بإمكانية وجود حلول لهذه المسائل. يشكّون في قدرة العالم على صنع تعديلات مناسبة في فترة وجيزة تسبق الانهيار الحتمي. قد يكون هذا صحيحاَ، لكن علينا أن نتذكر دائماً أمر واحد، وهو أننا موجودون في هذا العالم الدنيوي لكننا لسنا مخلوقون منه. مصدرنا هو من مكان آخر. هذا العالم الدنيوي لا يستطيع التحكم فعلياً بالأمور الموجودة بداخلنا. ليس هناك أي قوة أو قدرة مادية تستطيع إفساد الإرث الروحي للإنسان. ليس هناك أي طريقة ممكنة لإفساد أو الضرر بالروح البشرية بواسطة أدوات دنيوية خارجية. فقط الروح البشرية تستطيع الضرر بنفسها وليس أي شيء آخر، وذلك من خلال القبول أو الاعتراف بالأشياء الزائفة غير الحقيقية. لذلك فإن ***طواحين الإله تجرش تدريجياً المشاكل الكبرى للإنسانية.***

ربما أكبر مشكلة التي نواجهها هي الطموح. وليس هناك أحد يستطيع أن يبرره أو يدافع عنه بالمنطق والذريعة. الطموح يمثل ضغط بداخلنا لكي نتفوق في مجال معين، أو لكي نصبح خبراء أكثر في مجال عيشنا وتفكيرنا. يمكننا تعريف الطموح وفق مصطلحات أكبر بأنه اندفاع أكبر لنكون سباقين في فعل الأشياء أو في التقدم بحالتنا المادية. الطموح في الحقيقة هو سبب كل المآسي التي عرفها عالمنا. لأنه في عالم يحوز على مصادر محدودة ليس هناك مكان لتضخيم الفرد لنفسه. الحالة العكسية للطموح هي ليست العطالة. الكثير من الناس يظنون بأنه عندما يضعف طموحهم فهذا دليل على موتهم رغم بقاءهم أحياء. هذا في الحقيقة ليس صحيحاً. الطموح موجود فعلياً وبالتالي يمكن استخدامه، لكن وجب تكريس هذا الطموح لغاية تحسين الأشياء. وجب أن يمثل الطموح الأمل الداخلي للفرد بأن الجمع العالمي سوف يهنأ بالسلام والأمان. علينا أن نكون طموحين للمبادئ والمثل العليا، وليس طموحين لتحقيق الربح المادي. إذا كنا نفعل كل ما بوسعنا لتحقيق الدافع بداخلنا الذي يهدف إلى جعل الحياة أفضل لكل من يحيطنا، فيكون هذا أرقى أنواع الطموح الذي نعرفه.

هناك ضغط هائل آخر بداخلنا والذي يوقعنا باستمرار في صعوبات مختلفة وهو الأنانية. الأنانية هي التوجه الغامض بداخلنا والذي يقول لنا بأنه علينا أن نكون المستفيدين الأكثر من أي شيء يحصل حولنا. تعتبر الأنانية بأنها تمثل مركزية الذات، لكنها في الحقيقة لا تمثل مركزية الذات، لأن الذات الحقيقية ليس متمركزة بهذه الطريقة إطلاقاً. الذات الحقيقية هي كونية بطبيعتها. يوجد في الحقيقة ذات واحدة في الوجود، وتكون باقي الذوات أجزاء متفرقة داخل لوحة عظيمة من مبدأ أبدي واحد للحياة والتكامل الأخلاقي. لذلك فإن الأنانية هي، كما يعرفونها في الفلسفات القديمة، الأمل الأناني للإنسان بأن الكل سوف يتوافق مع الكل. الأنانية هي القدرة داخل الفرد التي تجعله مراعياً ومحترماً للآخرين بنفس القدر الذي يتوقع الأمر ذاته منهم. يمكن تحقيق الأنانية من خلال العيش بطريقة أفضل من أي فترة سابقة. ومن خلال العيش بشكل أفضل، قد يبدو الأمر بأننا نركز اهتمامنا على أنفسنا فحسب. لكن هذا لا يعتبر أمر خاطئ إذا أحرزنا الأفضل واستخدمناه لفائدة الخير العام. وجب أن تكون الأنانية دافع للتحسّن لكي نكون أكثر فائدة. لكن الأنانية التي تسعى إلى تحقيق تفوّق الفرد على المحيطين به هي معاكسة لقانون الطبيعة.

هناك عامل سلبي آخر وهو الخوف. الفرد العصري هو دائماً في حالة قلق. هو يخاف من العالم الذي يعيش فيه. وأكبر مخاوفه تأتي من أخيه الإنسان، لأنه لا يستطيع قراءة أفكار الذين يحيطون به. هو مقتنع دائماً بأنه ضحية مؤامرة تحاك ضده. لقد تم المبالغة بالخوف بشكل هائل في السنوات الأخيرة، وذلك من قبل منتجات ثقافية متنوعة وخصوصاً عبر الإعلام. يخبرنا الإعلام دائماً عن الأمور المريعة التي تحصل في العالم. صحيح أن تلك الأمور المريعة تحصل فعلياً، حيث لا يمكننا نكرانها، لكن تأثير هذه الأخبار علينا ينتج الخوف. نقرأ أنواع مختلفة من الكتب حول منظمات ومحافل سرية تسعى إلى تقويض عالمنا، فنصاب بالرعب. الخوف هو بكل تأكيد قلق الإنسان بخصوص المجهول. أي ذاك الذي يصعب تفسيره. ذاك الذي هو محجوب أو يختبئ وراء شيء ما. هو الشي الذي نعجز عن التحقق منه أو كشفه لكننا رغم ذلك نكن له كافة أنواع المخاوف باختلاف أبعادها. هذا هو الخوف. والكثير من الناس ياعنون منه اليوم.

لكن الحكماء لم يخافوا أبداً. وهذا أمر مهم جداً ومن الضروري أن نفكر به الآن. لكن في الحقيقة، ليس هناك أي حاجة لأن يخاف الفرد من أي شيء سوى أخطاءه. يستطيع الفرد أن يعقلن هذه الأفكار ويستوعبها جيداً إذا أراد ذلك. إن الخوف من المجهول يعمل على تنمية تلك الأنواع المختلفة

من القلق السلبي، لأن الفرد ينظر إلى المجهول كما يراه ويستشعره اليوم بصفته عدم يقين هائل أو فوضى عشوائية أو مجموعة من المؤامرات المتداخلة، وهو يجهل إلى أين يلتجئ. القدماء لم يخافوا من الحياة ولا من الموت. لم يخافوا من العدو أو من الصديق المزيّف. من خلال التوصل إلى معرفة كاملة بالقانون، أدركوا أنه ما من مكان في الكون للخوف. ليس هناك مكان في الكون بحالته الطبيعية يوجد فيه أي شيء يسبب للإنسان القلق غير العقلاني. المصدر الممكن الوحيد والشرعي للقلق هو الكوارث الطبيعية التي ليس للإنسان أي سلطة عليها. لكن حتى الكوارث لها موقعها في المسألة، حيث الكوارث تتبع دائماً وحتماً فساد المجتمعات.

الخوف بالتالي هو قوة سلبية مثبطة ومشوشة ومضعفة للمعنويات. ليس هناك فرق حول كيفية قياسه أو تقيمه. الفرد، بصفته مخلوق أبدي، يعيش وسط خطة أبدية، ترشده حكمة أبدية، وتحميه محبة أبدية، ليس عليه أن يخاف من أي شيء. ليس عليه أن يخاف سوى من أخطاءه. ربما عليه الخوف من سيطرة الجانب السلبي من طبيعته عليه. وإذا سيطرت عليه فعلياً فهذا يعني أن الجانب الإيجابي منه لم ينال فرصته بعد. لكن في جميع الأحوال، إذا أراد أن يتغلب على الخوف فهو قادر أن يفعل ذلك. لأن كافة أشكال الخوف تنبع من عدم اليقين، هي تعتمد على سوء التفسير وسوء الفهم وخلق تصورات وهمية تتصف بكافة أنواع الشرور. في الماضي القديم، كان الإنسان يعاني من كافة أنواع النزاعات والشجارات والخصام وسوء الصحة والعشوائية وعدم الاستقرار في المجتمع، فقرر أخيراً بأنه لا بد من وجود شيطان في مكان ما يسبب هذه الشرور. لا بد من وجود روح شريرة تفعل كل هذه الأشياء المزعجة. فيقول مجادلاً، بكل تأكيد لا يمكن لله أن يقف وراء كل هذه المآسي والأوبئة التي تصيبنا، بالتالي لا بد من وجود شيء مضاد لله يفعل هذه الشرور. لا بد من وجود عدو لله. وهذا العدو يستمر في التآمر من أجل تثبيط الغاية الإلهية.

ربما كانت الفلسفة البوذية أفضل من قدم جواباً مناسباً لهذه المسألة أكثر من أي جهة أخرى. تذكر الرواية البوذية بأنه تم مواجهة "بوذا" في يوم من الأيام من قبل فقهاء زمانه بمسألة صعبة الحل، وهي مشابهة لمسألة "مال قيصر" المذكورة في الإنجيل. عندما سألوا "بوذا" عن موقع الشر في مخطط الأشياء، قال ببساطة: ".. إذا سمح الله بحصول الشر فهو ليس الله.. وإذا عجز عن منع الشر فهو ليس الله..". فسكت الفقهاء عاجزين عن الاستمرار بالنقاش. هذه الفكرة استمرت عبر العصور وحفزت المفكرين على التفكير بعمق في مجرى الأمور. المشكلة هي أننا قمنا، منذ البداية،

بملئ العالم بشياطين وهميين وحملناهم مسؤولية كافة الأخطاء التي اقترفناها. في العصور الوسطى كان يُعتقد بوجود شياطين حتى في مداخل البيوت، وحتى أن هذه الشياطين كانت تجلس بجانب الفرد خلال الصلاة في بيت العبادة، وغيرها من تصورات وسيناريوهات. إذا كانت هذه الأمور واقعية فعلياً، فهذا يعني أن الجميع يمكنهم الاتكاء بارتياح وهناء والادعاء بأن عيوبهم الفردية لا تعتبر ذنوباً منهم بل من الشيطان. الأخطاء إذاً لم تعتبر ذنوباً اقترفها الأفراد بل من عمل الشيطان، واستمرّ هذا الاعتقاد راسخاً لفترة طويلة من الزمن. أما اليوم، في الوقت الحالي، لم يعد هناك شيطان نلقي عليه اللوم، لكن أصبح لدينا مجال السياسة والاقتصاد والصناعة والعلاقات الدولية والسياسة الداخلية للحكومة... وغيرها من عوامل، وكل هذه المجالات أخذت مكان الشيطان بطريقة أو بأخرى، وجعلناه ممكناً لنا أن نشعر بأنه ليس علينا تحمل أي مسؤولية بخصوص أي خطأ أو هفوة أو عيب يحصل في حياتنا، حيث كلها تحصل بسبب أحد العوامل المذكورة سابقاً. إن فلسفة من هذا النوع لن تنشلنا أبداً من وضعنا المزري، بل تعمل على إغراقنا أكثر في هذا المستنقع المأساوي الذي نحن غارقين فيه.

دعونا نلقى نظرة على المسألة من وجهة نظر إغريقية. كان الإغريق مقتنعون بطريقتهم الخاصة بوجود مبدأ مطلق واحد. وهذا المبدأ المطلق يمكن الإشارة إليه باسم الله أو حياة أو عقل كلّي أو أي اسم أو مفهوم آخر يمكن استخدامه. رغم ذلك كله سوف يبقى مبدأ مطلق واحد أحد كما يشير إليه الفيلسوف فيثاغورث. كافة التقسيمات المؤدية إلى التعددية تحصل ضمن نطاق هذه الوحدة الكلية. ليس هناك شيء خارج نطاق هذه الكلية. بالتالي، كل ما هو موجود يقبع داخل نطاق هذه الوحدة الكلية. إنها عملية تخليق انطلاقاً من مبدأ واحد أحد إلى تنوّع لامحدود من التجليات والتجسيدات. لكن بما أنها جميعاً تصدر من الواحد الأحد، وهذا الواحد هو خيّر، فهذا يجعل كل تلك التجليات المتنوعة خيّرة بطبيعتها ومحتواها.

العالم الذي نعيش فيه يمثل لغز غامض بالنسبة لبعض الناس، ولجميعنا بدرجة كبيرة. يوجد سبب وراء عدم ولادتنا في حالة كمال. يوجد سبب وراء وجوب تحقيق الفضيلة بالاجتهاد، حيث لم تمنح لنا هكذا. الفضيلة تأتي للفرد من خلال خيار شخصي يتخذه. القوة التي خلقت الإنسان منحته القوة لأن يكون على صواب، لأنها منحته القدرة على الاختيار والاستكشاف والتفكّر حول ظاهرة الحياة. كما منحته الكتب العظيمة التي هي ضرورية لخلاصه. أوّل هذه الكتب ممثل بالكون ذاته، والذي يمكن

للإنسان سبره واستكشافه. الكتاب الثاني ممثل بالنصوص المقدسة التي نزلت على كافة الشعوب عبر توالي العصور. غالباً ما تكون هذه النصوص عبارة عن خلاصات لمبادئ أخلاقية وأدبية، وقوانين العيش بطريقة سليمة وكيفية السعي لنيل الخلاص في النهاية. الكتاب الثالث ممثل بجسم الإنسان، الذي يمثل نموذج مصغّر لكافة المجريات الحاصلة في الطبيعة من حوله. كل ما هو مسيء لجسم الفرد يكون مسيء لعالمه بالكامل.

لقد وجد الإنسان في هذا العالم من أجل أن يعمل تدريجياً على تكشّف الوعي لديه. أن يفتح نفسه تدريجياً إلى التزايد المستمر والتنامي الدائم لمستويات الوعي حتى يصبح في النهاية مدركاً ومندمجاً مع المبدأ الواحد الأحد القابع عند منبع الحياة. هذا يمثل بالتالي مدرسة بذاتها. هي مدرسة بحيث ملايين وملايين من الذرات الدقيقة في جسد الإله تنمو. هذه المدرسة لديها قوانينها وأحكامها ومبادئها. هذه المدرسة تعلم مواضيع معينة ضرورية. ومدرسة الحياة هذه هي ربما الأكثر نبذاً من الناس لكنها في الحقيقة الأكثر ضرورة من أي مؤسسة تعليمية نعرفها. الفرد لم يحبط أبداً في قدرته على التعلم، لكن نزعته للتعلم هي التي أصيبت بالصدع. بعد أن نبدأ بالتفكير حول هذا الموضوع نكتشف بأن كامل النموذج أو كامل البرنامج بصيغته الصحيحة هو الذي سوف ينتج في النهاية الشخص المتنوّر. سوف نتوصل إلى هذه النتيجة لأن الفرد قد استحق هذا التنوّر، وذلك من خلال سلوكه ومن خلال بصيرته ومن خلال مجهوده. التنوّر لا يُمنح هكذا، بل يُكشف ويّحرر من خلال الشخص وعبر مجهوده الخاص. عبر إصراره الثابت على إيجاد الجواب الشافي عن نفسه.

الكثير من الشعوب القديمة منحت هذا الموضوع قدر وافي من التفكير والتأمّل، وأدركوا بأنه بطريقة معيّنة لا بد من وجود طريقة أو وسيلة بحيث يستطيع الفرد أن يتعلم دروس الحياة بشكل أسرع. فتوفر مجموعة من الأنظمة والمناهج المتنوعة للإنسان في الأزمنة القديمة. أوّل هذه الأنظمة هو منهج التطهير. هو أعظم المناهج لدى الإغريق القدامى. قالوا أنه على الفرد قبل أن يصبح حكيماً أن يطهّر حياته من الفساد الذي يجعل الحكمة مستحيلة التجلّي لديه. أي بمعنى آخر، التطهير هنا لا يعني أنه عليك غسل يديك أو الاستحمام في حوض مقدس. التطهير يعني تنظيف الحياة بالكامل، أي الارتقاء بالتكامل الأخلاقي، أي الاستخدام السليم للإمكانيات العاطفية والعقلية والجسدية. الطهارة هي الحق لأن تكون على حق. هي الحق باستخدام كل موهبة منحت لنا بطريقة بناءة والأكثر مثالية. كان تطهير الجسد يمارس في الزمن القديم من خلال الصيام لفترات معينة أو

التخلّي عن أكل بعض الأطعمة غير المفيدة وكذلك التخلّي عن كل ما يمكنه إفساد الجسم. الغاية كانت إرجاع الجسم تدريجياً إلى حالته الطبيعية بأكبر قدر ممكن. وجب أن لا يحصل أي تذمّر من قبل الجسد، فيتحرر الفرد من الضغوطات التي تبرز دائماً من الجسم.

هذه هي بداية حياة الحكمة. على الفرد أن يبنى منزلاً لنفسه وفقاً للقانون. عندما يبني هذا المنزل في جسمه وفقاً للقانون سوف يأتي الإله الأعلى ويسكن معه فيه. بعد الانتهاء من مرحلة التطهير، الأخلاقي والأدبي والجسدي، يستقر أولئك الساعون إلى الحكمة على طريق الحكمة. ما عليك فعله من أجل التعلم؟ كيف سوف تساهم في تحسين المعرفة؟ اتبع الإغريق القدامى نفس الطريقة التي اتبعها الهنود والصينيون وكافة الحضارات القديمة الأخرى. قاموا بوضع المريد الساعي إلى المعرفة تحت وصاية وإرشاد أولئك العارفين والمطلعين أكثر منه. لذلك كان هناك مدارس للتعليم. كان هناك فقهاء عظماء، وكذلك فلاسفة وصوفيين، وكان هناك مدارس التعاليم السرية ومجموعة أخرى من المؤسسات التي وجدت بهدف تعلم المريد المزيد والمزيد عن الخطة الإلهية. بالتالي، بعد مرحلة التطهير يأتي دور الانخراط في منهج محدد. هذا المنهج لم يعد يتعلق بالجسد، بل يهتم في انضباط العواطف والعقل. الفرد الذي لا يستطيع السيطرة على مزاجه لن يتمكن من اختبار حضور الإله بداخله. قد يظن بأنه يختبر هذا الحضور الجليل لكن هذه الحالة تكون قيد الشكّ والتساؤل، حيث قد تكون على الأغلب عبارة عن وهم ناتج من هلوسة. الفرد الذي لا يستطيع ضبط أفكاره لا يمكنه أن يصبح حكيماً بالفعل. وعندما تقوم الإرادة لدى الفرد باستخدام كل من العواطف والعقل من أجل إشباع الشهوات والسعي لتحقيق الطموحات الدنيوي، حينها يكون لدينا شمشون المربوط بحجر الطاحونة كما ورد في العهد القديم. نحن نحوز في داخلنا على شيء عظيم ورائع وهائل وخالد (النفحة الشمسية)، وما نفعله هو تقييده وإشغاله بأتفه النشاطات وأحقرها في حياتنا اليومية. لذلك على العقل أن يكون تحت السيطرة لكي يتمكن من التفكير بشكل سليم. وكذلك العواطف وجب ضبطها لكي تكون المشاعر نبيلة ولطيفة وكريمة ورحيمة.

من أجل إحراز الانضباط العقلي المطلوب، من الضروري توجيه العقل أو تعليمه كيف يفكّر. وجب تعليمه كيف يتجنب التعصب أو التشبث بالآراء بشكل أعمى. إنها عملية إنماء تدريجي للحصافة وحسن التقييم للأمور. الانضباط العقلي يستند على أساس الحصافة وحسن التقييم. إنها قدرة الفرد على التفكير السليم والطاهر كما نجده لدى الشعوب البسيطة التي نعتبرها بدائية مثل سكان الجزر

النائية أو سكان الأدغال العميقة. هذا التفكير السليم والطاهر يكون غير ملوّث بعد بتعاليم أيديولوجية أو سياسية أو مذهبية أو أدبية أو علمية أو غيرها من معلومات موجّهة بأغلبها. لكن بكل تأكيد، هذا التفكير الطاهر يمثل قاعدة مثلى للتقدم السليم نحو الارتقاء باتجاه الحكمة. هذا النوع من التفكير هو الأصلح لينهل من حكمة العصور. هو يمنح الفرد المفاتيح الصحيحة لكي يتمكن من ضبط وتنظيم النشاطات العقلية المختلفة.

كان يوجد في اليونان القديمة معلمون بارعون يسمونهم السفسطائيين، وكانت العامة تنظر إليهم باستحقار، والسبب هو أنهم كانوا يعلمون تلاميذهم مقابل أجر مالي. لذلك كان الناس يستحقرونهم. لأن طلب الأجر مقابل التعليم هو دليل على عدم التكريس من أجل الحقيقة الأصيلة. قد يقول البعض أنه إذا طبقنا هذا المبدأ اليوم فسوف ينتهي أمر معظم المعلمين الحاليين في مآوي الفقراء. قد يكون الأمر صحيح لكنه لم يكن هكذا في الماضي. لأن الذين أصبحوا القادة العظماء للفكر الإغريقي ولمدة ثلاثة قرون، مقدمين للعالم مئتين من أبرز المفكرين المتنورين، لم يطلبوا أجر مقابل تعليمهم. كانوا مدعومين وتم مساعدتهم وكان تلاميذهم يحبونهم لأنهم رؤوا بأنهم لم يطلبوا شيء ولم يحتاجوا إلى شيء. كانت حاجاتهم ومتطلباتهم قليلة. وكانت العلاقة القائمة بين التلميذ والمعلم متحررة تماماً من العوامل المالية. لذلك وجب أن تكون مهنة المعلّم بشكل رئيسي عبارة عن تكريس لإرشاد أولئك الذين بحاجة إلى إرشاد، ولا يكون الأمر موجّه حصراً نحو زيادة المدخول المالي بأي شكل من الأشكال.

وجب أن نعرف حقيقة مهمة، كل مجال من مجالات المعرفة إذا تم إفساده سوف يصبح خطيراً، وما من شيء أقوى من المال في القدرة على الإفساد. كل مجال بحث إذا أسيء استخدامه سوف يتحول إلى تهديد خطير. علينا أن نعرف هذه الأمور. علينا أن نتمتع بالشجاعة لفعل شيء حيالها. لكن يبدو أن المشكلة ستبقى قائمة كما بقيت دائماً. مشكلة أن المهارات بكل أنواعها ليست متصلة بالدين. العالِم اليوم يشعر بأنه ليس ملتزماً بالدين بأي طريقة. هو لا يؤمن بأنه من الضروري التحكم بالعلم والسيطرة عليه من قبل شيء أقوى من العقل البشري. العلوم هي ليست ظواهر عقلية معزولة. العالِم غير التقي أو الغير ملتزم دينياً يمثل خطر دائم لإفساد المعرفة وكذلك إفساد المهارة. لقد شهد القرنين الماضيين تقدماً كبيراً في مجال العلم والمعرفة. لكن معظمها هو خطير. أينما يوجد علم بنفسه ولنفسه سوف يكون خطيراً. أينما يوجد فرع من المعرفة ويكون قد عزل محتواه المتميّز

ودخل ربما في صراع مع علوم أخرى، أو على الأقل كان على علاقة غير متناغمة أو منضبطة معها، متما حصل هذا فسوف تتناقص فوائد هذا الفرع المعرفي وتتزايد مخاطره. ربما أصبحت أخطار العلم أكبر وأكثر فتكاً، وهي الآن أكثر تهديداً. نكتشف اليوم بأن قسم كبير من العلم ليس محكوماً بالسعي لخدمة الشعوب. إنه سعي حثيث للتقدم بنوع آخر من المعرفة. سعي حثيث لإثبات شيء ما، بدلاً من اكتشاف القيمة وفق ما تقتضيه المصلحة العامة.

إذاً، العلم اليوم انحرف عن الغاية من وجوده. لم يعد صادقاً مع غايته الحقيقية. في كتابه الذي بعنوان "العضو الجديد في العلم" يقول "روجر بيكون": ".. الغاية من العلم هي أن الإنسان سوف يتعلم على المستوى العلمي كل ما يمكن له معرفته، وكل ما يتعلمه سوف يتم تكريسه دون أنانية لمصلحة كل شيء حيّ..". بخصوص حالة العلم اليوم فإن القسم الأخير من المقولة السابقة مفقود. ولأن هذا القسم الأخير غير موجود الآن، علينا أن نفترض بأن مستوى المثالية ليس راقياً بما يكفي ليصنع تكريس حقيقي في العلم الحديث. إنه ليس قوي بما يكفي ليرفع الفرد فوق أنانيته نحو التكامل مع المصلحة العامة. الأمر ذاته ينطبق على الحكومات. لقد عمل الناس مع الحكومات لزمن طويل جداً على مر التاريخ. قال أحد الفلاسفة الإغريق في إحدى المناسبات: ".. محظوظاً هو ذلك الحاكم الذي يتمنى له الجمهور خيراً.. حيث يخافون عليه ولا يخافون منه.. هو الحاكم الذي أنجز قيادة فعلية..". هذا النوع من التفكير هو قديم جداً لكنه تفكير أساسي جداً. هناك شيء داخلنا جميعاً يستطيع أن يميّز الأمور الأساسية إذا منحناها الانتباه الوافي. ليس هناك أي شكّ بأننا في موقع يقدر القيمة، لكن في معظم الأحيان نفتقر للفرصة أو الإرادة لكي نستثمر هذه القيمة. وهذه محدودية خطيرة في طريقة تفكيرنا. بعد كل ما قيل سابقاً نكتشف بأننا ***نعيش في كون صادق تماماً، لكن المشكلة هي أننا لسنا صادقين بما يكفي***. نحن نعيش في عالم يكافئ الفضيلة ويعاقب الرذيلة. لهذا السبب لدينا عدد كبير من السجون المليئة بالسجناء الذين لم يتعلموا هذه الحقيقة. نحن نعيش في عالم يريدنا جميعاً أن نكون سعداء، لكن لا نستطيع أن نكون سعداء في الوقت الذي ثلثين من سكان العالم لا يحصلون على ما يكفيهم من طعام. من المفروض علينا أن نبتهج بمستوى تقدم علومنا، لكن كنتيجة لهذا التقدم العلمي المنحرف نرى الدول المتقدمة تبيع الأسلحة المتطورة للدول المتحاربة وتشجعهم على الاستمرار في النزاع. نحن لم نتعلم بعد تلك الحقائق الأساسية للحياة. أهم تلك الحقائق تقول بأنه إما أن نتعاون معاً أو ما نسميها الحضارة البشرية سوف تندثر وتزول حتماً. إذا اندثرت هذه الحضارة الحالية فسوف يتطلب الأمر وقتاً طويلاً قبل أن تعود وترتقي الحضارة

البشرية إلى مستوى متقدم مرة أخرى. نحن بكل تأكيد لا نرغب في العودة إلى إختبار العصور المظلمة مرة أخرى. علينا أن نصحو تدريجياً إلى حقيقة أن كافة أشكال الإستغلال هي مناقضة لقانون الطبيعة. ولا شيء يكون مناقض للقانون يمكنه الاستمرار في البقاء. قد يبدو لبعض الوقت أن الشخص المخادع يزدهر وأموره تسير بشكل جيّد، لكن مع مرور الوقت سوف يتم ضبطه وفرمه وجرشه في طاحونة الإله. ***لأن طواحين الإله تجرش ببطء لكن منتوجها يكون ناعم دائماً.*** مهما فعلناه فلا بد من أن له عواقب. والأشياء التي نريد فعلها الآن هي تلك الأنواع من الأشياء التي لها عواقب سليمة. ويمكننا البدء من أنفسنا ونحاول اكتساب نظرة عميقة في الأمور. لأنه عندما نغادر هذا العالم الدنيوي سوف نذهب إلى حالة أو بعد آخر من الوجود بحيث ما نحن عليه هو الأمر المهم. ما نملكه من ممتلكات وأموال ومدى نجاحنا في العمل والتجارة وغيرها، حتى لو كنا قادة أوطان وأمم أو كنا مشاهير في السينما وتلقينا كافة أنواع الجوائز.. كل هذه الأشياء لا تمثل أي عواقب من أي نوع. هي تمثل جزء من وهم كبير صنعه الإنسان لنفسه. الأمور التي تعتبر مهمة في ذلك العالم الآخر، الذي هو الأهم، هي الإحسان والتفهم والشفقة والتكريس. وإذا كنا نؤمن بقانون التقمّص، علينا أن نؤمن بأننا عائدين إلى هذا العالم لكي نكون مفيدين وليس لكي نصبح أثرياء. علينا أن نعود لكي نخدم المحتاجين وليس الانخراط في طريقة عيش أنانية وتنافسية مع الآخرين.

في الحقيقة، إن الدورة العظيمة لإعادة تجسيد الإنسان في حيوات دنيوية متعددة هي عظيمة جداً لدرجة أنها قادرة في النهاية على إيصالنا جميعاً إلى حالة الكمال. لو لم يكن الأمر كذلك فسوف يفشل كل شيء. لكن تلك القوة العظيمة والشمولية التي تهتم حتى بموازنة العصفور خلال طيرانه هي ليست غافلة عن الكفاح المرير الذي تمر فيه الحياة فتدرك بأن هذا الكفاح المرير غير ضروري. لقد انحرف الإنسان كثيراً عن مساره الأصيل في هذه الحياة. من هنا نشأت المرارة التي يختبرها الإنسان خلال خوضه معترك الحياة. بدأ الأنبياء والمتنبئين يتلقون الرسائل الإلهية التي تخبرنا عن حقيقة الأمور. الحكماء والقديسين والمتنبئين، جميعهم كشفوا لنا آلية عمل القانون الإلهي. هم يعتبرون أعلى سلطة نعرفها. يعتبرون الأعلى منزلة لأنه في قلوبنا ندرك بأن ما قالوه هو الشيء الأقرب إلى الحقيقة من بين كل ما سمعناه في حياتنا. هذه النصوص المقدسة والحكم والتنبؤات وغيرها من صيغ أخرى تجلت فيها هي متوفرة اليوم لدى الجميع. وبالتالي يمكننا البدء بمساعدتنا على توجيه أنفسنا بشكل سليم في حياتنا الخاصة.

نحن نطوف عبر الزمن في رحاب الأبدية. نحن كما السفن التي تمرّ في الليل. نحن نحوز على كافة الاتصالات والعلاقات الضرورية في الوجود، لكننا ننبذها على الأغلب. لكن إذا لم ننبذها وبدلاً من ذلك حاولنا فهمها فسوف نكتشف بأن هذا النموذج العظيم للحياة هو أكثر جمالاً وأكثر روعة مما توقعنا منه أن يكون. إذا ذهبنا في نزهة بالبرية ومررنا عبر التلال والوديان ونرى الزهور تنمو عند جذور الأشجار العريقة، نحن نرى الجمال في كل مكان. نرى الأشياء في كل مكان تحقق نفسها. نرى النمو المذهل للحياة. نرى أن كل شيء من الأشياء تطلق الحياة من نفسها باستمرار. الإنسان الذي لديه منظومة عضوية أكثر تقدماً من تلك الأشياء يجهل تماماً حقيقة أن الانطلاق المستمر للحياة من داخل نفسه ينتج في مساهمته بتكوين الجمال الكلّي والتعاون الكلّي وإعادة التماثل الكلّي للكائنات الحية مع الحياة بداخلها. الطبيعة بروعتها منحتنا المئات من الألوان المختلفة للزهور والطيور والأسماك.. لقد خلقت كائنات حية دقيقة جداً بحيث حتى الميكروسكوب يكاد يراها. وها نحن نعيش وسط مساحة شاسعة عظيمة جداً لدرجة أن أقوى التلسكوبات تعجز عن سبر جوانبها. كامل هذا التناسق الشاسع والهائل ليس في حالة نزاع مستمر. الكواكب مثلاً لا تصطدم ببعضها، وأشكال الحياة المتنوعة هي مضبوطة من قبل إجراءات ثابتة، وكل هذه الأشياء تتكشف من داخل نفسها وفقاً للقانون. وعندما يسيء الإنسان التعامل مع هذا القانون سوف يتوقف عن التكشّف ولم يعد جزءاً من الخطة الكونية. إنه من المهم جداً بالنسبة له أن يعيد اعتبار هذه الخطة بعمق ويحاول التناغم معها ليحافظ على صالحه وأمانه.

لدينا أيضاً نقطة مهمة وجب معرفتها ولها علاقة أيضاً بالمقولة المتعلقة ***بطاحونة الإله***، وهي أنها أكثر من أي شيء آخر تشجعنا على الطاعة. لكن السؤال هو: من هي الجهة التي علينا إطاعتها؟ هل علينا إطاعة أولئك الغشاشين المحنكين الذين قادونا إلى المشاكل منذ بداية الزمن؟ هل نطيع أولئك الذين يسعون إلى استغلالنا؟ هل نطيع أولئك الذين يطيعهم الناس خوفاً على حياتهم منهم؟ هل نطيع أولئك الذين أوقعونا تحت تأثير مغناطيسي غامض بحيث استحوذوا على إرادتنا في الوقت الذي نعجز فيه عن المقاومة بأي شكل من الأشكال، وذلك لأننا لا نفهم ماهية هذا التأثير؟ في الحقيقة، الطاعة النهائية التي علينا ممارستها هي طاعة الخطة الكونية. أي أن نبقى في انسجام وتناغم مع إرادة السماء. أن نحافظ على القوانين التي مُنحت لنا عبر الشرائع التي نزلت على العالم بشكل متكرر عبر العصور.

منذ أقدم الأزمان كان هناك شرائع قانونية قامت بتوجيه سلوكنا. منذ أيام حامورابي في بابل، كان هناك أحد الشرائع العديدة التي ظهرت حينها وتتعلق بالرجل الذي يبني المنازل. الشريعة التي تتعلق بهذا الموضوع لها الكثير من التفرعات والتطبيقات المثيرة للاهتمام لكن جوهرها كان على الشكل التالي: إذا قام الرجل ببناء المنزل بشكل خاطئ وغير سليم، وذلك المنزل سقط وانهار أو لم يخدم الغاية من بناءه بشكل سليم، لدى المالك، الذي هو المتضرر الرئيسي، الحق في اختيار العقوبة التي تقع على البناء. إذا قال المالك أنه على البناء أن يُشنق فسوف يتم ذلك. لكن على الأغلب سوف يختار المالك إعادة بناء المنزل مرة أخرى لكن بشكل سليم. وإذا رفض البناء فعل هذا فسوف يتم سجنه. حتى في تلك الفترة القديمة، وجب أن يكون كل تعامل شريفاً. هكذا كان حكم الأمور قبل أكثر من ثلاث آلاف سنة. إذا تم الإمساك بأحدهم يزيّف أو يزوّر أو يفسد عمل أو منتوج معين، أو الكسر بوعد قطعه، أو تزوير شهادة أو تحريف مقولة أحد آخر، كل هذه الأشياء كانت تواجه العقاب بسرعة وفوراً. لم يكن هناك أي حاجة لمرافعة محامي محنك. إما أن العمل يتم بشكل سليم أو يتم إنزال العقوبة مباشرة. ربما لهذا السبب لازالت الأبنية التي أنشئت في تلك الفترة قائمة حتى اليوم. شريعة حامورابي تشمل أيضاً كافة أنواع التعاليم والقوانين الأخلاقية. تلك الشريعة التي كتبت قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة كانت أكثر شرفاً وأكثر حتمية وأكثر اختصار ووضوح من أي شريعة أنشأناها في الوقت الحالي. كانت تلك الشريعة تهدف إلى غاية واحدة وهي مكافئة الصالح ومعاقبة الطالح. هذا النوع من التفكير كان أساسي جداً، وتأسس على مبدأ بسيط. هذه الشريعة التي نسميها اليوم شريعة حامورابي لم يتم وضعها من قبل حامورابي بل وضعها الله وتم كشفها للملك العظيم ربما عبر مستشاريه أو أحد أولئك الذين يحيطونه. لكن السلطة النهائية والقوة النهائية تكمن في السماء.

كل من يخرق قوانين البشر قابل أن يخرق قوانين الله. من الواضح اليوم وجود قوانين تحمي المذنبين، لكن هكذا قوانين لم تكن في شريعة حامورابي. لكن في جوهرها، فإن القوانين التي تكون صالحة وسليمة تأصلت في حالات الوحي كتلك التي نسميها الوصايا العشر. وصايا القديسين والأنبياء كانت تمثل أساس الحضارة. كان على كافة البشرية أن تعيش في حضورها بحالة تواضع وسلام. فقط الأزلي هو ذاتي الحكم، أما ما تبقى فعليه أن يُحكم. فقط ذاك الذي هو الصانع الأبدي للقوانين يمثل سيّد الكون. وصانع القوانين هذا، هو خيّر بشكل لامحدود وحكيم بشكل لا محدود، وهو القوة الوحيدة التي نعرفها بأنها على إدراك كامل بغاياتها.

وفق هكذا ظروف، يمكننا تذكر مقولة أفلاطون الذي قال: ".. إن كانت جمهورية أو ديمقراطية فعلى الجهة الأفضل أن تحكم الباقين..". وفي الخطة الكونية العظيمة للأشياء، على الأفضل أن يحكم الباقين. والأفضل هنا هو المبدأ الأبدي للحياة ذاتها والذي يتجلى بهيئة تشكيلة متنوعة من القوانين الثابتة. هذه القوانين تمثل إرادة الخالق [عزّ وجلّ]. هذه القوانين هي المحتوى الفعلي للحياة الخيّرة وكيف يعيشها الإنسان حتى يتوصل مع الوقت إلى إحراز غايته النهائية. لكن في حضور هذه القوة، التي وحدها تعلم، كلنا نكون خدم وعبيد. كلنا في حالة عبودية للحقيقة، وهذه حالة سعيدة وبهيجة. بينما العبودية للخطأ والانحراف هي أكثر الحالات بؤساً يمكن تصورها. لكن خلال العبودية للحقيقة يكون العبئ خفيف والعمل سهل. خلال خدمتنا للحقيقة لن نجدها سيداً قاسياً، بل شيء يصبح ظريف وجدير بالعبادة أكثر وأكثر بالنسبة لنا. من خلال خدمة الحقيقة وخدمة بعضنا البعض وخدمة الخطة الإلهية نتوصل إلى السلام والسعادة والأمان. كل هذه المبادئ تدخل في عملية إدراك حقيقة أن قوانين الطبيعة تنجح في عملها. كل مكان في الطبيعة يوجد فيه عدالة إلهية. ومع مرور أجيال بعد أجيال على مسرح الوجود دون أن تعلم بهذه العدالة الإلهية، وإيمانهم بأنهم يستطيعوا العيش بطريقة مناقضة لها سوف يعزز استمرار سياساتهم الأنانية. لكن الحقيقة النهائية تبقى قائمة، وهي أنه ما من خطيئة نقترفها إلا وعلينا تصحيحها، وأنه ليس هناك أي حالة من الجهل إلا علينا تحويلها إلى حكمة، وليس هناك حالة كره إلا علينا تحويلها إلى محبة. كل شيء سلبي وخطير بالنسبة لنا يبرز أصلاً من جهلنا، وننشره خارجاً حولنا عبر وسائل الاتصال المختلفة المتوفرة اليوم. كل ما هو غير حقيقي سوف يتم جرشه وطحنه. كل ما هو حقيقي سوف يتم رفعه للأعلى. كل ما يتعلق بمستقبل العالم سوف يتم التعامل معه وسوف تتدخل الطبيعة وسوف يتم غسل ومسح كل تلك الأشياء المتعلقة بالمؤامرات والجرائم وغيرها، سوف يتم إجلاءها في النهاية من قبل الخطة الإلهية ذاتها. لكن هذا يبدو مسار طويل. هذا أمر لن يحصل في لحظة. لكن مدى تحقيق الأمر يعتمد بمعظمه على الإنسان. لأنه على هذا الكوكب فإن المشاكل التي يعاني منها الإنسان هي من صنع الإنسان. بالتالي فالتصحيح هو من واجب الإنسان أن يفعله. عليه أن يتوقف عن فعل ما يفعله، عليه أن يميز أخطاءه ويصحح توجهاته ومواقفه. السياسات التي لا تصلح للجميع لا تصلح بالتالي لأحد. وكل ذلك الكفاح من أجل السلطة والنفوذ هو مجرّد وهم. لطالما دخلنا في الصراعات، حرب بعد حرب، فقط من أجل السيطرة على هذه الحبة الصغيرة التي نسميها كوكب الأرض. لكن لنفترض أننا اكتسبنا المعركة فماذا تكون النتيجة؟ النتيجة المضمونة الوحيدة لكل إنسان هي المقبرة. آجلاً أم عاجلاً.

تحاول الطبيعة دائماً قول هذه الأشياء لنا. تحاول دائماً جعل الأمر أكثر وضوحاً لنا، وهو أن الطبيعة سوف تكسب في النهاية. ما من قوة يستخدمها الإنسان تستطيع أن تفسد القانون الذي يعتمد عليه أصلاً في وجوده. الفرد الذي يتباهى بأنه يستطيع خرق القانون الطبيعي هو في الحقيقة يقول بأن القانون يخرقه ويكسره ويحطمه. الإنسان لا يستطيع خرق أي قانون سوى تلك التي يصنعها بنفسه. فهذه الأخيرة ربما وجب خرق بعضها لكن البعض الآخر وجب احترامه. لكن في النهاية ما من إنسان يستطيع خرق القانون الإلهي. لا أحد يستطيع التدخل بالغايات الثابتة للخطة الأبدية. هذه الغايات سوف يتم تحقيقها في النهاية. وخلال تحقيقها سوف نتوصل جميعاً مع الوقت إلى حالة من الأمان الفعلي، والذي لا يمكن تدميره بواسطة الإجراءات السياسية. العالم المثالي الذي نأمله لا يمكن السيطرة عليه وحكمه من قبل أي طغيان طموح. ما نبحث عنه هو عالم يتوقف عن الإعتقاد بأنه في السيطرة على الشعوب الأخرى يكمن العظمة والمجد. العظمة تكمن في السيطرة على النفس. وهذا ما وجب علينا جميعاً تعلمه. وعندما نتعلمه سوف نكتشف ماذا تفعل ***طواحين الإله***. هذه الطواحين تحقق هذا الإنجاز الأخير المتمثل بجعل التكامل الأخلاقي أمر حتمي. ***هذه الطواحين سوف تجرش بعيداً القيم المزيفة. سوف تجرش بعيداً كل ما هو مدمّر وهدام.*** وربما في أحد الأيام سوف تجرش السيوف لتحولها إلى شفرات لفلاحة الأرض. لكن في النهاية، الخطة الإلهية تنجح دائماً في عملها. والإيمان الكبير بهذه الحقيقة يمثل قوة عظيمة للإنسان اليوم والذي يصارع الضغوط الهائلة التي يواجهها في حياته العصرية. إذا كنا ملهمين وصادقين مع أنفسنا فسوف ندرك بوضوح بأننا مندمجون مع الواقع بحيث نمثل شيء واحد معه. وإنه أفضل لك أن تكون مندمجاً مع الواقع بطريقة بسيطة وسليمة، بدلاً أن تكون حاكماً لكافة أمم الأرض.

الجزء الأوّل

الثـــروة

هل هي نعمة من الرب، أم شرك من الشيطان؟

المال

من وسيط تبادل إلى وسيلة سيطرة مطلقة

بما أن مجال العمل بالكامل بما فيه من مِهن وحِرف مختلفة يمثّل المفتاح لكافة الإنجازات البشرية وتلبية حاجاتها المختلفة، فمن الضروري وجود وسيط لتبادل المنتجات والخدمات المختلفة، خاصة بعد أن أثبت نظام مقايضة السِلع المعقدّ عدم جدواه، كما أن اقتصاداً حاكماً حيث كل فرد يعمل عبر الطاعة العمياء للأوامر أثبت عدم واقعيته إطلاقاً لأنه فشل في الاستفادة من المبادرات والمواهب الفردية المميزة. وقد تم فعلاً إبتكار الوسيط الذي يمثل البديل المناسب لنظام المقايضة، وهو المال، وجاء كحل مناسب جداً للمشكلة التي يعاني منها نظام المقايضة بالسلع. حتى في الحالة الطبيعية لا بد من أن يتم التوصل إلى ابتكار وسيط تبادل نسميه مال، إذ عندما تستقرّ مجموعة بشرية في مساحة جغرافية معيّنة سوف يتفق أفرادها بشكل تلقائي على سلعة ثمينة ثابتة، غالباً ما تمثّل الذهب أو الفضة، لاستخدامها كوسيط لمقايضة السلع فيما بينهم. ومن هنا جاء مفهوم المال، والذي أصبح اليوم يمثل وسيط التبادل الرئيسي والوحيد في العالم أجمع.

لكن من خلال الاطلاع على كامل فصول التطور التاريخي لهذا الوسيط للتبادل نجد أنه مثل السبب الرئيسي وراء الكثير من الكوارث والأزمات البشرية المأساوية، إن كانت اجتماعية أو سياسية أو حتى بيئية. لكن في النهاية، لا يمكننا اعتبار المال بأنه وسيط شرير بذاته، بل طريقة التعامل به واستخدامه هو الذي انحرف وصار سيئاً وخطيراً. لا بد من أن القارئ الكريم قد تعرف على تاريخ نشوء المال والسيطرة المالية في مصدر آخر، وهو بكل تأكيد تعرف على القصة التقليدية التي يألفها الناس. لكن من المؤكد أنه لم يستوعب بعد كامل المسألة المتعلقة بمدى خطورته ومدى تغلغله إلى حياتنا وطريقة عيشنا.

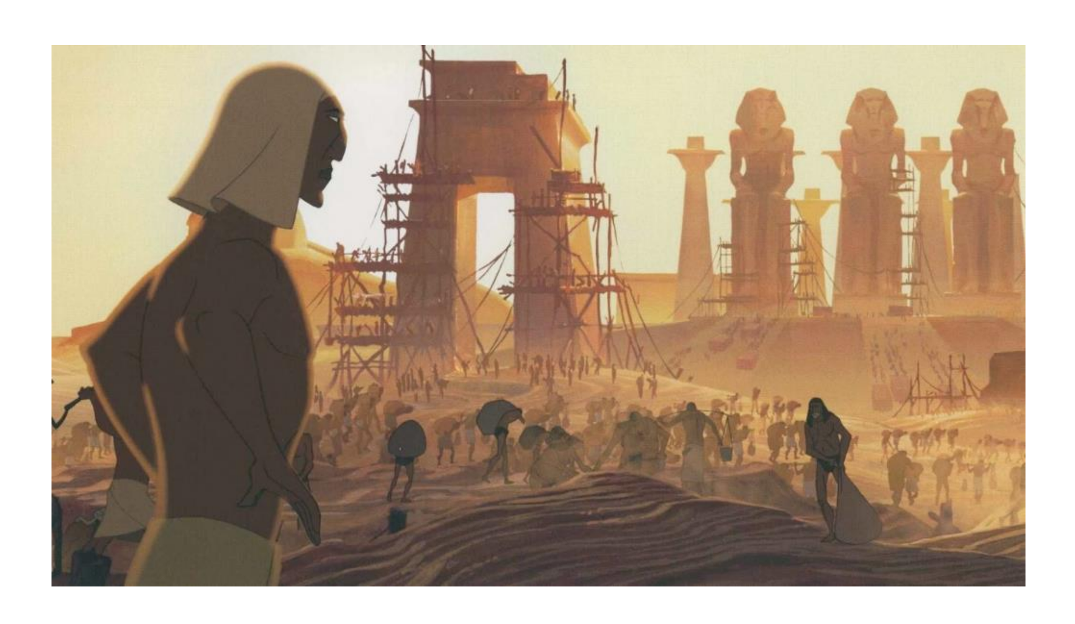
القصة التالية سوف توضح الكثير من الأمور التي لازالت غامضة. أساس المشكلة لا يعود إلى بداية نشوء مفهوم المال كوسيط تبادل، بل المشكلة بدأت بعد هذا التاريخ بفترة طويلة. المشكلة لم تكن أبداً متعلقة بالمال ذاته بل بالفكرة الشيطانية التي أوجدها أحدهم في إحدى فترات التاريخ بهدف

السيطرة والاستعباد الخفي، وقد نجحت هذه الفكرة بشكل مذهل واستمرت عبر التاريخ ولازالت قائمة حتى يومنا هذا. دعونا نتعرف على القصة أولاً ومن ثم نكمل هذا الموضوع.

كراتيوس الشيطان

مشى العبيد ببطئ ضمن صفوف منفردة، كل واحد منهم حمل على كتفه حجر مصقول. يوجد أربعة طوابير منفردة وكل من هذه الطوابير الطويلة يمتد على طول كيلومتر ونصف تقريباً، يبدأ عند مقلع الحجارة وينتهي عند موقع البناء، وهو تحت مراقبة مشددة ودائمة من قبل الحراس المسلحين. يوجد حارس عسكري واحد على كل عشرة عبيد.

على أحد جانبي درب المسيرة الطويلة، على قمة تلة اصطناعية ارتفاعها ثلاثة عشرة متراً مصنوعة من الحجارة المصقولة جلس "كراتيوس"، وهو أحد الكهنة الكبار. طوال الشهور الأربعة الماضية كان يراقب نشاط ورشة البناء بصمت. لم يصرف انتباهه أحد، ولا أي شخص يجرؤ على تعطيله عن تفكره العميق، حتى لو بلفتة نظر جانبية.



كل من العبيد والحراس اعتبر وجود هذه التلة الاصطناعية مع العرش الذي على قمتها كجزء من المشهد المحيط ولم يلتفت أحد إلى تلك الناحية ليرى الرجل على قمة التلة والذي إما يكون جالساً على العرش أو يمشي ذهاباً وإياباً ضمن مساحة المصطبة على قمة التلة. لقد تعهد "كراتيوس" على

عاتقه مهمة إعادة تنظيم الدولة، معززاً سلطة الكهنة لمدة ألف سنة قادمة، ومخضعاً لهم كافة سكان الأرض، ومحولاً الجميع دون استثناء (بما في ذلك حكام الدول) إلى عبيد تحت أقدام الكهنة.

في يوم من الأيام نزل "كراتيوس" من عرشه العالي فوق التلة، تاركاً بديل مكانه. قام الكاهن الأعلى بتبديل ثيابه وخلع لباس الرأس، ثم أمر رئيس الحرس بأن يقيده بالسلاسل كما يفعلون مع العبد البسيط ثم أدخلوه إلى طابور العبيد وتحديداً وراء عبد شاب قوي البنية اسمه "نارد". من خلال النظر إلى وجوه العبيد المختلفة، لاحظ "كراتيوس" بأن هذا الشاب تحديداً يملك نظرة هادفة ونافذة، وليس نظرة شاردة ومفككة كما العبيد الباقين. ملامح "نارد" كانت تتبدل بين الحماس الشديد وبين التأمّل العميق. وهذا يعني، كما أدرك الكاهن، أنه يدبر خطة من نوع ما، لكن أراد الكاهن أن يؤكد صحة ما لاحظه.

طوال يومين كاملين، راقب الكاهن كل حركة يقوم بها "نارد". كان يسحب معه الحجارة، ويجلس بجانبه خلال تناول الطعام، وينام بقربه ليلاً في الثكنة. في الليلة الثالثة، مباشرة بعد إطلاق الأمر بالنوم، أدار "كراتيوس" وجهه نحو العبد الشاب وبصوت فيه نغمة المرارة والإحباط، همس إليه قائلاً: *".. هل سيستمر الوضع كما هو عليه حتى باقي حياتنا؟.."*

راقب الكاهن كيف تململ العبد الشاب ثم استدار نحوه ليواجهه. كانت عيناه تلمع ويمكن ملاحظتها حتى مع النور المنخفض للثكنة الكهفية التي هي عبارة عن تجويف صخري. همس العبد الشاب قائلاً: *".. هذا لن يدوم طويلاً.."*، ثم أكمل كلامه قائلاً: *".. كنت أعمل على خطة.. ويمكن لك أيها العجوز أن تكون جزء منها.."*.

سأله الكاهن بتنهيدة غير مبالية: *".. ما نوع هذه الخطة؟.."*.

راح "نارد" يشرح بثقة وحماسة: *".. كما سترى يا أيها العجوز، قريباً سوف تكون أنت وأنا وجميعنا رجال أحرار بدلاً من كوننا عبيد.. فكر بالأمر بنفسك، يوجد حارس واحد فقط لكل عشرة منا. وحارس واحد أيضاً لخمسة عشر امرأة عبدة من الذين يقومون بالطبخ والخياطة. عندما يحين الوقت، إذا أطبقنا جميعاً على الحراس مرة واحدة، سوف نتغلب عليهم. لم يعد مهماً إن كان الحراس*

مسلحين ونحن مقيدين بالسلاسل. نحن نفوقهم بالعدد، عشرة مقابل واحد، ويمكننا استخدام السلاسل التي تقيدنا كسلاح، ولتحمينا من ضربات سيوفهم. سوف نجرّد كل الحراس من السلاح، ثم نقيدهم ونحتجز أسلحتهم.." .

تنهد "كراتيوس" مرة أخرى قائلاً: *".. تمهّل قليلاً أيها الشاب.."*، ثم أضاف بنبرة غير مبالية مزيفة قائلاً: *".. خطتك ليست موضوعة بشكل مكتمل.. صحيح أنك تستطيع تجريد الحراس من السلاح، لكن سوف لن يمضي وقت طويل قبل أن يرسل الحاكم من يحل مكانهم، وربما يرسل جيش بكامله، وسوف يأمر في النهاية بقتل المتمردين.."* .

قال العبد الشاب: *".. لقد فكرت بذلك أيضاً أيها العجوز.. وجب أن نختار توقيت بحيث لن يكون الجيش موجوداً في البلاد.. وذلك الوقت قادم قريباً.. جميعنا لاحظنا بأن الجيش يحضر نفسه لحملة عسكرية خارج البلاد.. هم يجهزون المؤن التي تكفي لمسيرة مدتها ثلاثة شهور. هذا يعني أن الحملة العسكرية سوف تصل إلى الموقع المستهدف خلال ثلاثة شهور ومن ثم يشتبك مع العدو في المعركة. سوف يضعف الجيش بعد المعركة، رغم أنه سينتصر في النهاية، ويجلب معه الكثير من العبيد الجدد.. حتى أنهم يبنون الآن ثكنات جديدة لتستوعبهم.. علينا أن نبدأ بتجريد الحراس من السلاح في اللحظة التي يشتبك فيها الجيش بالمعركة.. الرسل سيحتاجون لمدة شهر من السفر للذهاب وإبلاغهم، وسوف يستغرق الجيش، الضعيف من المعركة، مدة ثلاثة شهور في رحلة عودته.. بعد مرور هذه الشهور الأربعة سوف نكون قد جهزنا أنفسنا لملاقاتهم ومواجهتهم.. سوف يكون لدينا عدد مكافئ لهم من المقاتلين.. العبيد الجدد الذين أسروهم سوف يصطفون معنا بعد أن يروا ما يحصل.. لقد فكرت بكامل تفاصيل العملية مسبقاً أيها العجوز.."*

قال الكاهن بنبرة أكثر ابتهاجاً: *".. هكذا إذاً أيها الرفيق الشاب، بواسطة هذه الخطة التي وضعتها سوف تتمكن من تجريد الحراس من السلاح ومن ثم تتغلب على الجيش.. لكن ماذا سيحصل مع العبيد بعدها، وماذا سيحصل مع الحكام والحراس والجنود؟.."*

أجابه العبد الشاب متردداً وكأنه يفكر بصوت عالي: *".. لم أفكر بهذا الموضوع بشكل وافي.. شيء وحيد فقط يخطر في البال وهو أن كل من كان عبد في الماضي سوف يصبح حراً.. من ليس عبد اليوم سوف يصبح عبد غداً.."*

سأله "كراتيوس" قائلاً: *".. لكن ماذا عن الكهنة؟.. قل لي أيها الشاب، بعد انتصارك، هل ستجعلهم عبيد أيضاً أم لا؟.."*

أجابه "نارد" متسائلاً: *".. الكهنة؟.. لم أفكر بذلك أيضاً.. لكن الآن أنا أفكر بهم.. يمكن للكهنة أن يبقوا حيث هم.. كل من العبيد والحكام يسمعون لكلامهم.. يصعب علينا أن نفهمهم أحياناً، لكن لدي شعور بأنهم غير مؤذيين.. فليستمروا برواية قصصهم حول الآلهة، لكننا نعرف ما هو أفضل لنا في عيش حياتنا وكيف نمضي وقتاً ممتعاً.."*

قال الكاهن متسائلاً ببهجة: *".. نمضي وقتاً ممتعاً؟.. هذا عظيم.."*. ثم استدار متظاهراً بأنه متحمس للنوم وفي قلبه أمل كبير. لكن في الحقيقة، لم ينام "كراتيوس" أبداً في تلك الليلة، بل أمضى الليل متفكراً ومتأملاً.

فكّر "كراتيوس" بأن الإجراء الأبسط لحل هذه المسألة هو تقديم تقرير للحاكم ومن ثم القبض على هذا العبد الشاب، لأنه من الواضح أنه المحرض الرئيسي. لكن هذا لن يحل المشكلة. سوف يبقى لدى العبيد دائماً الرغبة في التحرر من الاستعباد. سوف يبرز دائماً محرضين جدد، وخطط جديدة للتحرر والانعتاق، وطالما بقي الأمر مستمراً كذلك، سوف يبقى التهديد الرئيسي للدولة آتياً من داخلها.

ها هو "كراتيوس" يواجه تحدي كبير يتمثل في وضع مخطط بهدف اسعباد العالم أجمع. أدرك بأنه ما من طريقة لتحقيق هذا الهدف عبر الإخضاع الجسدي وحده. ما يحتاجه هو ممارسة تأثير نفسي على كل فرد، على أمم وشعوب بكاملها. عليه أن يجعل كل كائن بشري يرى العبودية بأنها النعيم ذاته، ملؤه السعادة والهناء. كان على "كراتيوس" أن يطلق برنامج ذاتي التطور، يهدف إلى تضليل

أمم بكاملها، ويعمل على تشويش الذهن من حيث المكان والزمان والأفكار، وخصوصاً التشويش في إدراكهم المباشر للواقع.

راحت فكرة "كراتيوس" تعمل بتسارع، لم يعد واعياً بجسمه ولا بالقيود الثقيلة التي تكبل يديه ورجليه. وفجأة، مثل لمعة البرق، خطر في ذهنه برنامج. رغم أن بعض تفاصيله تتطلب العمل عليها، وبالتالي لا يستطيع شرح البرنامج لأحد، لكنه مع ذلك يستطيع الشعور به بداخله، يتجاوز مستوى النجاح بأشواط عديدة. بدأ يشعر "كراتيوس" مسبقاً بأنه أصبح الحاكم الكلي المقدرة وكلي السلطة في العالم أجمع.

مستلقياً على فراشه العشوائي، مقيداً بالسلاسل الثقيلة، كان مليئاً بالبهجة والتهليل للذات. راح يفكر:

".. غداً صباحاً عندما يسوقونا جميعاً إلى العمل، سوف أعطي الإشارة السرية لكي يخرجني رئيس الحرس من صفوف العبيد ويحررونـي من السلاسل والقيود. سوف أكمّل صياغة اللمسات الأخيرة من البرنامج، ثم أطلق الأوامر، ثم يبدأ العالم بأسره في التغيير. هذا مذهل! كلمات قليلة فقط، وسوف يصبح العالم بأسره ملكاً لي، ولأفكاري. لقد منح الله الإنسان فعلياً قوة غير مسبوقة في الكون، قوة التفكير البشري. تستطيع أن تخلق كلمات يمكنها تغيير مجرى التاريخ.."

".. لقد انقلب الوضع لصالحي فعلاً. لقد قام العبيد بتحضير خطتهم للتمرد. هذه الخطة منطقية فعلاً، ويمكنها بوضوح أن تقود إلى نتيجة مؤقتة لصالحهم. لكن من خلال بعض الأوامر التي أطلقها لاحقاً، سوف أضمن بأنه ليس هم فحسب، بل حتى أحفادهم المستقبليين، وكذلك حكام الأرض أيضاً، سوف يبقوا عبيد لآلاف السنين القادمة..".

في الصباح التالي، بعد أن أعطى "كراتيوس" الإشارة، حرره رئيس الحراس من قيوده. وفي اليوم التالي تم دعوة الكهنة الكبار الخمسة الآخرين، مع الفرعون، إلى مصطبة المراقبة التي داوم عليها "كراتيوس". بدأ "كراتيوس" بإلقاء خطابه أمام الحضور، وكان على الشكل التالي:

".. ما سوف تسمعونه الآن وجب عدم تسيجله بالكتابة أو نقله لأحد خارج هذه الدائرة. ليس هناك جدران حولنا، وبالتالي كلماتي سوف لن يسمعها أحد سواكم. لقد فكرت بطريقة تحول كل من يعيش في هذا العالم إلى عبيد للفرعون. وهذا أمر لا يمكن تحقيقه حتى بمساعدة عدد هائل من الجيوش والحروب المرهقة. لكنني سوف أحقق هذا الأمر عبر استخدام مجموعة قليلة من العبارات البسيطة. كل ما علي فعله هو إصدار مجموعة أوامر وخلال يومين فقط سوف ترون بأنفسكم كيف يبدأ العالم في التغيير.."

".. القوا نظرة إلى الأسفل هناك وسوف ترون طوابير طويلة من العبيد المقيدين بالسلاسل، كل من هذه العبيد يحمل حجر. يحرسهم مجموعة من الجنود. كلما زاد عدد العبيد فهذا يكون أفضل لصالح الدولة، أو هكذا كنا نظن دائماً. لكن في الحقيقة، كلما زاد عدد العبيد كلما كنا مضطرين لأن نخاف من تمردهم. لذلك قمنا بزيادة عدد الحراس.."

".. نحن نطعم العبيد بشكل جيد، وذلك لكي يتمكنوا من ممارسة أعمالهم الشاقة بشكل سليم. لكن رغم ذلك نراهم كسالى ويميلون دائماً إلى التمرد والعصيان. أنظروا كيف يسيرون ببطء، وكذلك الحراس أصبحوا أيضاً كسالى وحتى أنهم لا يكلفون أنفسهم باستخدام السياط لضرب حتى أقوى العبيد وأكثرهم صحة. لكنهم قريباً سوف يسيرون بسرعة أكثر. سوف لن يعد هناك حاجة لحراس. حتى الحراس نفسهم سوف يتحولون إلى عبيد. كل هذا سوف يتم عملياً على الشكل التالي:

".. قبل الغروب اليوم سوف يتم إرسال الرسل إلى كل مكان في البلاد لإعلان المرسوم الذي أصدره الفرعون. وفقاً لهذا المرسوم، مع فجر اليوم التالي سوف يُمنح جميع العبيد حريتهم الكاملة. ومقابل كل حجر يُجلب إلى موقع البناء يقبض العامل الحر (العبد المحرر) دينار واحد. يمكن لهذا الدينار أن يُدفع مقابل الطعام والكساء وأجرة السكن في مكان بالمدينة، أو ربما في مدينا بكاملها. من الآن وصاعداً أصبحتم أناس أحرار.."

بعد أن تفكر الكهنة والفرعون بخطة "كراتيوس" واستوعبوها جيداً، قال الكاهن الأكبر: *".. أنت شيطان يا كراتيوس.. الفكرة الشيطانية التي خلقها مخططك سوف تنتشر وتسود في معظم أمم الأرض.."*

أجاب "كراتيوس" قائلاً: *".. إذاً، قد أكون شيطان فعلاً، وما ابتكرته من مخطط سوف يشير إليه الناس في المستقبل باسم الديموقراطية.."*

عند غروب الشمس تم إعلان المرسوم الفرعوني للعبيد. أصيبوا بدهشة كبيرة. الكثير منهم عجز عن النوم ليلاً، راحوا يفكرون في الحياة السعيدة الجديدة التي تنتظرهم. في الصباح التالي صعد الكهنة والفرعون إلى مصطبة المراقبة مرة أخرى. لم يصدقوا المشهد الذي يتجلى أمام عيونهم. الآلاف من العبيد السابقين يتسابقون فيما بينهم، يحملون الحجارة كما في السابق. يتصببون عرقاً، وبعضهم يحمل حجرين بدلاً من حجر واحد، بينما الذين حملوا حجر واحد فقط كانوا يركضون بدلاً من المشي البطيء، كان الغبار يتطاير خلفهم. حتى بعض الحراس الجنود أعجبوا بهذه الوسيلة التي تدر عليهم مالاً إضافياً فراحوا ينقلون الحجارة مع العبيد السابقين. أما هؤلاء الأفراد، الذين أصبحوا يعتبرون أنفسهم أحراراً، صحيح أنه لم تعد تكبلهم السلاسل، لكن رغم ذلك راحوا يجتهدوا بكل ما عندهم لكسب المزيد من المال، وذلك لكي يتمكنوا من إنشاء حياة سعيدة ورغيدة لأنفسهم.

استمر "كراتيوس" في البقاء بموقعه في مصطبة المراقبة على ظهر التلة الاصطناعية، وذلك لعدة شهور لاحقة، راح يراقب ما يجري هناك في الأسفل برضى واكتفاء. كان التحوّل هائل ومذهل. بعض العبيد (السابقين) نظموا أنفسهم ضمن مجموعات وقاموا ببناء عربات لنقل الحجارة. راحوا يراكمون الحجارة بكميات على العربات ثم دفعوها أو جروها نحو موقع البناء، كانت أجسادهم تتصبب عرقاً لكنهم كانوا سعيدين.

فكر "كراتيوس" داخل نفسه ببهجة ورضى: *".. سوف يبتكرون الكثير من الأجهزة والأدوات الأخرى.."* . لقد بدأت تظهر خدمات متعددة للبيع في ساحة العمل، مثل بيع الطعام والشراب. بعض العبيد (السابقين) كانوا يأكلون خلال عملهم ولم يرغبوا في تضييع الوقت في العودة إلى الثكنات والجلوس من أجل الطعام، فراحوا يدفعون ثمن طعامهم في موقع العمل من المال الذي كسبوه. يا للعجب! أصبح لديهم أيضاً خدمة طبية في موقع العمل، حيث راح الأطباء يجولون بين العمال عارضين خدمتهم مقابل المال. حتى أن العمال عينوا منظمين للسير لمنع الازدحام. ومع مرور الوقت سوف يعينوا حكامهم وقضاتهم. فليختاروا ويعينوا من يشاؤا، في النهاية هم يعتبرون أنفسهم

أحرار الآن، رغم أنه لم يتغير شيء في الحقيقة. ها هم يعملون بنفس الموقع ويتعاملون مع نفس الحجارة كما كانوا يفعلوا في السابق، عندما كانوا عبيد.

المال الذي كانت الدولة تصرفه لإطعام العبيد ورعايتهم، وكذلك دفع إيجار الحرس ومستلزماتهم، تحول إلى أجرة من حق العمال الجدد. أي أنه لم يتغير شيء إطلاقاً. ليس هناك أي خسائر من أي نوع. بل بالعكس، حيث زادت وتيرة العمل وزاد النشاط والاجتهاد وارتفعت المعنويات، فزادت سرعة الإنجاز في العمل.

واستمرت هذه الحالة على مر العصور اللاحقة حتى يومنا هذا. لازال أحفاد أولئك العبيد يركضون اليوم من هنا إلى هناك، وسط الغبار المتطاير، يحملون الحجارة ويتصببون عرقاً. لكنهم يفعلون ذلك بسعادة وهناء، لأنهم يكسبون المال، لقمة العيش، ولازالت تتملكهم قناعة تامة بأنهم أحرار. يا سلاااام... ما أجمل الحياة.

قد يظن القارئ الكريم بأن هذا لا يتجاوز شريحة العمال العاديين اليوم، ولا يمكن إسقاط هذا المفهوم على رؤساء الشركات والموظفين الحكوميين والمستثمرين وغيرهم من شرائح رفيعة في المجتمع. هل ترى أي فرق بين هذه الشرائح العليا وشريحة العمال؟ لديك من جانب أناس يعملون وينقلون الحجارة كما العبيد، بينما الآخرين يديرون عملية النقل. قد نعتقد بأن إدارة العمل هي أمر مختلف، لكنه في الحقيقة يعتبر من الأعمال التي هي أكثر تعقيداً وإرهاقاً من نقل الحجارة. التفكير وإرهاق العقل لا يقل إجهاداً من العمل الجسدي. وفقاً لهذا المفهوم يمكننا اعتبار الرؤساء والملوك والوزراء وحتى الأثرياء بأنهم عبيد! كل من هو عالق في شبكة المنظومة المالية، التي هي وهمية أصلاً، ويتعامل معها وكأنها تمثل الواقع الحقيقي ويبني عليها حياته وآماله هو عبد مكبل بقيودها. يكون عالق في شباك اللعبة التي ابتكرها "كراتيوس" منذ آلاف السنين، ولازالت قائمة حتى اليوم، لكنها صارت أكثر تعقيداً وأكثر نفاذاً إلى حياتنا الداخلية.

لكن طالما أن هناك عبيد، لا بد من وجود أصحاب لهؤلاء العبيد، من هم هؤلاء الأسياد؟ الجواب بسيط: إنهم أحفاد "كراتيوس" ورفاقه. جميع الدلائل البحثية اليوم تشير إلى أن أصول النخبة العالمية المسيطرة، من بينهم أصحاب البنوك والمصارف والمؤسسات المالية الكبرى، تنتمي إلى سلالة

مصرية قديمة تعود إلى الفرعون رعمسيس الثاني. ذكرت بعض الدلائل على هذه الحقيقة في كتاب سابق (عنوانه: المسيطرون). لكن مع مرور الوقت لم يعد هؤلاء مضطرين لإدارة العملية بشكل مباشر، أي لا حاجة لحضورهم على الميدان وتسيير الأمور، لأنه مع مرور الوقت، ساهم الإنسان المسكين في بناء عالم وهمي اصطناعي يزيد من القبض عليه وخنقه تلقائياً. لم يعد هناك حاجة لوجود حراس في الميدان لإدارة العملية. صارت العملية تلقائية تماماً. الحراس يقبعون اليوم داخل الإنسان، في عقله وجسمه، يضربونه بالسياط ويحفزونه على كسب المزيد من المال لإرضاء شهواته ورغباته الدنيوية المختلفة. لم يعد للإنسان أي غاية أخرى في الوجود سوى هذه الغاية.

إنه مشهد محزن فعلاً. ويبدو أنه ما من مخرج من هذه الورطة الكبيرة التي أوجد نفسه الإنسان فيها. عبر آلاف السنوات السابقة، جاءت امبراطوريات وذهبت، ظهرت أديان وتغيرت القوانين أكثر من مرة عبر التاريخ، لكن في النهاية لا شيء تغير. كما كان الإنسان عبد في السابق لازال عبد اليوم.

لازلنا نعيش في عصر الاستعباد

لكننا نعجز عن إدراك ذلك بسبب الطبيعة المظللة لحياتنا العصرية



قد يشعر الفرد في هذا العصر، حيث بدأنا ندخل إلى القرن الواحد والعشرين، بأنه أصبح متحضراً، وآزرته العلوم والتقنيات المتقدمة التي حاز عليها في التحرر من جميع مظاهر الاستعباد التي عانت منها البشرية في العصور السابقة. لقد زادت نسبة التعليم بشكل كبير، وأصبحنا مجتمعات مثقفة تعلم بكل ما يدور من حولها، إن كانت أمور سياسية، علمية، صحية... وغيرها. لكن هذا في الحقيقة

ليس سوى خداع بصري. ونحن لا زلنا نرزح تحت أبشع أنواع السيطرة والتحكم والاستبداد، رغم أن الأمر لا يبدو كذلك. جميعنا نزلاء في سجن غير مرئي يُسمى بـ"السوق الاستهلاكية العالمية" التي صممتها الشركات متعددة الجنسيات طوال فترة القرن الماضي، وعملت على بسط شباكها عبر العالم رويداً رويداً، تحت عنوان نشر الحضارة والتقدم، مع أنه كان لها أثر بالغ في الانحطاط الروحي والأخلاقي لشعوب العالم أجمع.

إذا تخلّينا عن سطحيتنا المعهودة، وتعمّقنا قليلاً في تفكيرنا، سوف نكتشف بوضوح أننا لسنا أحرار أكثر من العبيد الذين كانوا يُباعون ويُشترون في القرون السابقة. ومن أجل من لا يعلم بهذا الأمر، سوف أوضّح هذه الفكرة أكثر. هناك نوعان من السجن، ***السجن المرئي*** والملموس الذي قد يعاني منه الفرد بشكل مباشر ويدرك انه موجود. وهناك ***السجن غير المرئي*** وغير الملموس وله تأثير أكبر وأخطر على الفرد لأنه لا يراه أو يشعر به أبداً رغم تأثيراته السلبية الكبيرة التي يعاني منها يومياً.



السجن غير المرئي والملموس. جدرانه وقضبانه مصنوعة من عنصر المال، لكنه خفي وغير مرئي وغير ملموس. لا نستطيع إدراكه أو تحديد معالمه سوى من خلال التفكير العميق والتقييم الصحيح لحقائق الأمور

المسيطرون على مجريات الأمور لا يستطيعون الإبقاء على السيطرة إذا لم يتحكموا بعالم المعرفة الإنسانية من خلال قولبة العالم الأكاديمي حسب الرغبة، وكذلك وسائل الإعلام، وتحديد ما هو الرسمي وغير الرسمي من خلال التشريعات والمراسيم القانونية المحلية والدولية. حيث يتم إنشاء منهج عام يلتزم به الجميع (هذا المنهج الذي تم رسمه ووضعه وترسيخه تدريجياً وببطئ خلال فترة طويلة ومؤامرات كثيرة واغتيالات ومجازر وحروب وتحريف للحقائق وغيرها من إجراءات) يترسّخ ويصبح واقعاً مفروضاً، وحينها سيتابع هذا المنهج أو هذا النظام مسيرته من تلقاء نفسه، ذلك من خلال ظهور مسلّمات ثابتة يستحيل على الرعايا الخروج عنها وإلا أصبح الشخص غير سوياً.

المسألة ليست بالبساطة التي نظنها. هذه المجموعة المتربعة على قمة الهرم العالمي، هدفها هو ليس فقط سياسي أو اقتصادي أو غيره من ذرائع أخرى يتم تسويقها بين المثقفين الرسميين ومن خلالهم، بل هدفهم الأساسي هو قتل الإنسان في داخلنا... قتل كل ما هو مقدّس... إنهم يقضون عل كل ما هو أصيل في جوهرنا... فقط من اجل خلق الظروف المناسبة التي تمكن الأقلية من السيطرة على الأكثرية. ويبدو أنهم نجحوا في فعل ذلك دون علم أو إدراك منا. والسبب الرئيسي في استمرارية نجاحهم هو عدم معرفتنا بالضبط ما هي أهدافهم الحقيقية. فنحن مشغولون في قتال بعضنا البعض، وكره بعضنا البعض، والتآمر على بعضنا البعض، والسعي إلى إرضاء غرائزنا وإشباع شهواتنا الدنيوية وتلبية حاجاتنا الأنانية وتعزيز الطموح المنحرف والمبالغ به لدرجة أصبح خطيراً، ولا أحد من بيننا لديه الوقت الكافي للنظر إلى الأعلى ويشاهد كل تلك الخيوط المتدلّية من مكان عالي جداً والمربوطة بجميع الأطراف المتصارعة، ويتساءل.. من؟ كيف؟ ولماذا؟

المسؤول الرئيسي والوحيد عن الانتشار الواسع للإحباط والمعاناة في العالم هو مجموعة قليلة جداً من العائلات النخبوية. إنه عبارة عن نظام ماكر ويضعنا جميعاً تحت رحمته. إن الإله الأكبر المسمى بـ "النظام المصرفي" وما يوحيه من تعاليم مقدّسة متعلقة بـ"النمو الإقتصادي" و"الناتج القومي"، قد عمل على جعل الغالبية العظمى من أمم العالم تغرق في بحر من الديون، بينما تعوم نخبة قليلة من الناس على كميات هائلة جداً من الثروة.

كل عصر من العصور التاريخية كان له نموذجه وصيغته الخاصة التي تسمح لسيطرة النخبة. أما في هذا العصر الحالي فإن النموذج الذي رسخوه هو أكثر تقييداً وتدميراً للإنسان من أي وقت سابق

في التاريخ. في هذا السجن الكبير غير المرئي الذي نعيش فيه اليوم في هذا العصر، هناك أربعة شباك غير مرئية نتخبّط بها وتمنعنا من التعبير عن حقيقتنا. هذه الشباك غير المرئية تطوقنا بحيث لا نستطيع الحراك مع أننا لم نفطن بوجودها أبداً. هذه الشباك تم تصميمها وحياكتها بعناية من قبل المسيطرين، واعتقد بأنهم سيفعلون أي شيء من اجل الإبقاء على استمرارية السيطرة مهما كلّف الأمر، لأنه مجرّد ما نجحت الشعوب في الإفلات من هذه الشباك، هذا يعني نهاية السيطرة وانعدام القدرة على الضبط والتحكم. يمكننا تلخيص هذه الشباك الأربعة التي نتخبط فيها وفق المجالات التالية:

١. *المجال الروحي:* التربية المدرسية والاجتماعية المضادة لتنمية الكوامن الروحية الأصيلة. نشأنا منذ طفولتنا على معتقدات خاطئة وطريقة تفكير منحرفة نتيجة سعيهم الحثيث عبر العصور لنشر وترسيخ أيديولوجات دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية مزورة وليس لها أي علاقة بالواقع، لكنها بكل تأكيد تخدم مصالح المسيطرين بأفضل طريقة. والضربة الأخيرة التي وجهوها إلينا هي إعادتنا إلى أصل قرود.

٢. *المجال الصحي:* ترسيخ الأدوية الكيماوية بصفتها أدوات العلاج الوحيدة وذلك وفق المنطق الطبي المنحرف الذي يتمحور حول المال والربح المادي. ترسيخ طريقة الحياة الخاطئة والمؤذية لنظامنا البيولوجي. قمع أي منهج طبي أو علاجي آخر يختلف عن المنهج القائم.

٣. *مجال الغذاء:* الزراعة الملوثة بالكيماويات، والتلاعب الجيني بالمحصول الزراعي، والصناعات الغذائية الضارة.. وقمع المعلومات الحقيقية بخصوص فوائد وأضرار الأغذية.

٤. *مجال الطاقة:* الكهرباء، والوقود على أنواعها والتي أصبحت تمثل عصب الحياة العصرية. أي انقطاع في مصدر هذه الطاقة يسبب الشلل الكامل في حياتنا اليومية.

هذه المجالات الأربعة، تتمحور حول عامل واحد هو المال. هذه المجالات تمثل الأساس الذي ينطلق منه المجتمع الاستهلاكي المجنون الذي نألفه اليوم.



إننا ننشئ أطفالنا على حقيقة أن المال هو الطريق الوحيد للخلاص من البؤس..
فنمضي باقي حياتنا نهرول في هذا الطريق... المؤدي إلى جحيم الأسر والاستبداد

بعد أن نجحت مخططاتهم في تحويلنا بهذا العصر الحديث إلى مجتمعات استهلاكية، غبية وتافهة، بحيث لم نعد نتصور حياتنا دون وجود عنصر المال، بدأت الفصول التالية من اللعبة في التكشف والتجلّي تدريجياً. الهدف طبعاً هو تمكين السيطرة علينا أكثر وضمان ديمومة هذه السيطرة المطلقة لمدة آلاف السنين إذا أمكن. الموضوع التالي يكشف مدى الأعماق التي توصلوا لها لتكريس سيطرتهم المطلقة. كل هذا ونحن لازلنا نجهل ما يجيري وكيف يجري ولماذا يجيري. نكتفي بالمعلومات التي تقدمها لنا وسائل الإعلام الموجّهة ونتفاعل معها بصفتها تمثل الواقع بعينه، أما الحرب الشرسة التي تشنها علينا النخبة وتعمل على تدمير حيويتنا وجوهرنا الأصيل فلا نفطن بوجودها أصلاً.

أسلحة خرساء لحروبٍ صامتة

Silent Weapons for Quiet Wars

كل شيء تتوقعه من السلاح العادي يمكن للسلاح الأخرس إنجازه لصانعيه، لكن فقط وفق الآلية التي يعمل بها. هذا السلاح ***يطلق أوضاع معيّنة بدلاً من طلقات نارية***، طلقاته مدفوعة بمعالجة معلومات بدلاً من التفاعل الكيماوي (انفجار البارود)، تنشأ من معطيات جزيئية بدلاً من البارود، تنطلق من جهاز كمبيوتر بدلاً من مدفع، يديرها مبرمج كمبيوتر بدلاً من رامي قناص، وبأوامر من مصرفيين نافذين بدلاً من جنرالات عسكريين.

لا يُحدث أي صوت انفجار، لا يسبب أي جروح جسدية أو عقلية، ولا يتدخّل في الحياة الاجتماعية اليومية لأحد. لكنه بنفس الوقت، يُحدث ضجّة واضحة وجلية، ويسبب أضرار جسدية وعقلية واضحة وجلية، ويتدخّل في الحياة الاجتماعية اليومية للجميع بشكل واضح وجلي. التأثيرات التي يحدثها طبعاً هي واضحة وجلية فقط بالنسبة للمراقب الخبير والمتمرّس الذي يعلم أين يبحث وعن ماذا يبحث. لا يستطيع الناس استيعاب هذا السلاح، وبالتالي لا يصدقون بأنهم معرّضون لهجومه ويخضعون لتأثيراته لدرجة القهر والاستعباد.

قد يشعر الناس غريزياً بأن هناك خطأ في مكان ما، لكن بسبب الطبيعة التقنية للسلاح الأخرس، لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم بطريقة عقلانية وواضحة، أو التعامل مع المسألة بالاعتماد على الذكاء الفطري وحده. وبالتالي، لا يعرفون كيف يصرخون طلباً للنجدة، ولا يعرفون كيف يتشاركون مع الآخرين لحماية أنفسهم ضد هذا السلاح.

عندما ينطلق هذا السلاح تدريجياً، يتكيّف الناس مع حضوره ويتعلمون كيف يتحملون ويتعايشون مع انتهاكه التدريجي لحياتهم حتى يصل الضغط (النفسي نتيجة الوضع الاقتصادي) إلى مستوى متجاوز للحدود فينهارون تماماً.

لهذا السبب، يمكن اعتبار هذا السلاح الأخرس سلاحاً بيولوجياً. إنه يهاجم الحيوية، الخيارات، وقدرة التحرّك لدى أفراد المجتمع من خلال معرفة وفُهم والتحكّم بمصادر الطاقة الطبيعية والاجتماعية لديهم، وكذلك قوتهم وضعفهم العاطفي والعقلي والجسدي. ثم يتم مهاجمتها وانتهاكها وإضعافها والسيطرة عليها بالكامل.

مدخــل

من الناشر

أُرسل هذا المخطوط إلى مكاتبنا من قبل شخص مجهول. نحن لم نسرق الوثيقة، ولسنا متورطين في أي عملية سرقة من حكومة الولايات المتحدة، كما أننا لم نحصل على الوثيقة بأي وسيلة غير نزيهة أو غير قانونية. نشعر بأننا لا نعرّض "الأمن القومي" لأي خطر من خلال نشر هذه الوثيقة، بل بالعكس تماماً، حيث تم التأكّد من صحّتها وأصالتها، وبالتالي نشعر بأنه ليس فقط من حقنا نشرها، بل واجبنا الأخلاقي يفرض علينا فعل ذلك أيضاً.

وبخصوص كتاب التدريب هذا، فربما لاحظتم بأننا مسحنا العناوين الهامشية التي تكشف عن هوية العاملين في مركز التدريب التابع لوكالة المخابرات المركزية C.I.A. Training Center، لكنني أأكّد لكم بأن هذا الكتيّب أصلي وصحيح، حيث تم طباعته بهدف تقديم المتدرّبين الجدد إلى جوهر المؤامرة القائمة. لقد تم التأكيد على صحته من قبل أربعة أشخاص مختلفين من الكُتاب التقنيين للمخابرات العسكرية، وأحدهم خرج على التقاعد منذ فترة وجيزة ويرغب بشدّة أن يُنشر هذا الكتيّب حول العالم، ولا زال يعمل كمهندس إلكتروني مع الحكومة الفدرالية، ولديه منفذ إلى سلسلة طويلة من كتيبات تدريبية مشابهة لهذا الكتيّب. وآخر معيناً في "هاواي"، ويحوز على أعلى ترخيص أمني في المخابرات البحرية، وآخر يدرّس في إحدى الجامعات، ويعمل مع وكالة المخابرات المركزية منذ سنوات طويلة، ويريد الخروج من هذه الحلقة المظلمة قبل أن يقع الفأس على رؤوس المتآمرين.

نعتقد بأنه وجب على العالم أجمع أن يعلم بهذه الخطة، لذلك قمنا بنشر مئة نسخة من هذه الوثيقة لشخصيات سياسية مسؤولة حول العالم، لنسأل هؤلاء المحتلين لمناصب عليا عن آراءهم

بخصوصها. كافة الآراء نصحتنا بنشر هذه الوثيقة لأكبر عدد ممكن من الناس على أمل أن يعرفوا ويفهموا ويتنبهوا بأن ***الحرب*** قد أعلنت عليهم، وليس هذا فحسب، بل أن يتعرّفوا على العدو الحقيقي للإنسانية.

مقدمـة

من الناشر

نظريات المؤامرة ليست جديدة في التاريخ. فطالما زخر التاريخ بمخططات اغتيال القيصر والانقلاب على روما. لكن مع ذلك، نادراً ما ظهر إلى العلن دلائل ملموسة تشير إلى هذه المؤامرات بالإثبات المادي بحيث يألفها الناس.

أسلحة خرساء لحروب صامتة هو مدخل لكتاب إرشاد برمجة إلكترونية، تم الكشف عنه بالصدفة في ٧ يوليو ١٩٨٦م، عندما اشترى موظّف في شركة طائرات "بوينغ" Boeing Aircraft Co. ناسخة IBM من بين مجموعة قطع مُستعملة معروضة للبيع، واكتشف بداخلها تفاصيل مخطط، تعود أصوله للأيام الأولى من الحرب الباردة، يهدف إلى السيطرة على الجماهير من خلال التحكّم بالاقتصاد، مجالات التسلية والترفيه، وكذلك التعليم والميول السياسية. مخطط ينادي لثورة صامتة، تضع الأخ ضدّ أخيه، وتحريف انتباه العامة عن ما يجري بالضبط من حولهم.

الوثيقة التي ستقرئها الآن هي صحيحة. وقد تم طباعتها بصيغتها الأساسية، والأشكال مصوّرة من النسخة الأصلية.

....

الوثيقة التالية مؤرّخة في شهر أيار من العام ١٩٧٩م، واكتُشفت في ٧ تموز ١٩٨٦م في ناسخة IBM مُستعملة تم شراءها من بين خرداوات مُستعملة.

ســـرّي للغايـــة

أسلحة خرساء لحروب صامتة
Silent Weapons for Quiet Wars

كتاب إرشاد تقني للبحث العملياتي
Operations Research Technical Manual TM-SW٧٩٠٥.١

هذا المنشور يتزامن مع الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لإطلاق ***الحرب العالمية الثالثة***، المُشار إليها بـ"الحرب الصامتة"، والتي تجري على شكل حرب بيولوجية فاعلة، وتُشنّ بواسطة "أسلحة خرساء".

هذا الكتاب يحتوي على المقدمة التوصيفية لهذه الحرب واستراتيجيتها وأسلحتها المُستخدمة.
أيار ١٩٧٩ ١١٢٠-٧٤#

....

ضرورة السرّية
من المستحيل منطقياً مناقشة الهندسة الاجتماعية أو أتمتة المجتمع، أي هندسة أنظمة الأتمتة الاجتماعية (بواسطة أسلحة خرساء) على المستوى الوطني أو العالمي دون ضمان مفاعيل شاملة ونافذة تمكنا من السيطرة على المجتمعات أو القدرة على تدمير الحياة الإنسانية، أمثلة واضحة: الاستعباد أو المجازر الجماعية.

هذا الكتيّب هو نظير مماثل للمخطط الموصوف في الفقرة السابقة. وبالتالي وجب إخفاء هذه الوثيقة من الإدراك العام، وإلا فسوف يُعتبر تقنياً بأنه إعلان مُسبق وصريح لحرب داخلية. وبالإضافة، متما وصل شخص أو مجموعة أشخاص إلى منصب يمنحه قوة ونفوذ مطلقين ودون أي انتباه أو إدراك من قبل العامة، فلا بد أولاً من اللجوء إلى وسائل وتكتيكات تمكّنه من السيطرة الاقتصادية.

وبالتالي، يمكننا الاستنتاج مباشرة بأن هناك حرب داخلية خفية تجري بين هكذا شخص أو أشخاص نافذين وبين الجماهير منذ البداية.

الحلّ المناسب لمشاكل اليوم يتطلّب إجراء صريح وقاسي لا يرحم، لكن دون أن يمسّ القيم الدينية والأخلاقية أو الثقافية.

أنتم مؤهلين لهذا المشروع بسبب قدرتكم على النظر إلى المجتمعات الإنسانية بموضوعية وعقلية حسابية باردة، وبالإضافة إلى قدرتكم على تحليل ومناقشة ملاحظاتكم ومراقباتكم مع الآخرين الموازين لكم بالمستوى الفكري دون فقدان الميل للكتمان والتعقّل والتواضع. هذه الفضائل الثلاث ستستثمرونها لصالحكم الشخصي أولاً. فلا تنحرفوا عنها.

مقدمة تاريخية

لقد تطورت تكنولوجية ***السلاح الأخرس*** من "البحث العملياتي" *Operations Research*، وهو منهج تكتيكي استراتيجي تم تطويره تحت الإدارة العسكرية في إنكلترا خلال الحرب العالمية الثانية. الغاية الأصلية للبحث العملياتي هي دراسة المشاكل الاستراتيجية والتكتيكية للدفاع الجوي والأرضي لغرض الاستخدام المؤثّر لمصادر عسكرية محدودة ضدّ الأعداء (أي يمكن تصنيفه كمجال لوجستي logistic).

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يكتشف النافذون في مراكز القوة بأن المنهج ذاته يمكن أن يمثّل وسيلة مفيدة وفعالة للسيطرة المطلقة على المجتمع. لكن من الضروري توفّر أدوات أفضل لتحقيق ذلك.

يتطلّب مجال الهندسة الاجتماعية (تحليل وأتمتة المجتمع) وجود ارتباط وثيق بين كميات كُبرى من المعلومات (المعطيات) الاقتصادية المتغيّرة على الدوام، وبالتالي من الضروري توفّر أنظمة كمبيوتر تعالج المعطيات بسرعات هائلة بحيث تستطيع أن تسبق وتيرة نشطات المجتمع وتتنبأ بموعد انهياره واستسلامه.

كانت أجهزة الكمبيوتر المرحلية Relay computers قديمة الطراز، بطيئة جداً. لكن الكمبيوتر الإلكتروني، الذي ابتُكر عام ١٩٤٦ من قبل "ج.برسبر أكارت" J. Presper Eckert و"جون.و. ماوكلي" John W. Mauchly، جاءت كحل مناسب للمهمة.

القفزة الثورية التالية تمثّلت بتطوير "الطريقة البسيطة" simplex method للبرمجة الخطّية linear programming عام ١٩٤٧م على يد الرياضياتي "جورج.ب. دانتزيغ" George B. Dantzig.

وبعدها في العام ١٩٤٨م، تم اختراع الترانزيستور من قبل "ج. باردين" J. Bardeen، "و.هـ. براتن" W.H. Brattain، و"و.شوكلي" W. Shockley، مما فتح المجال لانتشار واسع لمجال الكمبيوتر عبر تقليص مساحة جهاز الكمبيوتر والمتطلبات الطاقة التي يحتاجها.

مع هذه الاختراعات الثلاثة، والموجّهة نحو هدف واحد، راح يتوقّع النافذون في مناصب القوة بأنه أصبح ممكناً بالنسبة لهم أن يتحكموا بالعالم أجمع بكبسة زرّ.

فوراً ومباشرةً، بدأت مؤسسة روكفيللر Rockefeller Foundation بالعمل، وأعطت منحة أربعة سنوات لجامعة "هارفارد"، ممولة ما يُعرف بـ"مشروع هارفارد للبحث الاقتصادي" Harvard Economic Research Project الذي يهدف لدراسة بنية وتركيبة الاقتصاد الأمريكي. بعدها بسنة، أي في ١٩٤٩م، دخلت القوى الجوية الأمريكية في المشروع.

في العام ١٩٥٢م انتهت مدة المنحة، وعُقد اجتماع رفيع المستوى للنخبة العالمية لتحديد المرحلة التالية لما يُسمى "البحث العملياتي الاجتماعي" social operations research. لقد كان مشروع هارفارد مثمراً جداً، حسبما أشارت المعلومات المنشورة لبعض نتائج الاجتماع في العام ١٩٥٣م الذي أقرّ بملائمة وإمكانية الهندسة الاقتصادية (كما أثبتت جدوى الهندسة الاجتماعية من قبل).

المرجع: (*Studies in the Structure of the American Economy* - copyright ١٩٥٣ by **Wassily Leontief**, International Science Press Inc., White Plains, New York).

بعد تصميمها وهندستها في النصف الأخير من الأربعينات، وقفت ***آلة الحرب الصامتة*** الجديدة، وهي عبارة عن جهاز كمبيوتر، بقطعها المطلية بالذهب في أرضية إحدى صالات الاستعراض عام ١٩٥٤م.

بعد ابتكار الـ"ماسر" maser (مكبر النبضات الكهربائية) في العام ١٩٥٤م، أصبحت قدرة إطلاق مصادر غير محدودة من الطاقة الذرية من الهيدروجين الثقيل في ماء البحر، وبالتالي توفّرت إمكانية نفوذ اجتماعي غير محدودة، إمكانية قابلة للتحقيق في غضون عقود قليلة فقط. كانت التركيبة بين الاثنين عامل إغراء لا يقاوم.

تم إعلان ***الحرب الصامتة*** بشكل سرّي من قبل النخبة العالمية في اجتماع أقيم عام ١٩٥٤م.

رغم أن منظومة الأسلحة الخرساء كاد أمرها أن يُكشف بعدها بـ ١٣ سنة، لكن مسيرة تطور هذه المنظومة الحربية الجديدة لم تواجه أبداً أي فشل أو تراجع أو عطل من أي نوع.

تاريخ هذه الوثيقة يتزامن مع الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لإطلاق الحرب الصامتة. وقد أحرزت هذه الحرب السرّية انتصارات كثيرة وعلى جبهات عديدة حول العالم.

مقدمة سياسية

في العام ١٩٥٤ أصبح واضحً بالنسبة للذين في مواقع السلطة بأنها مسألة وقت فقط، عدة عقود فقط، قبل أن تتمكن الجماهير العامة من إدراك وفهم مصدر القوة والنفوذ، حيث تصبح عناصر تكنولوجيا السلاح الأخرس قابلة للوصول بالنسبة للطوباوية العامة كما كانت كذلك بالنسبة للطوباوية الخاصة.

وبالتالي، فإن المسألة التي نالت الاهتمام الأوّل، والمتعلقة بجوهر الهيمنة، تمحورت حول موضوع علوم الطاقة energy sciences.

الطاقــة

تُعتبر الطاقة مفتاح لكل النشاطات الجارية في كوكب الأرض. العلوم الطبيعية Natural science هي دراسة مصادر الطاقة الطبيعية والتحكم بها، وبالتالي فالعلوم الاجتماعية social science، والمُعبر عنها نظرياً بأنها علم اقتصاد economics، هي دراسة مصادر الطاقة الاجتماعية والتحكم بها. وكلاهما يمثلان أنظمة محاسبة bookkeeping systems، أي ***رياضيات*** mathematics. وبالتالي، فالرياضيات هي علم الطاقة الأساسية. ويمكن للمحاسب (المسؤول عن دفتر الحسابات) bookkeeper أن يكون ملك إذا بقي الناس في جهل تام عن منهجية المحاسبة وحفظ الحسابات.

العلم يمثّل ***وسيلة*** للوصول إلى ***غاية*** معينة. الوسيلة هي ***المعرفة***. الغاية هي ***السيطرة***. وبعدها تبقى مسألة واحدة مهمة فقط: من سوف يكون المستفيد الأوّل؟

في عام ١٩٥٤ كانت هذه المسألة محور الاهتمام الأوّل. رغم أن ما تُسمى المسائل الأخلاقية طُرحت أيضاً، لكن الكفّة الغالبة رجحت لصالح قانون الانتقاء الطبيعي natural selection (متعلقة بصراع البقاء) حيث اتُفق على أن الشعب المنتمي لأمة معيّنة، أو شعوب العالم أجمع، والذي لا يستخدم ذكاءه هو ليس أفضل من الحيوانات المجرّدة من الذكاء. ويمكن اعتبار هكذا شعب بأنه مجرّد مجموعة من الوحوش عديمة الجدوى وبالتالي تقع بين خيارين أحلاهما مرّ، إما تمثّل عبئ ثقيل وجب التخلّص منه أو تُذبح وتُقدم لحومها على مائدة الطعام وهذا المصير البائس هو بإرادتها ورضاها في المقام الأوّل.

وكنتيجة لذلك، وبالتوافق مع مصلحة النظام والسلام والاستقرار العالمي المستقبلي، قُرّر بأن تُشنّ حرباً صامتة ضدّ الشعب الأمريكي تحقيقاً للهدف النهائي المتمثّل بالتحويل الدائم للطاقة الطبيعية والاجتماعية (الثروة) التابعة للأغلبية غير المسؤولة وعديمة الانضباط إلى أيدي الأقلية الجديرة، المنضبطة ذاتياً والأكثر مسؤولية.

من أجل تحقيق هذا الهدف، كان من الضروري خلق، وإنشاء، واستخدام أسلحة جديدة، والتي تبيّن لاحقاً أنها تنتمي لنوعية من الأسلحة الخفية جداً والمعقّدة جداً من ناحية آلية عملها وكذلك مظهرها

الخارجي المتجاوز لمجال إدراك واستيعاب العامة، وبالتالي تستحق الاسم "أسلحة خرساء" silent weapons.

وكنتيجة نهائية، الهدف الرئيسي من الدراسات الاقتصادية التي أجريت بأمر وبرعاية من قبل الأباطرة الرأسماليين (المصرفيين) وكذلك الصناعيين (منتجي السلع والخدمات) هو إنشاء اقتصاد قابل للتنبؤ بتوجهاته والتحكّم به حسب الرغبة.

من أجل تحقيق اقتصاد قابل للتنبؤ بشكل كامل، وجب إخضاع عناصر الطبقة الاجتماعية الدنيا للسيطرة الكاملة، أي وجب أن يكونوا دائماً مفلسين مادياً، مُدربين وموكلين بمهمات ووظائف وواجبات اجتماعية طويلة المدى ابتداءً من سن مبكرة جداً في حياتهم، ذلك قبل أن تسنح لهم أي فرصة للتساؤل حول صلاحية الوضع الراهن ومكامن الخطأ المسببة للبؤس في حياتهم. من أجل تحقيق هكذا نوع من الامتثال القسري، وجب تفكيك الأسرة المنتمية للطبقة الدنيا، ويتحقق ذلك من خلال زيادة انشغال الأهل بالمزيد من المهمات الموكلة إليهم ومن ثم إقامة مراكز رعاية وحضانة الأطفال خلال فترة الدوام.

أما جودة التعليم الممنوح للطبقات الدنيا، فوجب أن تكون من المستوى الأدنى. ذلك لكي تبقى هوة الجهل التي تعزل الطبقة الدنيا عن الطبقة الراقية متجاوزة لمستوى استيعاب وإدراك أفراد الطبقة الدنيا. عبر هكذا عقبات أوّلية، حتى ألمع الأفراد المنتمين للطبقة الدنيا يعجزون عن تحرير أنفسهم من المهمات الهائلة التي في انتظارهم بالحياة. هذا النوع من الاستعباد يُعتبر جوهرياً من أجل المحافظة على حالة معيّنة من النظام والاستقرار والسلام الاجتماعي لأفراد الطبقة العليا.

مقدمة وصفية للسلاح الأخرس

كل شيء تتوقعه من السلاح العادي يمكن للسلاح الأخرس إنجازه لصانعيه، لكن فقط وفق الآلية التي يعمل بها. هذا السلاح يطلق أوضاع معيّنة بدلاً من طلقات نارية، طلقاته مدفوعة بمعالجة معلومات بدلاً من التفاعل الكيماوي (انفجار البارود)، تنشأ من معطيات جزيئية بدلاً من البارود، تنطلق من جهاز كمبيوتر بدلاً من مدفع، يديرها مبرمج كمبيوتر بدلاً من رامي قناص، وبأوامر من مصرفيين نافذين بدلاً من جنرالات عسكريين.

لا يُحدث أي صوت انفجار، لا يسبب أي جروح جسدية أو عقلية، ولا يتدخّل في الحياة الاجتماعية اليومية لأحد. لكنه بنفس الوقت، يُحدث ضجّة واضحة وجلية، ويسبب أضرار جسدية وعقلية واضحة وجلية، ويتدخّل في الحياة الاجتماعية اليومية للجميع بشكل واضح وجلي. التأثيرات التي يحدثها طبعاً هي واضحة وجلية فقط بالنسبة للمراقب الخبير والمتمرّس الذي يعلم أين يبحث وعن ماذا يبحث.

لا يستطيع الناس استيعاب هذا السلاح، وبالتالي لا يصدقون بأنهم معرّضون لهجومه ويخضعون لتأثيراته لدرجة القهر والاستعباد.

قد يشعر الناس غريزياً بأن هناك خطأ في مكان ما، لكن بسبب الطبيعة التقنية للسلاح الأخرس، لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم بطريقة عقلانية وواضحة، أو التعامل مع المسألة بالاعتماد على الذكاء الفطري وحده. وبالتالي، لا يعرفون كيف يصرخون طلباً للنجدة، ولا يعرفون كيف يتشاركون مع الآخرين لحماية أنفسهم ضد هذا السلاح.

عندما ينطلق هذا السلاح تدريجياً، يتكيّف الناس مع حضوره ويتعلمون كيف يتحملون ويتعايشون مع انتهاكه التدريجي لحياتهم حتى يصل الضغط (النفسي نتيجة الوضع الاقتصادي) إلى مستوى متجاوز للحدود فينهارون تماماً.

لهذا السبب، يمكن اعتبار هذا السلاح الأخرس سلاحاً بيولوجياً. إنه يهاجم الحيوية، الخيارات، وقدرة التحرّك لدى أفراد المجتمع من خلال معرفة وفُهم والتحكّم بـ، ومهاجمة مصادر الطاقة الطبيعية والاجتماعية لديهم، وكذلك قوتهم وضعفهم العاطفي والعقلي والجسدي.

مقدمة نظرية

Theoretical Introduction

".. امنحني السيطرة على العملة المتداولة في أمة معيّنة، ولا يهمني بعدها من يصنع القوانين.."

Mayer Amschel Rothschild ١٧٤٣- ١٨١٢ ***ماير أمستل روثتشايلد***

إن ***تكنولوجية الأسلحة الخرساء*** القائمة اليوم هي ثمرة فكرة بسيطة تم اكتشافها والتعبير عنها ببراعة وكذلك تطبيقها بفعالية وكفاءة من قبل الشخصية المذكورة سابقاً: السيد ***ماير أمستل روثتشايلد*** *Mayer Amschel Rothschild*. لقد اكتشف السيد ***روثتشايلد*** العنصر المفقود الكامن في النظرية الاقتصادية والذي أصبح معروف بـ"التحريض الاقتصادي" economic inductance. هو طبعاً لم يفكّر بهذا الاكتشاف وفق المصطلحات والمفاهيم المُستخدمة في القرن العشرين، وفي الحقيقة، كان على التحليل الرياضياتي أن ينتظر حصول الثورة الصناعية الثانية، وكذلك ظهور النظرية الميكانيكية والإلكترونية، وأخيراً، اختراع الكمبيوتر الإلكتروني، قبل أن يُطبّق بشكل فعّال في عملية التحكّم بالاقتصاد العالمي.

مفاهيم عامة تتعلّق بالطاقة

General Energy Concepts

خلال دراسة منظومات الطاقة المختلفة، يظهر دائماً ثلاثة مفاهيم أساسية. وهي: الطاقة الكامنة potential energy، الطاقة الحركية kinetic energy، تلاشي الطاقة energy dissipation. وكمتممات مشابهة لهذه المفاهيم، هناك ثلاثة نظائر فيزيائية نقية ومثالية، وتُسمى عناصر كامنة (هامدة).

. في المجال العلمي المتعلّق بالفيزياء الميكانيكية physical mechanics، ترتبط ظاهرة ***الطاقة الكامنة*** مع خاصية فيزيائية تُسمى مرونة أو صلابة، ويمكن استعراضها بواسطة نابض متمدد.

. في المجال المتعلّق بالعلوم الإلكترونية electronic science، تُخزّن ***الطاقة الكامنة*** في مكثفة بدلاً من نابض ممتدّ. هذه الخاصية تُسمى "السعة" capacitance بدلاً من المرونة أو الصلابة.

ـ في المجال العلمي المتعلّق بالفيزياء الميكانيكية، ترتبط ظاهرة ***الطاقة الحركية*** بخاصية فيزيائية تُسمى "قصور ذاتي" inertia أو "الكتلة" mass، ويمكن استعراضها من خلال دوران كتلة معيّنة أو عجلة موازنة flywheel.

. في المجال المتعلّق بالعلوم الإلكترونية، تُخزّن ***الطاقة الحركية*** في محرّض (مجال مغناطيسي مثلاً) بدلاً من كتلة دورانية. وهذه الخاصية تُسمى "تحريض" inductance بدلاً من "القصور الذاتي" inertia.

ـ في المجال العلمي المتعلّق بالفيزياء الميكانيكية، ترتبط ظاهرة ***تلاشي الطاقة*** بخاصية فيزيائية تُسمى "احتكاك" أو "مقاومة"، ويمكن استعراضها من خلال آلة متحرّكةتحوّل الطاقة إلى حرارة.

. في المجال المتعلّق بالعلوم الإلكترونية، يتجسّد ***تلاشي الطاقة*** بواسطة عنصر يُسمى إما "مقاوم" أو "ناقل"، والمصطلح "مقاوم" يُستخدم عامةً لوصف عنصر نموذجي (مثل سلك ناقل) يُستثمر لنقل الطاقة الإلكترونية بشكل كفؤ من موقع إلى آخر. وخاصية المقاومة أو الناقلية تُقاس على أنها تبادلية مقاومات أو نواقل.

أما في مجال الاقتصاد، فهذه المفاهيم الثلاثة مرتبطة بـ:

. ***السعة الاقتصادية*** Economic Capacitance
رأس المال (أموال، مدخرات/مخزونات، استثمارات في عمارات ومجالات ثابتة أخرى.. إلى آخره)

. ***الناقلية الاقتصادية*** Economic Conductance
سلع الإنتاج (حركة معامل الإنتاج)

. ***محرّضات اقتصادية*** Economic Inductance
الخدمات (تأثير قطاعات الاقتصاد على الخرج الاقتصادي)

وبالتالي نستنتج أن كل النظريات الرياضية التي تم تطويرها لدراسة منظومة طاقة معيّنة (كما هو الحال مع *الميكانيكوالإلكترونيات*) يمكن استخدامها أيضاً لدراسة أي نوع آخر من منظومات الطاقة (كما هو الحال مع *الاقتصاد*).

الطاقة التي اكتشفها السيّد روثتشايلد

ما اكتشفه السيد روثتشايلد هو المبدأ الأساسي *للقوة، التأثير، والسيطرة على الجموع البشرية* من خلال المجال الاقتصادي. هذا المبدأ يقول ".. عندما توحي بمظهر القوة، سوف يمنحك إياها الناس.."

لقد اكتشف السيد روثتشايلد بأن العملة المتداولة أو حسابات الوديعة المصرفية لديها المظهر المطلوب *للقوة* والتي يمكن استخدامها لتحريض الناس (كما يحصل التحريض في حالة المجال المغناطيسي) إلى تسليم ثروتهم الحقيقية مقابل *وعد* بثروة أكبر (بدلاً من تعويض حقيقي). يضعون بين يديه مادة ثمينة ملموسة (ذهب) مقابل قرض من الأوراق التعهّدية (سندات). وجد السيّد روثتشايلد بأنه يستطيع إصدار كمية زائدة من السندات بحيث تفوق قيمة الوديعة المالية الحقيقية، كل ذلك ممكن طالما أن لديه كمية معيّنة من الذهب لإغراء زبائنه.

لقد أقرض السيّد روثتشايلد أوراقه التعهّدية (سندات ائتمان) لأفراد وكذلك لحكومات. وهذا سوف يخلق حالة إفراط في الثقة. ثم يقوم بعدها بجعل الأموال نادرة في السوق، يضيّق قبضته على منظومة التداول في السوق، ثم يجمع المزيد من المواد الثمينة الإضافية مقابل تعهّدات تمثلها سندات ورقية لا قيمة لها. ثم بعد فترة يتم تكرار العملية مرّة أخرى، وهكذا. تبيّن أن هكذا نوع من الضغوط يمكن استخدامها لإشعال الحروب أيضاً. فيستطيع بعدها التحكم بتوافر العملة المتداولة بحيث يحدد الجهة التي تكسب الحرب. والحكومة التي قبلت أن تمنحه السيطرة على نظامها الاقتصادي هي التي تحوز على دعمه المالي فتنتصر في الحرب.

أما استرداد الديون فكان مضموناً بحيث إذا نقض الحاكم أو الأمير الدائن بوعده في سداد الدين فسوف يتم دعم عدوه اقتصادياً. الأرباح المجموعة من هذه المنهجية الاقتصادية جعلت السيّد روثتشايلد أكثر قابلية واستعداداً لتوسيع ثروته. لقد وجد أن الطمع البشري سيدفع الحكومات إلى

طباعة المزيد من أوراق العملة المتداولة بحيث تتجاوز الحدود التي يدعمها رصيد المعادن الثمينة (الذهب) أو إنتاج السلع أو الخدمات، مما يؤدي إلى حصول تضخّم مالي inflation وهذا ما كان يسعى إليه بالضبط.

الرأسمال الظاهري على شكل محرّض ورقي
Apparent Capital as "Paper" Inductor

في هذه التركيبة، يتخذ الدين credit، والممنوح على شكل عنصر صافي نسميه "عملة متداولة" currency، مظهر رأسمال قائم بذاته، لكنه في الحقيقة رأسمال سلبي negative capital. صحيح أن لديه مظهر خدمة مالية، لكنه في الحقيقة عبارة عن دين أو سلفة. فيُعتبر بالتالي "محرّض اقتصادي" بدلاً من كونه "سعة اقتصادية"، وبالتالي إذا أردنا موازنته (تسكير الحسابات) فليس هناك أي طريقة سوى إشعال حرباً أو مجزرة أو كارثة أو غيرها لإزالة المودعين من المعادلة. السلع والخدمات تمثّل رأسمال حقيقي وملموس بحيث يُسمى "مجموع الناتج الوطني" gross national product، ويمكن طباعة العملة الورقية بكميات توازي قيمة هذا الناتج، ومع ذلك سوف يبقى ممثلاً لسعة اقتصادية economic capacitance. لكن العملة الورقية المطبوعة بكميات تتجاوز القيمة الحقيقية للناتج الوطني تخفض من هذه القيمة، وتمثّل العملة بعدها عملية تحريض اقتصادي، حيث تتحوّل الأوراق النقدية إلى أوراق مديونية.

وبالتالي فالحرب تمثّل عامل ضروري لموازنة هذه المنظومة المالية، حيث يُقتل الدائنين الحقيقيين (المواطنين العاديين الذين تم تعليمهم كيف يستبدلون ما لديهم من سلع وخدمات ثمينة مقابل عملة متداولة عديمة القيمة) والعودة إلى ما تبقى من مصادر طبيعية وإعادة إحياء إنتاجية هذه المصادر.

لقد اكتشف السيد روثتشايلد بأن "العملة المتداولة" منحته القوة والقدرة الكافية على إعادة ترتيب البنية الاقتصادية بالتوافق مع مصالحه الخاصة، وكذلك نقل السعة الاقتصادية إلى تلك المواقع الاقتصادية التي تشجّع على حصول تذبذب وعدم استقرار اقتصادي كبير.

كان على المفتاح الأخير والأكثر أهمية لإحكام السيطرة على الاقتصاد، أن ينتظر حتى توفّرت وسائل متطورة لمعالجة المعطيات المعلوماتية بحيث تواكب الاهتزازات الاقتصادية التي تخلقها عمليات مثل "صدمة الأسعار" price shocking والتباين في كميات الأوراق النقدية المتوفرة في السوق وتُسمى عملية "التضخّم/التحريض الورقية" paper inductance/inflation.

تطوّر ثوري

Breakthrough

ساهم مجال الطيران في حصول أكبر تطوّر في الهندسة الاقتصادية عبر اكتشاف النظرية الرياضية المتعلقة بـ"اختبار الصدمة" shock testing. تجري هذه العملية في مجال الطيران على الشكل التالي: يتم إطلاق عيار ناري من سلاح مُثبت على هيكل طائرة في الجو، ويتم مراقبة الصدمة التي تحدثها عملية إعادة التلقيم الأوتوماتيكي للسلاح عبر وصل هيكل الطائرة بمجسّات اهتزاز تبيّن قيمة الذبذبات على لوحة تسجيل.

من خلال دراسة صدى أو انعكاس الصدمة التي تحدثها إعادة تلقيم السلاح المُثبت على هيكل الطائرة، أصبح ممكناً اكتشاف "الذبذبات الحرجة" critical vibrations المتجسّدة في هيكل الطائرة، والتي تمثّل مجموع صدمة التلقيم الأوتوماتيكي مع ذبذبات أخرى متجسّدة في هيكل الطائرة والقادمة من المحرّك أو الأجنحة (أو مجموع الاثنين معاً) فتتعاظم شدتها مما يؤدي إلى تجسيد وتيرة اهتزاز معيّنة تساهم في التدمير الذاتي لهيكل الطائرة خلال تحليقها في الجو. من المنظور الهندسي، هذا يعني أنه يمكن اكتشاف مكامن القوة والضعف في بنية هيكل الطائرة من ناحية طاقة التذبذب وبالتالي يمكن التحكّم بها.

تطبيق المفهوم السابق في مجال الاقتصاد

من أجل استخدام هذه الوسيلة في اختبار الصدمة بمجال الهندسة الاقتصادية، ***يتم إحداث صدمة في أسعار السلع***، ومن ثم تُراقب ردود أفعال المستهلكين. ثم تترجم الانعكاسات الناتجة من الصدمة الاقتصادية نظرياً من خلال كمبيوترات، حينها يتم اكتشاف "البنية النفسية/الاقتصادية" psycho-economic structure للاقتصاد القائم. وبهذه الطريقة بالذات يتم اكتشاف وتحديد الاختلافات الجزئية

والميول المختلفة التي تعرّف أفراد الأسرة وتجعل تقييمها ممكناً كوحدة اقتصادية/صناعية قائمة بذاتها (بنية استهلاكية مستنزِفة).

يمكن بعدها التنبؤ بردة فعل الوحدة الأسرية تجاه صدمات مستقبلية، وبالتالي يمكن التحكم بها. فيتحوّل المجتمع بالكامل إلى ***حيوان*** قابل للضبط والتنظيم حسب الرغبة، حيث يقع تحت السيطرة المباشرة لنظام محاسبة معقّد جداً يديره كمبيوتر مركزي.

في النهاية، سوف يقع كل عنصر فردي في البنية الاقتصادية تحت سيطرة الكمبيوتر، ذلك من خلال جمع معلومات كافية عن أهواءه وميوله، وهذه المعلومات توفرها منظومة خاصة تربط بين الكمبيوتر وخيارات الفرد، (أي يمكن معرفة ما يختاره من سلع وخدمات عبر ما يشتريه بواسطة بطاقة الائتمان credit card، ولهذا السبب ترى الرموز والأرقام التسلسلية وغيرها من أشياء مطبوعة على السلع، وبعد فترة من ترسيخ استخدام بطاقة الائتمان حول العالم سوف يستبدلونها بـ"وشم رقمي" يُطبع على الجسم بحيث يكون خفياً تمتماً في غياب أجهزة تحسّس خاصة).

النموذج الاقتصادي المثالي

كان "مشروع هارفارد للبحث الاقتصادي" *Harvard Economic Research Project* (١٩٤٨)، والذي يهدف لدراسة بنية وتركيبة الاقتصاد الأمريكي، مجرّد امتداد لمشروع "البحث العملياتي" *Operations* Research *العائد* إلى فترة الحرب العالمية الثانية. الغاية النهائية لهذا المشروع هي إيجاد علم جديد للسيطرة على اقتصاد معيّن، ويُطبّق أولاً على الاقتصاد الأمريكي ومن ثم توسيع تطبيقه حتى يشمل اقتصاد العالم أجمع. أدركوا أنه من خلال أسس رياضية ومعلوماتية (معطيات) كافية، سوف يصبح من السهل التنبؤ والتحكم بتوجّه اقتصاد معيّن بنفس سهولة التنبؤ والتحكم بالمسار المنحني للقذيفة النارية. وهذا ما حصل بالفعل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تحوّل الاقتصاد بالكامل إلى صاروخ موجّه نحو الهدف المرغوب.

أما الهدف المباشر لمشروع هارفارد، فتمثّل بإيجاد بنية اقتصادية معيّنة، ومعرفة ما هي القوى التي تغيّر هذه البنية، وكيف يمكن التنبؤ بسلوك هذه البنية، وأخيراً كيف يمكن التحكم بهذه البنية. ما

كانوا يحتاجونه هو معرفة منظمة جيداً للبنى الرياضياتية والعلاقة التبادلية لكل من الاستثمارات، الإنتاج، التوزيع، وأخيراً الاستهلاك.

يمكن اختصار القصة على الشكل التالي، اكتُشف بأن الاقتصاد (أي اقتصاد) يخضع لنفس القوانين التي تحكم مجال الكهرباء، وكذلك النظريات الرياضية وتطبيقاتها العملية، ومجال الكمبيوتر الذي تطوّر من مجال الإلكترونيات، جميعها يمكن تطبيقها مباشرة في مجال دراسة الاقتصاد. هذا الاكتشاف الكبير لم يُعلن عنه بشكل مفتوح، وتطبيقاته الخفية كانت ولازالت محروسة بعناية فائقة. فمثلاً، كما يُقاس الجهد الكهربائي، كذلك الحال مع حياة الإنسان التي وفق النموذج الاقتصادي الجديد تُقاس بالدولار. وكذلك الحال مع الشرارة الكهربائية المنطلقة بعد فتح فاصل كهربائي موصول بمحرّض نشط، حيث هذه الحالة تمثّل من الناحية الرياضياتية ***البدء بحالة حرب*** بالمفهوم الاقتصادي.

العقبة الكبيرة التي واجهها الاقتصاديون النظريون تتمثّل بالتوصيف الدقيق لحالة الوحدة الأسرية (الزوج والزوجة والأولاد) إذا اعتُبرت وحدة اقتصادية قائمة بذاتها تدخل في المنظومة الاقتصادية الكبرى. لقد مثّل هذا تحدي كبير بالنسبة للباحثين الاقتصاديين، لأن عمليات الشراء التي يجريها المستهلك تعتمد على عامل الاختيار حسب المزاج، والذي بدوره يتأثّر بعامل الدخل، السعر، وعوامل اقتصادية أخرى.

لكن هذه العقبة أزيلت فيما بعد، وبطريقة غير مباشرة لكنها دقيقة استاتستيكياً (إحصائياً)، ذلك من خلال تطبيق وسيلة "اختبار الصدمة" shock testing (الموصوفة سابقاً) من أجل تحديد الخاصيات الراهنة، والمُسماة بالمعامل التقني الراهن لاقتصاد الوحدة الأسرية household industry.

وأخيراً، لأن المسائل الموجودة في مجال الإلكترونيات النظرية يمكن ترجمتها بسهولة كُبرى إلى مسائل في مجال الاقتصاد النظري، ويمكن إعادة ترجمة الحلّ إلى المجال الآخر، فبالتالي لا نحتاج سوى كتاب واحد فقط يعمل على ترجمة اللغة والمفاهيم ومعاني المصطلحات، ومن خلال ذلك، يمكننا استخدام أي كتاب عن الالكترونيات كمرشد عملي للخبير الاقتصادي الجديد. وهذا يجعل

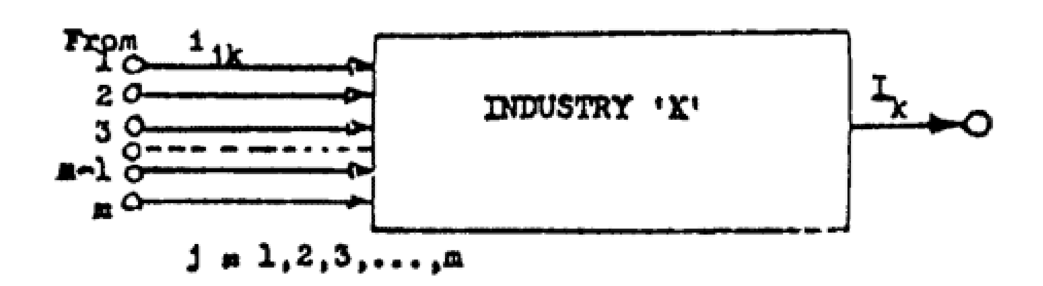
طباعـة كتـب تتنـاول هـذا النمـوذج الاقتصـادي المتقـدم غيـر ضـرورية إطلاقـاً، وهـذه نقطـة أخـرى لصالحنا بحيث تساهم في حفظ السرّ.

مخططات هندسية اقتصادية

Industrial Diagrams

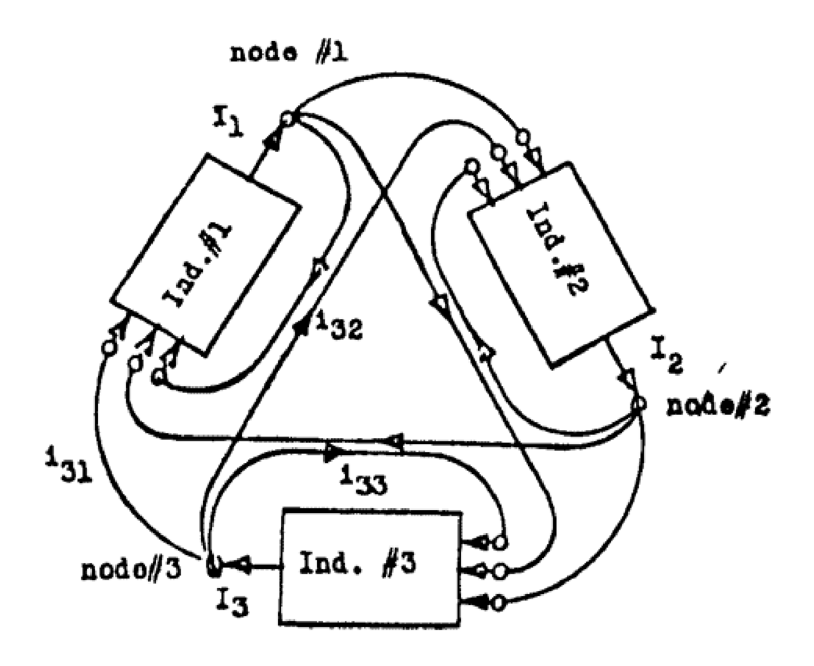
يُعرّف الاقتصاد النموذجي بأنه جهاز يستقبل قيمة من اقتصاديات أخرى وبأشكال عدة ثم يحولها إلى مُنتج واحد محدد يُباع ويُوزّع لاقتصاديات أخرى. لديه عدة منافذ دخل ومخرج واحد. ما يظنه الناس على أنه اقتصاد قائم بذاته هو في الحقيقة مجمع اقتصادي industrial complex، حيث تقوم عدة اقتصاديات يجمعها سقف واحد بإنتاج مُنتج واحد أو أكثر.

يمكن استعراض اقتصاد بسيط (بمخرج واحد) على شكل عنصر دارة (مشابه للدارة الإلكترونية) على الشكل التالي:



جريان المنتج من الاقتصاد#١(إمداد) إلى الاقتصاد #٢(طلب) يشار إليه بـ١١٢. مجموع مخرج جريان الاقتصاد K يُشار إليه بـIk(مبيعات،.. إلى آخره).

يمكن استعراض شبكة مؤلفة من ثلاثة اقتصاديات على الشكل التالي:



ترمز "العقدة" node (نقطة التقاء) إلى جمع وتوزيع الجريان. العقدة#٣ تتلقى من الاقتصاد #٣ وتوزعه إلى الاقتصاد #١ و#٣. إذا كان الاقتصاد #٣ يصنّع الكراسي مثلاً، فبالتالي يشير الجريان من الاقتصاد #٣ رجوعاً إلى الاقتصاد #٣ إلى أن الاقتصاد #٣ يستهلك جزء من ما يخرجه من منتجات (مفروشات للمكاتب مثلاً). وبالتالي يمكن استخلاص الجريان في المخطط البياني السابق في المعادلات التالية:

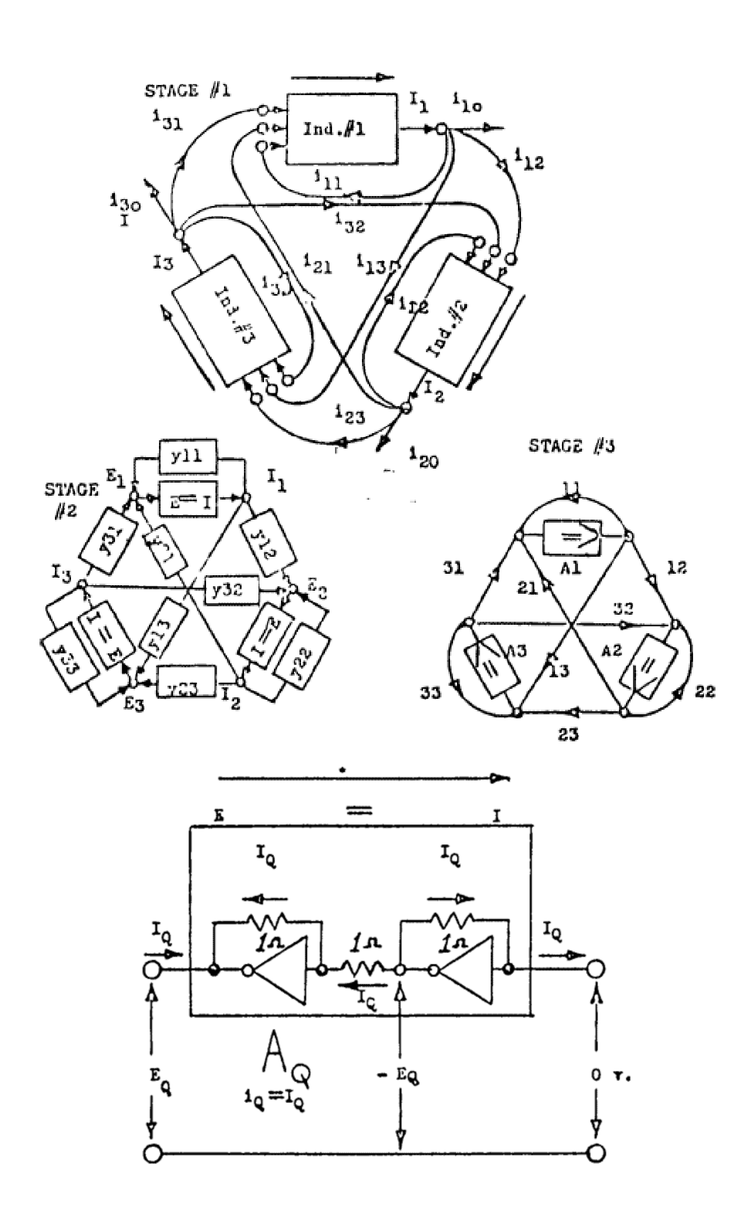
$$\text{Node \#1}: \quad I_1 = i_{11} + i_{12} + i_{13} = \sum i_{1k}$$

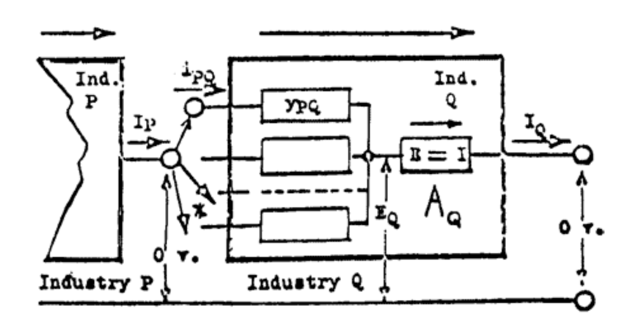
$$\text{Node \#2}: \quad I_2 = i_{21} + i_{22} + i_{23} = \sum i_{2k}$$

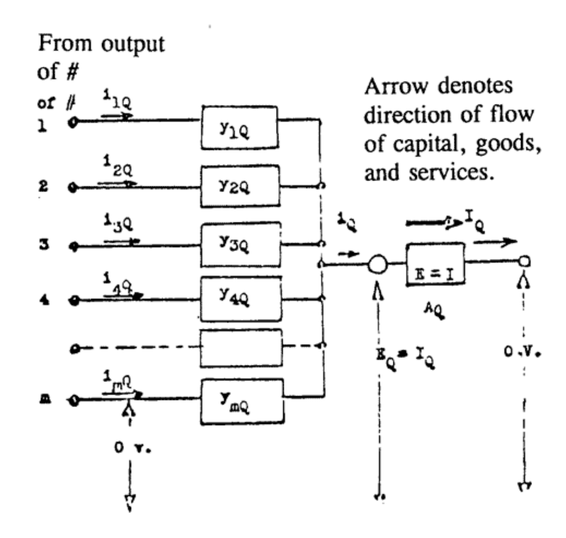
$$\text{Node \#3}: \quad I_3 = i_{31} + i_{32} + i_{33} = \sum i_{3k}$$

$$\text{where } \sum \text{ denotes } \sum_{k=1}^{k=3}$$

هذه الأشكال التالية ليست مخططات دارات إلكترونية...... بل مخططات دارات اقتصادية!







هذه هي بنية الاقتصاد العالمي في القرن المقبل، أو في العقد المقبل... إذا نجح مخططهم المرسوم في الموعد المحدد.

ملاحظة: هذا عبارة عن مقتطف قصير لكامل الدراسة، حيث ما بقي هو دراسة تقنية متخصصة، وبالتالي لا جدوى من ذكرها هنا بالكامل. لكن أعتقد بأن القارئ الكريم كوّن فكرة عامة عن كامل الموضوع.

إذا لم تستوعب الأمر بعد، أحب أن أذكرك بأن هذه الدراسة وضعت منذ عقود عديدة. أما الآن فقد أصبحت قيد التطبيق بالكامل. يوجد دلائل كثيرة تجعل هذه الفرضية حقيقة واقعية. المجريات الدولية

التي لم يعد فيها أي منطق أو عقلانية، الحروب التي تحصل بين الحين والآخر، الشبكة الإلكترونية أو الانترنت، والهواتف النقالة، هل تظن بأنها صنعت لخدمة الناس؟ إذا كان الأمر كذلك لماذا هي مشاريع تقنية عسكرية تأسست منذ البداية ولازالت خاضعة تحت رعاية البنتاغون؟ النقد الإلكتروني الذي يرسخون استخدامه تدريجياً بين الشعوب، وسوف يستبدل المال الورقي في مستقبل قريب. كل هذه، وأكثر بكثير، هي عناصر مكملة للدارة الاقتصادية الخبيثة التي ينشؤونها في كامل أنحاء العالم. كل هذا ولازلنا نظن بأن الأحداث تجري بشكل عفوي وطبيعي في حياتنا. لازلنا نعتقد أن الأحداث تحصل بشكل منفصل عن بعضها، ولم نفطن أبداً أنها تشكل جميعها مخطط شيطاني يترسخ تدريجياً في حياتنا.

هل من علاج مجدي لهذه الحالة الميؤسة؟

هكذا هي الحالة على حقيقتها في العالم اليوم. نخبة خفية تسيطر على العالم، وتقبع في مكان ما في هذا العالم، وتضع المخططات وتحيك المؤامرات وتحول حياتنا إلى جحيم. وماذا نفعل نحن حيال ذلك؟ ما هي الإجراءات التي نتخذها لحماية أنفسنا أو السعي إلى تجنب تأثيرهم المدمر؟ الجواب: لا شيء على الإطلاق. حتى أن النسبة الأكبر من سكان الأرض لا يؤمنون أصلاً بوجود هكذا أجندات ومؤامررات! لكن لنفترض بأن الجميع عرف هذه الحقيقة، ماذا برأيكم سيفعلون؟ الجواب: لا شيء على الإطلاق. لأن المقاومة الحقيقية لهكذا مخططات ومؤامرات لا تكمن في الانتفاضات الشعبية والثورات والتظاهرات.. إلى آخره. وقد أثبتنا براعة فائقة في هذه الأعمال العنفية لكنها لم تجلب لنا سوى الدمار والفوضى والأسى والمزيد من البؤس. المقاومة الحقيقية تكمن في مكان بعيد كل البعد عن العنف والمواجهة المباشرة والتي هي مستحيلة أمام النخبة وأدواتها النافذة والقوية جداً. كل ما نراه من أعمال عنف أو ثورات أو حروب هي مسرحيات من صنعهم. كله اصطناعي. أما كل ما هو طبيعي وعفوي فيستحيل أن يسمحوا له أن يكون. إنهم يسيطرون علينا سيطرة مطلقة. وبالتالي مهما اتخذناه من إجراءات عنفية فسوف لن يؤدي إلى مكان بل إلى زيادة بؤسنا وقهرنا والغرق أكثر في شباكهم الخبيثة.

قد يقترح البعض تأسيس منظمات وأحزاب وغيرها من جهود جماعية لمواجهة ما يجري، لكن كيف يمكنهم إقامة هذه الأمور دون تمويل في عالم يتمحور حول المال، مع العلم أن الخصوم الذين يستهدفونهم هم الذين يصنعون المال ويديرونه ويوجهونه، وهو أصلاً سلاهم الفتاك الذي يحاربونا به. لا يمكننا تصور حياتنا اليوم دون عامل المال، فكيف سننجح في مساعينا ونشاطاتنا الموجهة إلى مقاومة الجهات التي تستعمله في حربها ضدنا؟ هذا مستحيل. قبل أن يصاب القارئ بالإحباط، أحب أن أطمئنه بأنه يوجد حل لهذه المسألة. إنه الحل الوحيد. أي حلول غيره هي مستحيلة.

المقاومة الحقيقية تكمن في العمل من داخلنا. رغم سيطرتهم المطلقة، إلا أن هذه السيطرة تكمن في الجانب الخارجي منا فقط، إنهم يسيطرون بالكامل على الجانب الدنيوي من الإنسان، وهو منزل الغرائز والشهوات والرغبات والخوف والأنانية والتعصب وغيرها من أدوات يتقنون استخدامها ضدنا.

أما الجانب الداخلي، أو المستوى العلوي من كياننا، فليس لهم أي وسيلة للوصول إليه والتحكم به وإخضاعه.

أوّل ما وجب معرفته هو أنهم يسيطرون علينا بمساعدة شريك مهم وأساسي ووجوده ضروري لإنجاح العملية. هذا الشريك هو نحن. العيب هو فينا. بالتالي بدلاً من التفكير كيف يمكننا الانقلاب عليهم وتقويض مخططهم بالثورة والعنف، وهذا مستحيل بالمطلق، علينا أن ننظر إلى أنفسنا والبحث أين يكمن العيب فينا ونسعى إلى تصحيحه. بعدها سوف ينهار كل نظامهم بشكل تلقائي. لكن السؤال هو: هل نحن مستعدون لهذه المهمة؟ هل نحن مؤهلين فعلاً للتعامل مع هذا الجانب الباطني من كياننا؟ ومن الجانب الآخر، هل نحن نرغب فعلاً في التخلي عن هذه المنظومة التي توفر لنا كافة وسائل اللهو والترفيه والمتعة؟ وجب عليك أن تقرر وتختار.

الصفحات التالية تشمل مواضيع مختلفة تذكرنا ببعض الحقائق والحالات التي ربما نسيناها أو نجهلها أصلاً، ربما تفيدنا في معرفة المشكلة بشموليتها ومعرفة من نحن على حقيقتنا وكيف يمكننا الإفلات من سطوة الضغوط الهائلة التي يفرضها علينا هذا النظام المالي الخبيث الذي يسود العالم اليوم ويحول حياتنا إلى جحيم.

الهوس بجمع المال هو تدمير للذات



في فترتنا الحالية حيث يبدو أن الكثير من الأمور تعتمد على التداول المالي والنظام الاقتصادي، قد يكون مفيداً أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ المال. كان التداول المالي موجوداً منذ زمن بعيد، لكن ليس بالقدر الكبير الذي يظنه الناس. لأنه في أبكر الفترات التي يمكن للإنسان تذكرها كان التبادل وتقايض البضاعة يمثلان وسيلة توزيع السلع والخدمات بأنواعها. في معظم البلدان كانت الماشية (مثل البقر والخرفان والماعز..) تمثل أساس الثروة. لكن في الحقيقة كانت البلدان المختلفة تحوز عملياً على كافة أنواع وسائل التبادل يمكن تخيلها. كان الصينيون خلال الفترة الامبراطورية المزدهرة يصدرون عملة ورقية. لم يكن الأمر ناجحاً على نطاق واسع ولا كانت العملية تحظى بالتقدير الكافي، لكن تم القبول بها لأنها مثلت الخيار الوحيد في أيامها كحل مجدي للمسائل القائمة في حينها. كان التقييم الفعلي للتداول المالي في الصين يعتمد على عدد الغزلان في الحظيرة الامبراطورية وكذلك في الأحراش المحيطة بالبناء الملكي. كانوا يقومون بتعداد الغزلان وبناء عليه يصدرون العملة المتداولة. طالما كانوا يملكون الغزلان فهذا يعني أنهم يملكون المال. ربما كان السبب وراء الاعتماد على الغزلان هو الجلد الذي كانوا يستخدمونه لصنع الوثائق النقدية. كانت هذه الأوراق النقدية تصدر من حجرات الحكمة الإمبراطورية.

كان يوجد في الحقيقة تشكيلة واسعة من وسائل التداول المالي حول العالم، مثل صدف البحر والتنباك وحتى الريش الذي كان يُستخدم في الجزر البولينيزية. في الحقيقة، كل ما يمكنك تصوره كان يُستخدم كوسيط لتبادل البضاعة، وذلك يعتمد على البلد والمنطقة والجزيرة وغيرها. النظرية المتعلقة بهذه الطريقة في التبادل كانت منطقية نسبياً. تبادل البضاعة بشكل مباشرة دون وسيط نقدي لم يكن عمل سهل وملائم في معظم الأحيان. لم يكن سهل مثلاً تبادل الخراف مع الماعز ومن ثم عليك رعاية الحيوانات التي حصلت عليها بشكل مباشر قبل إعادة استبدالها بشيء آخر. كان أسهل وأنسب إذا حملت ورقة أو قطعة نقدية من نوع معيّن لاستخدامها لهذا الغرض. هذا بالضبط ما حصل في مصر القديمة، حيث كانت العملة النقدية المصرية تصدر بمعظمها بشكل خاص، وذلك من قبل عائلات ثرية أو أعضاء جمعيات أو تجمعات مختلفة. كانت العملة بمعظمها مصنوعة من الفخار وتحمل شعار المالك الذي صنعها على عاتقه لكي يتداول بها. كانت هذه القطع الفخارية تستخدم للبيع والشراء، وإذا أراد أحدهم صرفها في نهاية المطاف كان يتوجه إلى خادم المنزل الذي أصدرها في البداية، فيحصل في المقابل على بضاعة متساوية قيمتها مع قيمة القطع النقدية التي بحوزته.

المال إذاً تطوّر منذ البداية بصفته حل ملائم لمسائل مستعصية كانت تشوب التداول التجاري الذي كان قائماً، لكنه مع الوقت، حتى وصوله العصر الحالي، أصبح مزعج وحتى خطير على المستوى العالمي. عندما كان ملائماً، كان ممكناً تبادل كافة أنواع السلع والبضائع والخدمات حتى أصبح يمثّل قاعدة لمنظومة تبادل بحيث كان الفرد يقبض مادة قابلة للصرف ويمكنه استخدامها كما يراه مناسباً أو ضرورياً. في تلك الأيام لم تكن الرواتب تمثل مشكلة كما هي اليوم. ففي الفترات القديمة جداً كان المال يعتبر شيء مزعج ومربك، لأنه لم يعرف الفرد ماذا يفعل به أو ماذا يشتري بواسطته لأن كافة الأشياء التي يمكنه احتياجها هي موجودة في منزله أصلاً، ولم يكن يوجد أسواق أو محال تجارية أو خدمات أو وسائل ترفيه كما نألفها اليوم. استمرت هذه الحالة لفترة طويلة، دون أن تلاقي أي نجاح يذكر بين الناس، إلى أن استطاع أحدهم أخيراً في الخروج بفكرة عظيمة وهي أنه بدلاً من كسب المال عن طريق التبادل بالسلع والبضائع يستطيع أن يجعل المال يكسب المال. كانت هذه فكرة عظيمة. ومنذ حينها انطلقت دورة هائلة من المشاكل والأزمات والمحن التي ربما لا نستطيع الخلاص منها إلى الأبد. بدأت هذه الأفكار الشاذة منذ اكتشاف "كراتيوس" الشيطان المذكور سابقاً.

المال هو شيء أصبح مبالغ بأهميته بعد أن اتخذنا توجه الفكر المادي للحياة. من بين كل الأشياء التي نتعامل بها، فإن المال هو الأكثر قابلية للفناء. يمكن أن يتم تدمير القيمة المالية من مجرّد تغيير الحكومة. يمكن للمال أن يُسرق أو يضيع أو يُفسد نتيجة كوارث طبيعية. يمكن تجميع المال عبر الغش والخداع، وعندما يأتي موعد مفارقة الشخص للحياة، مهما كان يملك من أموال، لا يستطيع أن يأخذ معه قرش واحد. أن تولد إلى هذا العالم دون وجود أي إمكانية لجلب أموالك معك، ثم تغادر هذا العالم دون أن تستطيع أخذه معك إلى العالم الآخر، فهذا يعني أنه لديك فترة محدودة هنا في هذا العالم المادي بحيث أصبح خلالها المال موضوعاً مذهلاً وساحراً. إنه فقط في فترة وجودنا هنا يكون للمال معنى وقيمة معينة. نفكر بموضوع الزمن على انه الطريقة التي تنمو وفقها الحضارة. نفكر بموضوع الزمن على أنه متحرك نحو المستقبل وأن أولادنا وأحفادنا يحوزون على المال. نفكر في الماضي حيث المشاهير الذين برزوا عبر التاريخ. لكن في الحقيقة فإن كامل مسألة المال محصورة ضمن نطاق حقيقة الفناء. الفناء لا يعني أنك تعجز عن أخذ المال معك فحسب، بل بطريقة غامضة، هناك شيء يتعلق بما يبقى قائماً بعد الموت. هناك شيء يتعلق بجودة الشخصية، شيء يتعلق بما فعلته في الحياة، كم كنت صادقاً، كم كنت حذراً وكريماً وحكيماً خلال تعاملك مع المال. نجد بالتالي بأن المال قد يمثل أحد الامتحانات الكبرى للروح، أو لتلك القوة التي تبقى قائمة حتى بعد الموت. إذا خدعنا بما يكفي أو غدرنا بما يكفي ربما يكون هناك عقوبة معينة بعد الموت والتي علينا مواجهتها. لا نستطيع أخذ المال معنا لكننا بكل تأكيد سنأخذ الندم والحسرة على كيفية حصولنا عليه وكيفية صرفنا له.

الكثير من الناس طبعاً، خصوصاً ألوئك المتأثرين جداً بالمال، ربما لا يفكرون أبداً بما سيحصل لهم بعد مغادرة هذا العالم. سوف يفترضون بأنه إذا كان هناك حياة أخرى بعد الموت سوف يتمكنون من معالجة الأمر أو التحكم بالمسألة عندما يحين الوقت. لكن هناك عدد كبير من الناس لا يؤمنون أصلاً بوجود شيء بعد الموت وهذا يجعل مشكلة المال أكثر صعوبة. الفرد لا يستطيع أخذ المال معه، وحتى أنه ينقطع عن التذكر بأنه كان يحوزه أصلاً. وهذا أمر مثبط بالنسبة للأشخاص الذين بنوا حياتهم على مبدأ الثروة وحدها. لدينا إذاً هذه المسألة المتعلقة بالمال وكيف نحصل عليه وماذا نفعل به بعد حوزته. وأعتقد بأنه علينا إدراك حقيقة أن المال يمثل أحد تلك الامتحانات الكبرى للعيش. المسألة تشبه إلى حد كبير طقوس الانتساب أو الانخراط في درب الارتقاء الروحي، بحيث يواجه المريد مجموعة متنوعة من الإغواءات والامتحانات، وإذا كان يتوقع الارتقاء بوعيه ومستوى

فهمه فوق المستوى المادي والفاني، عليه أولاً التعرف على لغز هذا الوسيط الذي يسمى المال، عليه أن يكتشف كيف يستخدم المال أو الثروة بصفته أساس لقوة الروح. كل شيء طبعاً يمكن استخدامه بطريقة سليمة وإيجابية بحيث يصبح مصدر للخير، لكن بنفس الوقت يمكن استخدامه بطريقة سيئة ويصبح مصدر للشرّ. لكن في مكان ما على طول الطريق، كل حياة وشخصية والنمو الروحي للكائن بشري متعلقة بطريقة أو بأخرى بموضوع المال. هي متعلقة بالطريقة الموصوفة في الإنجيل، حيث تعرض سيدنا يسوع للغدر مقابل المال. ومنذ ذلك الحين تعرضت الحقيقة للغدر مقابل المال. لقد ضحى الأفراد بحياتهم الباطنية مقابل مراكمة المال والثروة.



إذا حصل الفرد على مبلغ كبير من المال، ثم قام بفعل خير بواسطته، فهذا يعني أنه يمكن وجود مبرر للنظام المالي القائم اليوم. لكن في أغلب الأحيان، لا يفعل الفرد أي خير بما لديه من أموال. البعض لديهم طبعاً دوافع داخلية للإحسان والمساعدة ويدعمون المشاريع الخيرية. لكن بالنسبة للأكثرية الثرية، فهم يجدون الثراء مبرراً للتراخي والكسل. يكتشفون بأنهم غير مضطرين للعمل، حيث المال سوف يعمل بالنيابة عنهم. ليس لديهم أي اهتمام أو قيمة فعلية للأشياء. إنهم بعيشون ببذخ وتهور، يملكون منازل ضخمة وفاخرة والتي لا يستخدمون سوى أقسام صغيرة منها، يشترون عقارات كبيرة، يقامرون، يمضون معضم أوقاتهم في مونتيكارلو،... هؤلاء الناس يعيشون بكل

بساطة حياة تافهة عديمة الفائدة. نجد أن معظمهم ضحايا الإدمان على المخدرات، غالباً لعلاج الملل الشديد الذي يعانوه في حياتهم. هم لا يعرفون ماذا يفعلونه بالمال سوى صرفه ببذخ. حتى أنهم لا يعرفون كيف يصرفون المال، ولو باتجاه تطوير جودة شخصيتهم. لم يستخدموا المال للتعلم أو النمو أو حتى التفكير بشكل سليم. استخدموا المال ببساطة لأنهم بملكونه وبحبون التنافس مع الآخرين الذين من نفس مستواهم. بالتالي فقد أصبح الأثرياء مشاهير، وأصبحوا محسودين من قبل الفقراء، واستمروا في عيش حياتهم بنفس البؤس الذي عانى منه الذين أفقر منهم.

بالتالي يمكن استخلاص مسألة الثروة بفكرة أن الفرد الذي ليس عليه إجهاد نفسه بالتفكير سوف لن يفعل، وإذا ليس عليه إجهاد نفسه بالعمل فسوف يبحث عن طرق ليتجنب ذلك، وإذا لم يرغب في تطوير نفسه فسوف يبقى كما هو، وكلما كان لديه المزيد من المال كلما قلّت نزعته إلى تطوير شخصيته وزيادة مهاراته وتعلم أي من المهن والفنون والحرف المختلفة التي يهتم بها الأقل ثراءاً. هو بكل بساطة يفتقر للدافع، وذلك لأنه غير مضطر إلى الكفاح من أجل وسيلة عيش. بما أنه غير قادر على صياغة وسيلة عيش، فهذا يجعله عاجزاً عن صياغة حياة. ثراءه يكون محسود من قبل الآخرين، يتم استغلاله وخداعه وغشه من قبل الجميع، وعلى مر الزمن سوف يشعر بأن ثراءه يمثل عبئ ثقيل على روحه. إذا أردنا مقاربة الموضوع من الناحية الفلسفية، سوف نقول بأن كل دولار له معنى معيّن. يُعطى الدولار لشخص إما لأنه يستحقه أو هو من نصيبه بطريقة أو بأخرى. الدولار هو ليس شيء يُستخدم للصرف، بل هو تحدّي كبير يواجه الاستقامة الأخلاقية. المال الذي نملكه يمثل تحدّي أمام الاستخدام السليم. وإنه أكثر حكمة في مجرى النمو أن نستخدم قدر قليل وبشكل سليم بدلاً من استنزاف قدر كبير هباء. بالتالي لدينا إدراك فعلي لحقيقة أنه كلما زاد ما نملكه كلما وجب أن نكون أكثر رشداً لاستخدامه بطريقة سليمة. كلما زاد ملكنا للمال والعقارات ووسائل الراحة والترفيه كلما زادت مسؤوليتنا لعيش حياة وجدانية وخلاقة وصالحة. هذا لا يعني أنه علينا التخلي عن ثروتنا عبر منحها لآخرين. لأن الشخص الذي لا يفهم حقيقة المال سوف يمنحها للأشخاص الخطأ في جميع الأحوال. سوف يستقطب حوله مجموعة من الرفاق عديمي القيمة أو المعنى أو الفائدة بالنسبة له. عملية منح المال هي بنفس صعوبة الحصول عليه، وأحياناً يكون الأمر أكثر صعوبة. لأنه دائماً الفرد الذي يصبح فاحش الثراء يدفع ثمن هذا الثراء عن طريق فقدان إخلاص الذين حوله له، حتى أنه يعاني من خداع عائلته، ويشعر بضغط شديد ومستمر على طريقة تفكيره وحلمه وأمله ومخاوفه. هذه الأمور تتأثر كثيراً بفعل الثروة التي يملكها.



يمكننا القول بأننا نعيش الآن في عالم يعتبر فيه المال والثروة الحكام الأعظم. نحن نعيش في عالم بحيث أن تملك وتحافظ على ما تملكه يعتبران من الإنجازات الأعلى. كل من الفرد والمجتمع معاً يكافحون جاهدين للسيطرة المالية على الحياة. حول العالم يوجد أثرياء يملكون الملايين ومنهم المليارات والبعض القلائل الذين يملكون الترليونات. لكن لا يوجد واحد من أولئك الأثرياء يبدو أنه يفعل الأشياء التي وجب فعلها. يحاولون شراء الحماية لأنفسهم، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلونه بالأموال التي يملكونها. لكن هناك البعض القليل الذين هم أكثر حكمة. لكن الأكثرية، خصوصاً الذين يقبعون تحت مستوى القمة بقليل، يبدو أنهم يواجهون الصعوبة الأكبر. الذين يقبعون على قمة الثراء يجدونه أمر مربح أن يمنحو شيئاً مما يملكونه.

كيف يمكننا معالجة الموضوع في هذا الوقت بالتحديد؟ هل من الممكن لنا التخلص من هذه الوسيلة للتبادل والتي نسميها المال؟ هل سيكون العالم أفضل إذا عدنا إلى نظام التبادل بالسلع؟ الجواب بسيط جداً، لا نستطيع العودة إلى تلك المرحلة في أي حال من الأحوال. طريقة الحياة التي نألفها في الوقت الحالي هي مرتبطة جداً بنظام الربح المالي بحيث لا يوجد أي طريقة لأن تتغيّر دون

حصول تغيير كبير وجذري في أمزجة وتوجهات وقناعات الناس. العلاج الوحيد للمسألة المالية تتمثل بالذكاء. لا أقصد بالذكاء هنا بأنه المهارة والحنكة في التبادل التجاري والتعاملات المالية، بل الذكاء المتعلق بالبصيرة والتفهم وإدراك الاستخدام السليم لما نملكه من أموال وممتلكات، أي استخدامها للخير الأكبر وللعدد الأكثر. هذه الفرضية ليست ظاهرة في الخاطر حالياً، رغم أننا بدأنا نشعر بجدية بمدى بؤس النظام الاقتصادي الحالي الذي انفلت من السيطرة والانضباط. هذا النفلات من السيطرة الذي حصل لعدد من الأسباب.

إن أساس الاستخدام وسوء الاستخدام يعود إلى وعي الشخص، والذي لسبب أو لآخر يحوز على ممتلكات وأرزاق في هذه الدنيا. وجب على حياته الداخلية أن تدير عملية استخدام ما لديه من أملاك. بالتالي، منذ الزمن الأوّل، أصبحت الفلسفة تمثل وسيلة للتعلم تتعامل بشكل رئيسي مع عملية الاستخدام للأشياء، أي الاستخدام السليم لما تملكه. هي تتكلم عن الطريقة التي تحصل من خلالها على ما تملكه وكيفية صرف ما تملكه لمنفعتك ومنفعة الآخرين. لذلك بدأت الفلسفة تخلق في العقل نظام منضبط حول طريقة مراكمة الممتلكات والأرزاق الدنيوية. الشخص الذي يتمتع ببصيرة فلسفية سليمة يستطيع تنمية طرق مختلفة لاستخدام ما يملكه من أجل تقدمه وكذلك من أجل متعته بنفس الوقت، وكذلك لخدمة الآخرين. لذلك فإن الفلسفة تتعلق بعملية التحكم بكامل نظرية المال. هذا أحد الأسباب التي وجدت الفلسفة من أجلها. الفلسفة في الأساس تمثل صلة وصل بين الدين والعلم. الفلسفة تربط بين مثاليات الدين مع المبادئ العملية للعلم. لذلك، فإنه عبر الفلسفة يمكن رفع العلم من مستوى جانبه الاستغلالي ويمكن تطبيق الدين بشكل أسهل وأكثر مباشرة على المسائل العامة للحياة اليومية. يمكن اعتبار الفيلسوف بأنه الوسيط بين الأطراف المتناقضة القصوى للحياة. مكانته في مسألة المال هي واضحة جداً، أي عليه أن يكون مديراً جيداً لوسائله المالية الخاصة. عليه أن يتعلم كيف يستخدم ما يملكه. إذا لم يستخدمه جيداً فسوف يسيء استخدامه. إذا لم يجد الطريقة السليمة لصرف ما يملكه فسوف يقترف الأخطاء وبالتالي يساهم في المزيد من بؤس البشرية.

نبدأ من حقيقة بسيطة جداً، وهي أن الثروة تمثل حالة دنيوية مادية. ليس لدينا أي دلالئل تشير إلى أنه خارج الوجود المادي يوجد أي اعتبار واستيعاب لمفهوم الثروة. لا وجود للثروة خارج نطاق أشياء تعتبر بأنها ذات قيمة مالية. في العالم القديم كان الشيء الأكثر قيمة مادية هو الذهب. لذلك أصبح

أعلى وسيلة للتبادل التجاري. كافة وسائل التبادل الأخرى مثلتها المعادن المختلفة، لكنها لم تضاهي الذهب بقيمتها. في كافة أمم الأرض المختلفة تم استخدام هذه المعادن المختلفة وتصنيفها وأصبحت تمثل أساس الأنظمة المالية الكبرى.

لدينا اليوم مشكلة كبيرة. وهذه المشكلة لا تتعلق بمسألة العملة النقدية أو أي وسيلة تبادل، بل تتعلق بحالة يمكنها أن تبقى قائمة طالما كان الإنسان مستعداً للمخاطرة بكل شيء يملكه في لحظة من اللحظات ومن ثم يتعرض للإفلاس خلال شهر. إنها حالة المقامرة المبالغ بها في الحياة والتي سببت المشاكل والصعوبات الكبرى التي نعانيها اليوم. أصبح المال اليوم يمثل عبئ ثقيل علينا. بالتالي وجب إخضاع الموضوع إلى البحث الفلسفي أو دراسته وفق الأديان الحكيمة لنستكشف لماذا نحوز على المال أصلاً. لمذا الفرد، الذي من الواضح أنه سهل الإغواء، مُنح هكذا إغواءات أصلاً؟ لماذا تم تقديم لنا الخطأ الأكبر؟ هذا الخطأ الذي من المتوقع منا أن نفهمه ونقوم بتصحيحه. كيف يحصل أن الكائن البشري الذي حياته الداخلية هي غير آمنة على الأغلب، والذي تكامله الأخلاقي غير نامي بشكل جيّد، لماذا يتم تقديم له أخطر الظروف أو أخطر العوامل الموجودة في العالم، أي الثروة؟

الثروة في الحقيقة ليست سيئة، لكنها تمثل أساس إطلاق العنان للجشع والطمع في الناس. الثروة هي شيء يوقض الإغواء حتى في الوقت الذي يفشل أي عامل آخر يثير الإغواء. الثراء يمثل شيء يجعل الفرد مستعداً لبيع روحه مقابل الحصول عليه. لذلك فإن الثراء هو شيء يصعب جداً مواجهته والتعامل معه. مرتبط بالثراء أيضاً نجد كافة أنواع التحسينات التي نحتاجها لتنشيط تكامل المجتمع وسلامته. إذا استطعنا علاج مرض الثراء وحده فنجد أن كافة العلل الاجتماعية التي نعانيها سوف تختفي بسرعة. قسم كبير جداً من الجرائم يستند على الثروة. يستند على الرغبة في تأمين وسائل العيش، إن كان عن طريق الخداع أو السرقة أو أي طريقة ممكنة، المهم هو تأمين تلك الوسائل المعيشية بأي طريقة ممكنة.

لدينا إذاً عامل مشترك جداً. سبب الجريمة والخداع والفقر وكافة أنواع الاستغلال والإساءة للحياة البشرية. يمكن للثراء أن يسيء للصحة وتدمير الإجراءات القانونية وإفساد كافة المؤسسات التعليمية والسياسية والصناعية وغيرها. الثروة هي سوء الاستخدام الأكبر ورغم ذلك فهو يحمل في طياته

إمكانية أن يكون أحد أنشط القوى البناءة. لذلك نحن موجودين في هذا الموقع المحيّر بين طرفين نقيضين. نحاول أن نفهم كيف يمكن في هذا الزمن وسط العلاقات الدولية، حيث الديون تتراكم في كل مكان بشكل عشوائي غير محسوب، كيف يمكننا الخروج من هذه الورطة، كيف نستطيع إيجاد الجواب الشافي لهذه المسألة. لكي نجد الجواب علينا أن نذهب إلى حيث وجب الذهاب وهو الجانب الداخلي من أنفسنا. سوف لن نجد الجواب عند الخبراء الاقتصاديين لأنهم لا يعرفون. سوف لن نجد الإجابة الشافية عبر الانقلاب على الحكومات أو تغييرها. سوف لن نجدها من خلال عقد اتفاقات أو إقامة معاهدات أو أحلاف. لأن هذه الأمور تتغيّر أو تُلغى باستمرار. الطريقة الوحيدة التي نستطيع من خلالها تصحيح الوضع هي السعي إلى علاج الأنانية المتجذرة عند الأفراد. وهذه الأنانية المتجذرة هي أحد أخطر العلل التي عرفها العالم أجمع. هذه الأنانية هي المسؤولة عن مئات الحروب ومليارات من حياة البشر. الأنانية هي شيء وجب أن يتم كشف عيوبها منذ زمن بعيد. لكن لأنها تتشكّل بهيئة عادة متكررة، كما الكوكائين أو الحشيشة، إذ مجرّد أن علق بها الفرد سوف يصعب عليه كثيراً التخلص منها ويتحرر. الأنانية هي شيء يقوم الفرد تدريجياً ببناء كامل حياته حولها، ويعتمد عليها كلياً. رغم أنه من خلال ذلك يدرك بأنه يتنافس مع الملايين الآخرين الذين هم أنانيين مثله. وعلى المدى البعيد رأينا أن الفقر ازداد بشكل كبير في العالم بدلاً من انتشار الثروة. والسبب هو أن الفرد يعجز عن تغيير فكره أو العدول عن رأيه بسهولة.

لذلك نتكلم عن الإصلاحات من نوع أو آخر. نتكلم عن أشخاص يمارسون التأمّل في سبيل تحسين صحتهم. نتكلم عن أشخاص يصلّون للحيازة على فضائل الحياة. نتكلم عن أشخاص يجتهدون ويكافحون لإحراز نوع من الاستقلال عن عشوائية وجودنا اليومي. لكن لا نستطيع إيجاد الكثير من الناس الذين يصلّون بإصرار بهدف التحرر من عبئ الثروة. إنه يمثل فعلاً العبئ الأثقل والذي وجب علينا تحمله. من أجل التخلّص من عبئ الثروة، علينا تذكّر حكمة الفيلسوف سقراط الذي قال مرّة: "*.. القليل من كل شيء..*". المشكلة الكبرى في التوزيع الاقتصادي هي تحقيق الاعتدال في التوزيع. إذا لم يكن هناك سوء استخدام أو تراكمات هائلة للمال، وكل شيء تم إدارته باعتدال وعقلانية فسوف تصبح الثروة ما هو مفروض منها أن تكون، أي وسيلة مجدية للتبادل التجاري. لأصبحت وسيلة بحيث كل فرد يبادل مهارته مقابل مهارات أخرى لا يحوزها. يخلق بيديه الأشياء التي يريدها والتي قد يرغبها الآخرون وكانوا بادلوها مقابل شيء آخر بحوزتهم. كان على كامل النظام المالي أن يتحوّل أساساً إلى نظام تبادل. بعض الأشياء طبعاً لا يمكن تبادلها بسهولة ولا بشكل مباشر، بالتالي

وجب الاحتفاظ بمبالغ معينة من المال لاستخدامها لهذه الحالات. لكن في الوقت النفسه، إذا كان النظام بالكامل يعتمد على التبادل بدلاً من الربح المالي سوف يكون لدينا نوع مختلف تماماً من العالم. اصبح بالتالي مهم جداً أن نكتشف كيف نستخدم، وليس اساءة استخدام، المصادر التي مُنحتها لنا الخبرة. يمكننا أيضاً معرفة أنه إذا أزيل الضغط عن هذه الأمور التجارية الحالية فسوف ننجز الكثير لكي نجعل الأمور أقل تعقيداً.

ها نحن الآن نعمل في مجال التسليح. مليارات الدولارات تدخل شهرياً إلى صناعات الأسلحة. لكن السؤال هو: ماذا تفعل هذه الأسلحة الفتاكة؟ ما الغاية منها أصلاً؟ الأمر بأغلبه عبارة عن طمع طاغية في أحد البلدان في الحوزة على ثروة بلد آخر. كامل الحروب تدور حول موضوع الربح المالي، أو أي شكل آخر من الكسب، مثل المزيد من الأرض الخصبة أو المحاصيل الزراعية أو الصناعية. كل من هؤلاء الطغاة يطمع في السيطرة على ثروة البلد الأخرى. ومن خلال السيطرة على هذه الثروة يكون قد أخضع البلد الآخر واستعبده. هذا الصراع المستمر على الثروة سوف يستمر دائماً طالما بقيت الثروة تعتبر آلية مجدية لاستعباد فريق لفريق آخر. طالما بقي بالإمكان تقييد الفرد وجعله فقيراً ومن ثم استغلاله، سوف يكون الأمر صعباً للتخلص من هذه المشاكل.

على الجانب الآخر، لدينا فكرة المادة المشتركة للثروة بحيث على الجميع أن يحوز على نفس الكمية. لقد تم تجربة هذه الفكرة عملياً (في الدول الاشتراكية) لكنها فشلت، وذلك لسبب آخر مختلف. السبب هو أن هذه الطريقة أدت إلى تدمير كافة الدوافع والمبادرات الفردية. الفرد في الحالة العادية لا يرغب أبداً في أن يكون مساوياً لغيره. يرغب دائماً أن يكون أكثر من غيره ولو بقليل. أو يرغب في أن يكون متفوقاً على المحيطين به. هذا التفوّق كان في الأساس يعتمد على مقياس المهارة والحكمة والبصيرة الروحية والشجاعة وغيرها من مواصفات نبيلة. لكن في الوقت الحالي أصبح التفوّق يُقاس بالثروة فقط. الذي يملك أكثر يشعر بأن لديه تفوق غريب وخفي على الآخرين، وحتى إن علم بذلك أم لا، فهو يتلقى تملق واحترام الذين يملكون القليل من حوله. هذه النظرية بكاملها هي خاطئة. لكن لسبب لازال مجهولاً من قبل الأغلبية، جئنا إلى هذا العالم، وكان في البداية مكان ممتع وجميل، لكن لسبب ما، يبدو أننا جئنا إلى هذا العالم ولدينا إمكانيات ضمنية لتدميره. وهذا أمر يبدو غريباً. كيف يمكن أن تقوم الأبدية بتجهيز المخلوق بكافة وسائل تدميره الكامل؟ أو إذا لا نريد استخدام مصطلح "التدمير الكامل" يمكننا القول إضعاف جدّي للفرص

والامتيازات. لماذا نأتي إلى هنا من دون إدراك أو تقبّل حقيقة أن مراكمة الممتلكات هي فكرة خاطئة أو حتى وهم فاسد؟ ما الذي سنراكمه خلال وجودنا هنا؟ إذا راكمنا الكثير من الممتلكات المادية فسوف نصبح ضحايا للجريمة مثلاً.

أشارت الفلسفة البوذية إلى هذه المسألة بشكل واضح جداً. ولا أعتقد بأن أحد منح هذه الفكرة التالية أي اهتمام أو تفكير عميق. كان بوذا مقتنع جداً بحقيقة أنه طالما كان الفرد يعتقد بأن الثروة تمثل القوة والأمان في كافة المجالات، فهذا يجعله في مشكلة كبيرة. أشار بوذا بوضوح إلى أنه ليس هناك سلام ولا اكتفاء من خلال مراكمة الممتلكات الدنيوية. الفرد هو مخوّل فقط لذلك الذي هو ضروري له. هو مخوّل تلك النعم ووسائل الترف البسيطة والتي تجعل حياته أكثر أماناً. لديه طباع معتدلة متنوعة هو مخوّل بها. لكن ماوراء ذلك نجده طموحاً، وكلما زاد طموحه نجد أن شخص آخر حُرم من سبيل للعيش أو سبب للرزق. هذه المعادلة ثابتة ولا يمكن أن تتجلى بأي طريقة أخرى. كل اختراع جديد سوف يؤدي حتماً إلى حصول بطالة في مكان ما. بينما هذه الفرضية لازالت تخضع لجدال كبير إلا أن الحقيقة تبقى قائمة، الاختراعات وبعض المهارات الأخرى سوف تأخذ الكثير من حساب التوظيف والعمالة في كافة أنحاء العالم. لازلنا في مرحلة انتقالية حيث سوف يبقى للعمالة بعض من الوقت لتبقى قائمة. لكن في النهاية سوف نصاب جميعاً بالعطالة عن العمل بسبب الاختراعات التي تعوّض عن العمالة البشرية، وبهذه الطريقة سوف نواجه مستقبل غامض ومجهول. قد يقول البعض أنه لأمر جيّد إذا حضينا بعطالة عن العمل، *".. ربما نكون أكثر سعادة إذا لم يكن هناك عمل أصلاً. ربما علينا العودة إلى تلك الأيام الأولى حيث كان الإنسان البدائي يقطف طعامه من الشجرة مباشرة.."*. ربما هكذا وجب أن تكون الأمور. لكن إذا راقبنا الموضوع بحذر سوف نكتشف بأن الذي لا يعملون ليسو سعداء كما الذين يعملون. نكتشف بأن الفرد الذي غير ملتزم بأي مسؤولية أو وظيفة أو عمل معيّن يكون غالباً في حالة بائسة يُرثى لها.

الطريقة الوحيدة التي تتمكن من خلالها من التوقف عن العمل وتستمر في العيش محافظاً على بقائك هي تغيير توجّه الطاقة لديك. بدلاً من الخروج إلى العمل يومياً سوف يتوفر لديك الكثير من الوقت الفراغ، ووجب استخدام هذا الوقت الفراغ للغاية التي مُنحنا من أجلها الوقت أصلاً، وهو السعي إلى النمو. الوقت هو ليس شيء وجب استنزافه هباء. الوقت هو ليس شيء يمكن تجاهله وإهماله في أوقات اللامبالاة. إن ترك العمل ومن ثم قضاء كامل الوقت في مشاهدة برامج التلفزيون

هو عمل غير مجدي. في الحقيقة، كلما قلّت فترة التزامنا بالعمل وجب أن نعوضه من خلال البحث في مصادرنا الباطنية.

السبب الذي يجعل الطبيعة تنتج تدريجياً وببطء حالة من الوفرة المعينة هو أن المخلوقات لديها شيئاً لتفعله بحيث وجب أن يفوق مستوى صراعها للبقاء أو المحافظة على الذات. هذا الأمر ينطبق أيضاً على الثروة المعتدلة. لأن الثروة توفر للفرد فرصة للدراسة واتقان الفنون وفعل كافة أنواع النشاطات المفيدة. لكن كلما زاد ثراء الفرد يقلّ نشاطه في هذا التوجه، لأنه لم يعد مضطراً إلى القيام بذلك. لذلك فإنه ضرورياً أن ينتج من استبدال العمل شيئاً ذو قيمة أو له أهمية بالنسبة لنمونا وتقدمنا الباطني. على كل شخص عاطل أو غير مشغول أن يجد شيئاً يعمله بحيث يساهم في تطوير حياته الداخلية. عليه أن ينمو ككائن بشري حقيقي. عندما كان الإنسان مستعبداً في إحدى العصور المظلمة وكان عليه العمل سبعة أيام في الأسبوع وأربعة عشر ساعة في اليوم لكي يتمكن من أكل طعامه، كان لديه في حينها فرصة قليلة جداً للتفكير. لكن رغم ذلك فإن بعض أجمل الأفكار في العالم جاءت من تلك الفترة المظلمة من تاريخ الإنسان. لكن متما كان هناك فرصة لرخاءه بحيث أصبح العمل أقل ضغطاً حيث توفر الكثير من وقت الفراغ بالمقارنة مع الفترات السابقة، حيث صار للإنسان الكثير من وقت الفراغ ليفعل أي شيء يريده، يكون الوقت قد حان لأن يفعل الفرد ما هو مفروض عليه فعله. ومن خلال فعله الأمر بهذه الطريقة سوف يتمكن تدريجياً من التحكم بالشطط والفساد الذي أثقل حياته.

إذا اعتدل الشخص في اهتماماته وأدرك حقيقة أن تنمية حياته الداخلية هي أكثر أهمية من تجميع ومراكمة كمية هائلة من الأشياء المادية عديمة النفع، إذا أدرك هذه الحقيقة فسوف يخف جزء كبير من الضغط على الاقتصاد العالمي. إنه هذا التهور والمغالاة المستمرة والسباق المحموم للنيل والربح هي التي تبقينا دائماً على نار حامية. هذا هو السبب الذي يجعل التاجر غير شريف. كل هذه العوامل تقول لنا ببساطة بأن العلاج الشافي للاعتقاد الخاطئ الذي يزعم بأن الثراء هو الأمان بعينه، هو أن نكتشف تدريجياً بأن الأثرياء هم من بين الكائنات البشرية الأقل أماناً. الأمان الحقيقي يكمن في انتصار الذات على الظروف الدنيوية. هذا الانتصار يبرز من كون الفرد أصبح راضياً ومكتفياً بحاجاته الشخصية فقط، والتي تشمل كل مجال من مجالات وجوده. هذا لا يعني أن عليه الاستقرار والسكون ويصبح محاضر مملّ عن موضوع العفة والزهد أو غيرها من مواضيع لها صلة.

الحقيقة هي أن أغلب المشاكل أو المواضيع التي تولّد فينا السعادة هي تلك التي ليست ذات قيمة مادياً، بل تم استغلالها بطريقة أو بأخرى. فمثلاً، إذا رغبنا اليوم أن نذهب في رحلة إلى موقع بحري أو صحراوي قاحل أو غابة، علينا أن ندفع لأحدهم المال مقابل سماحه لنا بالدخول إلى ذلك الموقع وقضاء بعض الوقت. هذا لا يعني أن البحر أو الصحراء أو الغابة هي التي تطالب بثمن الدخول بل لأن أحد الأشخاص وجد طريقة لكسب المال بهذه الطريقة. هذا يجعل الوضع سيء لدرجة كبيرة، لأنه يساهم في تدمير القيم الحقيقية للحياة. في القرن الماضي وحده، تم استغلال كل مجال ثقافي أو ترفيهي بهذه الطريقة، فقط من أجل الكسب المالي. كل نشاط يمكن للفرد القيام به من أجل جعله شخص أفضل، شخص واعي ومتفكّر، إما تم إلغائه كلياً من الوجود أو تم إخضاعه لمنظومة ربح مالي، فتحولت كل من هذه الفرص المجانية إلى عبئ مالي ثقيل.

سقطت المسارح في شباك المنظومة الاقتصادية التي تستهدف الربح فقط وليس التثقيف والتنمية الفكرية. المكتبات أنحت جانباً الكتب الثقافية العظيمة، لأنها غير مربحة مادياً وليس عليها طلب، وراحت تعرض الكتب التي ليس لها أي علاقة بتطوير الشخصية الإنسانية المثالية. حتى المدارس لم تعد تعلم الحقائق الصحيحة. المؤسسات الدينية (في كافة الأديان) أصبحت تهتم في بناء أماكن عبادة ضخمة وعديدة ولم يعد لديها الوقت الكافي لتصحيح الإنسان وإرشاده بشكل صحيح أو الكشف له عن مكامن الخطأ في حياته الشخصية. إذا كشف الموظف لسيد العمل عن رأيه الحقيقي به فسوف يفقد عمله. على الجميع أن يلعبوا لعبة الخداع هذه لكي تسير الامور بشكل جيد ورتيب. إنها نوع من النفاق الذي يستهدف المحافظة على الوضع الراهن مهما كان لئيم وبشع. وجب على كل هذا أن يتوقف ويزول. هو يزول في بعض الأماكن من هذه المنظومة العصرية. بعض البلدان لم تدخل بعد في هذه الدوامة العصرية المنافقة. رغم أنها قليلة جداً لكنها محظوظة بالفعل. نأمل أن لا تنجرف مع التيار وتدخل في هذه الدوامة التي ابتلعت كافة الأمم على وجه الأرض.

القوى العالمية تواجه اليوم مسؤوليات وأعباء تعتبر الأثقل عبر التاريخ البشري. هذه المسؤوليات الكبيرة هي نتيجة قرون طويلة من التفكير الخاطء. قرون طويلة كانت مكرّسة لتحقيق غايات خاطئة. آلاف من السنين الماضية تم فيها السماح بسيادة الطغيان والتسلّط، والسيطرة على علاقة البشرية فيما بينها. وجب فعل شيء حيال هذه الأمور. وبالنسبة للشخص العادي لا يوجد سوى طريقة واحدة فقط، وهو أن يقوم بهذه المهمة بنفسه. لتفترض أنك حاولت أن تصيغ لنفسك نمط جيد

للحياة، هل سوف تدخل في هذا النمط الجديد كامل أصدقائك؟ هل ستكون أنت من لن يدعمونه؟ هل ستكون الشخص الذي عليه أن يتنازل من موقع مزدهر إلى موقع أدنى مستوى وربما ينتهي بك الأمر في القاع؟ لا طبعاً، لأنه ليس هكذا هي النية من البداية. الحياة الداخلية للفرد هي ملكاً حصرياً له. يستطيع فعل ما يشاء بها. إذا أراد أن يكون شريفاً فيستطيع ذلك. ولحسن الحظ، في معظم الحالات، فإن قدر معقول من التكامل الأخلاقي محبب ومقبول من قبل الجميع. الفرد الذي لا يكون مربوطاً ببرنامج مالي متقن ومدروس سيكون لديه فرصة أكبر لأن يكون صادقاً، لأنه لن يخاف من فقدان شيء لم يملكه أبداً. لكن إذا بنى لنفسه منظومة مالية كبيرة ثم يحاول أن يكون مصلحاً فسوف يواجه فقدان كل ما بناه.

سأل أحدهم يوماً، ما هي قيمة الإنسان إذا خسر كل شيء يملكه؟ الجواب هو بسيط: ربما أكثر مما كان عليه سابقاً. لأنه بعد فقدانه الأموال تعلم درساً كبيراً، ومن هنا جاءت المكافأة. الإنسان يكون أفضل بكثير إذا فقد ما يملكه، بدلاً من إفساد وتشويه ما هو عليه خلال حوزته على ما يملكه. نحن نعيش في عالم من المساومة والإفساد وما يجلب ذلك معه من جرائم وكافة أنواع الإرهاب وغيرها من شرور تخطر في البال. وجميعها تمثل صرح كبير يمثل دليل على توجه خاطئ في الحياة. حتى اليوم، إذا بدأت تتكلم بجدية عن الدين فسوف تواجه آراء منقسمة جداً حول هذا الموضوع. معظم الناس لا يميلون أبداً إلى منح الدين ما يستحقه من قيمة واهتمام. ذلك لأن معظم، أو كل، المؤسسات الدينية لم تستعرض بعد أي أمثلة مناسبة لبث الثقة والاطمئنان في قلوب أتباعها. في الحقيقة، فإن المشكلة الحقيقية تكمن في أنه علينا الاجتهاد لإدراك واقعية عمل القانون الكوني. علينا أن ندرك بأنه بالرغم مما نفكر به أو نعتقده أو نريد معرفته، فإننا وسط كون تكون القيم فيه غير موضوعة من قبل الإنسان. والنجاح ليس مقاساً وفق صيغة الأملاك المادية. ليس هناك أي قيمة لكم من الأموال يملكها الفرد، حيث إذا مرض الرجل الثري فسوف تكون حالته مزرية كما حالة الفقير المريض. وإذا ترك الغني ثروته خلفه عند موته فإنه بذلك يجلب المشاكل والمسؤوليات والفقدان لورثته من بعده.

بالتالي فعلى بداية عملية التصحيح أن تكون السعي إلى إدراك القيمة داخل أنفسنا وليس في الخارج. علينا أن نكون مكتفين وراضين بوضع اقتصادي معقول. إذا كان لدينا عمل أو وظيفة جيدة، تنتج لنا دخل كافي بحيث نعيش باكتفاء وهناء، ويمكن للمدخول أن يسمح لنا التمتع بالرخاء المقبول

والمنطقي، حينها سوف نعتبر أنفسنا أكثر الناس نجاحاً في العالم. لكن عندما لا نطيق تصوّر أنفسنا محرومين من يخت أو سيارة فاخرة فيمكن حينها اعتبار أنفسنا فاشلين منذ البداية. لأنه مهما حصل، فإن الشهوات الداخلية لدينا قد أفسدت. الفرد الذي ينظر إلى الأمور من الزاوية الصحيحة سوف يعجز عن الاكتفاء والرضى إلا إذا بدأ بالنمو الداخلي. يعرف بأن عليه إيجاد تقدمه من خلال إنجاز القيم الأكبر في حياته. الشخص الذي يريد فعلاً أن ينمو يبحث عن عمق نظر أفضل، بينما الشخص الذي لا يأبه بالنمو سوف يبحث عن المزيد من الكسب المادي والارتقاء الدنيوي.

الأملاك الدنيوية لديها مشكلة أخرى مربوطة بها. الشخص العادي ليس مجهّز جيداً لاستبصار مستقبله المتجاوز لحياته الحالية. نحن لسنا واثقين جداً بالأمر، وكل منا لديه قناعاته المختلفة بخصوص الموضوع. بعضها قد يكون صحيحاً لكن أي منها هو كذلك؟ ليس من الضروري أن الجميع لديهم المعتقدات الصحيحة. عندما يموت الرجل الثري سوف يواجه مشكلة ما. قيل في أحد الكتب المقدسة بأن دخول الرجل الثري إلى الجنة يكون أكثر صعوبة من إمكانية مروره عبر ثقب الإبرة. هذه إحدى الأفكار التي تجعلنا نستنتج بأن الثراء قد يمثل أكبر ضرر خلال الحياة بعد الموت. الأمر ذاته نجده في الأساطير القديمة، حيث في الحياة ما بعد الموت كانت المكافئة تُمنح للذين عاشوا حياة صالحة وليس للذين كان لديهم ممتلكات أكثر. ليس هناك أي مرجع يشير إلى وجود شخص اشترى خلاصه بماله في الحياة الأخرى. قد يكون الرجل الثري تبرع ببناء كاتدرائية أو جامع على حسابه الخاص، في الوقت الذي تكون فيه حياته اليومية منحرفة وفاسدة، فهو بذلك لم يشتري الخلاص بماله الخاص، بل كل ما فعله هو شراء رضى المحيطين به.

المشكلة الفعلية بالتالي هي: ما هو المدى الفعلي للوجود البشري؟ لنفترض بأننا كائنات أبدية، ولنفترض بأنه في إحدى الحيوات السابقة اقترفنا الكثير من الأخطاء، حيث قمنا بخداع الناس وأذيناهم بأكثر من طريقة، كما قمنا بالكثير من الأمور الفاسدة الأخرى، ثم اكتسبنا بعدها ثروة كبيرة وتركناها في النهاية كميراث لأولادنا، ما هو تقييم هذا الأمر وفق منظور التكامل الروحي للإنسان؟ أين هو ذاهب بعد موته؟ الجواب هو بسيط: هو ذاهب إلى مكان ليس فيه أي قيمة للمتلكات التي اقترف الكثير من الخطايا في سبيل كسبها وجمعها. هو ذاهب إلى مكان لا وجود فيه للثراء والمال. هو ذاهب إلى مكان محكوم حصراً بالتكامل الأخلاقي. لكن سوف يبدو بأن هذا ليس المكان المناسب لشخص مغضوب عليه وينال العقاب على افعاله بعد الموت. لكن مهما كان الأمر، فلا

بد من أن يكون مكان مخصص لإكمال الأعمال غير المنتهية أو غير المكملة بعد، حيث الفرد الذي لم يواجه سابقاً تحدي كماله الأخلاقي سوف يُمنح بالتالي اختبار إضافي بخصوص هذا الموضوع. ومن الممكن الأخذ بوجهة النظر البوذية والتي تتحدث عن الكثير من أولئك الذين يأتون إلى العالم ويواجهون كافة أنواع المآسي الاقتصادية والمالية هم ببساطة يدفعون ديون متراكمة عليهم وتعود لحياة سابقة قاموا خلالها بأفعال تستحق هذا المصير.

بالتالي إذا أردنا أن نكون مواطنين منتمين للعالم الأكبر، إذا أردنا أن نكون جزءاً من برنامج كوني عظيم من التكامل الأخلاقي، أفضل طريقة لفعل ذلك هي البدء من الآن. إذا كل فرد حصل على ما يكفيه لكي يكون هادئ وبسيط وصالح، بينما الذين لديهم أكثر يسعون بمشاركة المزيد الذي لديهم مع الآخرين لكن وفق طريقة معقولة وممكنة، والجميع يوجه اهتمامه إلى تنمية النفس والارتقاء الروحي، ربما نحظى في النهاية بعالم بحيث يعود فيه الرمز المالي إلى مكانته الصحيحة والسليمة. لا يبدو أنه ضروري لكي نصنع من المنظومة المالية وحش خطير كما هي عليه اليوم. لا يبدو أنه ضروري أن نأتي بأشخاص عديمي القيمة والنفع ثم نعطيهم ثروات مالية هائلة. ليس منطقياً أن يعمل الفرد في هذا العالم فقط من أجل المال. ليس منطقياً أن نرى شخص يقبض راتب سنوي يبلغ مليون دولار ثم نراه مستاء لأن مشغليه لم يعطوه مليون آخر كترقية على جهوده، مع أنه لا ينتج شيء ولا يفيد عمله بشيء. دائماً نرى أن الثروة المالية الكبرى تذهب إلى أيادي أشخاص غير موهوبين بقدرات مميزة ولا معلق عليهم آمال كبيرة. كل هذا يمثل جزء من منظومة خيالية، جزء من وهم كبير فحواه الاستغلال المادي. لذلك نحن نتقدم تدريجياً في هذا السبيل حتى نصل إلى وقت لم يعد هناك أموال لدفع رواتب لأي أحد. هذا كله خاطئ ولا يبدو ضرورياً. من المفروض أن حضارتنا العصرية نشأت لتصحيح أخطاء وانحرافات وخطايا الماضي. لكن تبين أننا بالرغم من عيشنا اليوم بطريقة أكثر رخاء من الماضي لكن الإنسان في الماضي رغم حياته البائسة كان أكثر شرفاً ونبلاً وصدق.

ها نحن الآن نسيء معاملة العالم بأسره، بما فيه من طبيعة وبيئة ومخلوقات. لكن هناك جانب آخر لهذه المسألة والتي لم ننتبه له. بدأنا ندرك تدريجياً بأنه في هذا العالم تكون الأخطاء مستحيلة البقاء والاستمرار. بدأنا يوم بعد يوم وفي كافة المجالات نكتشف أكثر عواقب الأخطاء التي نقترفها. بدأنا ندرك تدريجياً بأننا ندمر الأمان الذي نكافح أصلاً إلى صيانته. وأنه خلال عملية الاستغلال المطلق

لبعضنا البعض فإننا نفقد الحق الإلهي بالأمان والارتقاء، وأنه هناك في مكان ما يوجد قوة قادرة على معاقبة هذا الوضع عند الضرورة، وسوف تفعل ذلك حتماً. تلك القوة قامت بتدمير الحضارات السابقة، الواحدة تلو الأخرى، كعقوبة على انحرافها وفسادها. إذا لم نهذّب سلوكنا بشكل أفضل، أقلّ ما سنواجهه هو انهيار نظامنا الاقتصادي. لكن ليس ضرورياً أن ينهار، بل ما هو ضروري هو إعادة تشكيله وصياغته بطريقة أكثر عقلانية، بحيث تعود الغاية منه إلى ما كان متوقعاً منها في البداية. أي تعود لتكون الوسيلة التي تمكن الكائن البشري عبرها من التمتع بالنمو والتقدم وحسن التعليم وحسن الصحة وكل شيء آخر نحتاجه في عيشنا وهذا بالضبط ما توفره الطبيعة بوفرة.

من الصعب جداً احترام الكلام السابق بالاعتماد على طريقة تفكيرنا الحالية. نحن حالياً مشغولين بالتفكير بكل هذا الاستغلال الحاصل اليوم. هو يأتينا بهيئة الجريمة الأخلاقية أو الجريمة الدموية أو الإرهاب على أنواعه أو المخدرات وكافة تلك الأشياء الشريرة. الإرهابي يكون دائماً مأجور أو مرتزق يمثل وسيلة لتحقيق غايات سياسية، بينما تجارة المخدرات تمثل مجال تجاري مربح جداً. العصابات والمافيات في كل مكان ويعشعشون في كل مجال، يسرقون الثروة ويستنزفونها. كل شيء يسعى وراء الثروة. وخلال السعي إلى حيازتها تنشب الحروب تلو الحروب بحيث يموت الأبرياء أو يعانون بالملايين. علينا بالتالي السيطرة على هذا الوضع المزري. وذلك من خلال الإدراك الكامل بأن نظام الربح كما نعرفه الآن لا يمكنه العمل بشكل بناء إلا وفق هامش ضيّق من الربح. لن يسمح لنا بفعل تلك الأشياء الغير عقلانية والغير قابلة للاستيعاب. لن تجعله عملياً بالنسبة لنا الإستمرار في تضخيم القيمة المالية وتقزيم التكامل الأخلاقي. لدينا إذاً هذه المسألة للعمل عليها. علينا التسليم بأن الثروة المالية تمثل المصدر الرئيسي لمعظم الشرور. لكن إذا تم استخدامه بشكل سليم يمكنه أن يكون وسيلة تبادل بحيث يمكننا من خلاله ربط العالم بأسره مع بعضه البعض وتشكيل مجموعة دولية موحّدة. نستطيع مشاركة كافة بضاعتنا عن طريق الرموز، أي المال. يمكننا الربح من أحدهم ونعطي الآخر، من دون حمل كامل الشحنة معنا. نستطيع إيجاد طرق مختلفة لتحسين الحياة، يمكننا تعزيز المجال التعليمي، يمكننا تعميق الدين أكثر، كل ذلك ممكن من خلال الاستخدام السليم للمصادر التي نحوزها. لكن طالما بقيت هذه المصادر مكرسة بشكل كبير لاستدامة الإفراط والمبالغة وعدم الاعتدال وكذلك الغباء الفعلي، سوف لن يكون حينها سهلاً إنشاء عالم سعيد.

أعتقد بأنه لو بدأنا التفكير بهذه الأمور قليلاً. أي عندما نخرج لنشتري، علينا التوقف ونفكر للحظة بالقيم المتعلقة في الموضوع. أي وجب أن لا نخرج من أجل صرف المال هكذا ببساطة. أي إذا رأينا أن الأشياء مسعّرة بشكل مرتفع كل ما علينا فعله هو عدم شراءها. إذا دعينا لشراء شيء ضار أو مسيء للخير العام، علينا ببساطة أن لا نشتريه. عندما يتم رفع الأسعار بشكل خاطئ، كل ما علينا فعله هو عدم الشراء بهذه الأسعار المرتفعة. خلال وقت قصير سوف ينجح هذا التعامل الذكي مع الأسواق بالخروج بنتائج مذهلة. ليس هناك أي شك في أنه حتى الوسط الترفيهي في هذا العالم سوف يخضع للتغيير الكامل، هذا إذا طلب الفرد ذلك. يمكننا الحصول على أي ترفيه نريده، وذلك من خلال رفض النوع الخاطئ من الترفيه. يمكننا الحصول على المنهج التعليمي الذي نريده، إذا قررنا عدم إرسال أطفالنا إلى المدارس غير المجدية. يمكننا الحصول على نوعية الوظائف التي نريدها، هذا إذا آمنا بتوظيف الناس على أسس منطقية والمرابح يتم توزيعها بالتساوي بين الأشخاص الذين يستحقونها. كل هذه الأمور يمكن فعلها، لكن وجب أولاً أن يتم المطالبة بها.

القرار الكبير يتم أحياناً على الشكل التالي: هل أريد فعلاً من العالم أن يكبر وينمو؟ أو علي شراء هذه الفيلا الجميلة في الأسبوع القادم والتي ثمنها ثلاث مئة وخمسين ألف دولار؟ مع أنك لو وقفت على نفس قطعة الأرض التي بنيت عليها الفيلا قبل ثلاثين سنة لكنت اشتريتها بمبلغ لا يزيد عن خمسين دولار. كل هذا التضخّم الهائل في الأسعار يمثل مشكلة حقيقية. السيارات الفخمة التي ثمنها خمسين أو مئة ألف دولار هي نادرة اليوم لدرجة أنه عليك طلبها قبل شهر لكي تحجز واحدة لك. كل هذه الأعمال هي غبية وتنتمي لنوع من الثراء المغفّل الذي يتجه حتماً إلى الإفلاس. وهو يستحق هذا المصير بالفعل. لكن على الجانب الآخر، إذا حصلنا على ما نريده وما نحتاجه وكنا مبتهجين بذلك، ونستخدم ضبط النفس بشكل منطقي وعقلاني، سوف نكتشف خلال وقت قصير بأن أموالنا سوف تزيد بشكل معتدل، وسوف نتمكن من التمتع بالرخاء المعقول الذي يستحقه الأنسان العادي. ليس هناك سبب يجعل السعادة تعتمد كلياً على تناول المشروبات الكحولية. ليس هناك سبب يجعلنا عاجزين عن العيش دون القيام برحلة مبذرة تستنزف أموالنا بشكل كبير. هذه الأمور هي سخيفة بكل بساطة. لكن الناس لا يصدقون مدى سخافة الأمر.

نحن نعيش في رحاب كون فحواه الأخلاق. نحن نعيش في نوع من العالم الذي يستحيل أن يدوم فيه الغباء. وجب أن نعتمد على التكامل الأخلاقي. لا يوجد أحد هناك في مكان ما يحمل عصى

ويأمرنا بأن لا نفعل الخطايا. زوايا عالمنا ليست محتلة من قبل حراس مدججين بالسلاح، ولا أن شوارع المدن يجوبها الملائكة والشياطين، لكن الحقيقة هي أن القوانين الفعلية التي تحمي مجرى الأمور هي راسخة وصلبة وثابتة. يكون الأمر دائما وفق المعادلة المشهورة: ".. سوف تحصد ما زرعته..". وكذلك المعادلة التالية: ".. كل فعل له رد فعل.. وكل سبب له نتيجة متساوية معه..". الإسراف والتبذير يجلبان معهما دائماً الفقر والعوز. الحرب تجلب معها دائماً البؤس والمأساة. كل هذه المسببات ونتائجها ثابتة. لم يستثنى أحد من هذه المعادلات بعد. ومن المؤكّد أنه لن يحصل أي استثناء أبداً. الطريقة الوحيد التي يمكنك تجنب هذه الدورات الثابتة هي النمو فوقها. والطريقة الوحيدة للنمو فوقها هي العيش أعلى منها. الفرد الذي يرتقي فوق سلوك معين يذكرنا بالتعريف الذي وضعه الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" عن الرجل السامي. قال بأن الرجل السامي هو الذي يرتقي فوق الفعل الوضيع. الرجل السامي لن يساوم على هذا العمل مهما كانت الظروف. هو قد يعاني إذا اضطرّ الأمر، وذلك في سبيل دفاعه عن حقوق الآخرين والعيش في وجود متحضّر وأكثر تنظيماً.

علينا إذاً التفكير بمسألة المال هذه لأنها تمثل أمر غاوي. المال يمثل الرمز الرائع، النزوة الأعظم، الوهم المذهل الذي نحن جميعاً مسحورين به وتم إغوائنا بحيث نكون مستعدين لتدمير كل شيء مهم من أجله. إنه هذا الوهم الذي يفسد أولادنا. إنه هذا الوهم الذي يجذب الانتقاد إلى الأنظمة في كافة أنحاء العالم. يمكن اختصار كامل المشكلة في فكرة واحدة، وهي أنه لسبب ما مجهول، اجتمع سبعة مليارات من البشر لكي يقترفوا نفس الأخطاء ويقعوا بنفس الهفوات ويعانوا من نفس المآسي والأحزان. كل هذا دون أي سبب مجدي يستحق العناء. الوحيدون الذين هم متحررون من هذا كله ويمكننا إيجاد بعض من السعادة متبقية لديهم هم السكان البدائيين القابعون في المناطق النائية مثل الجزر والغابات. هم لم يعلقوا في هذا النظام المالي المتوحش بعد، لكنهم في النهاية لا بد من أن يعلقوا بعد أن تجذبهم إغراءاته وإغواءاته الساحرة. حينها سوف يحتفل أفراد المنظمات الإنسانية المختلفة بأننا قضينا على الأمية والتخلف في كافة أنحاء العالم! هذا التحرر من الأمية الذي لم يساهم أبداً في زيادة الوعي والذكاء الحقيقي. قريباً سوف نجد انتشار واسع للتقدم المزوّر. كل الناس سوف يتكلمون عن أحواض الاستحمام (البانيو) في منازلهم. سوف يتكلمون عن وسائل التدفئة الحديثة التي تعمل على الوقود. يا له من عالم سطحي وسخيف. رغم كل هذه البهرجة المبالغة حول التطوّر المزور للإنسان، المشكلة الكبرى سوف تبقى قائمة، على هذا العالم أن يتعلم كيف يعيش بشكل صائب وسليم. عليه أن يتعلم كيف يحافظ على السلام. عليه أن يتعلم كيف يتجنب كل تلك

الإغراءات والإغواءات التي تقود في النهاية إلى الطغيان والإرهاب. كل من هذه الإغراءات مدعوم من قبل المفهوم المالي. مدعوم بمفهوم الثروة. كيف تحصل عليها وتحتفظ بها أو تهبشها من شخص آخر. هذا النوع من الأمور لن ينتج منه أي سلام ولا أمان للناس ولا يساعد أطفالنا على النمو ليصبحوا أشخاص شرفاء، لن يخلصنا من الإدمان أو الجريمة. كل هذه الأمور السابقة هي مرتبطة اليوم وبشكل مباشر بسعي أحدهم لإحراز الربح المالي. وذلك الشخص يلجأ إلى وسائل فاسدة خلال سعيه لكسب المال، وذلك لزيادة ثروته أو ثروة مجموعته.

ليس هناك فائدة من الخروج والصراع حول الأمر، لأنك لا تستطيع محاربة الأغلبية بنجاح. لكن أنت لست مضطر إلى الالتحاق بهم. تستطيع أن تفعل ما تؤمن بأنه الأفضل لك، وتكتفي بما هو متوفر لك إذا كنت شخص شريف ونواياك حسنة. إذا كنا نؤمن بالإله الأعلى يمكننا أن نسأل منه عبر الصلاة أو التأمّل لنيل الشجاعة والقوة لكي نستطيع العيش بطريقة صائبة وسليمة. يمكننا الاستجداء للقوة الأبدية أن تمنحنا القوة لكي نحافظ على بقاءنا ونحن ممثلين لذاتنا الحقيقية. وإذا فعلنا ذلك، هذه القوة الأبدية سوف تتجلى بداخل أنفسنا، وعندما ننادي أفضل جانب من أنفسنا فسوف يلبي النداء. لكن عندما ننادي ما بداخلنا فقط لكي يرشدنا كيف نكسب المال بسرعة ويسر، فسوف تأتي الاستجابة بشكل أخطر بكثير من الطلب.

كامل العملية تبدأ من خلال محاولة توجيه مفاهيمنا حول ما يمكن أن يشمله الكون. ماذا يعني أن تكون منظومة شمسية. أو ماذا يعني أن تكون كوكب مع كافة الكائنات الحية عليه. هذه الكائنات الحية هي ذات قيمة وأهمية كبرى. علينا حمايتها ونمنحها قيمة. علينا أيضاً منح البشر قيمة. علينا فعل كل ما بوسعنا لمنع الكائن البشري عن أن يصبح فصيلة معرضة للانقراض. وهو اليوم يحاول بكل ما لديه لتحقيق هذه النهاية البائسة. قد تمثل عملية إصلاح الأديان وتجديدها مساعدة كبرى. قد تمثل الأديان وسيلة عظيمة إذا أعدنا إحياء الفلسفات المثالية من جديد. ربما ما نحتاجه فعلياً هو المنطق العقلاني. في هذا الوضع المتأزم، نرى أنفسنا نفعل أشياء يومياً لا نرغب لأولادنا فعلها أبداً. لذلك علينا العمل باجتهاد على هذه المسألة. لكن المال هو الآن المدمّر الأكبر. إذا وجد رمز أو شعار مناسب للشياطين فلا بد من أن يكون الدولار.

المال هو الشيء الذي يسبب لنا الصداع الأكبر. كلنا بحاجة إليه، لكن علينا أن نتخذ موقف جديد تجاهه. علينا أن نجد طرق جديدة تضبط طريقة استخدامه، وكيف نجعل المال يساعد الإنسانية على أن تصبح أكثر رقياً على مستوى السلوك والتفكير. إذا كان هناك ما يكفي من الناس، لنقل واحد من بين مئة على هذا الكوكب، وحدوا جهودهم وفق نموذج مستمر يرفض أن يتم إفساد الفرد من قبل الإعلانات الكاذبة والبروبوغاندا الكاذبة والترفيه والتعليم الكاذب، سوف يحصل تغيير جذري وكبير وفوري. وسائل الإعلام اليوم تشعر بوجود هذه المشكلة. بدأ الناس يعبرون عن امتعاضهم وصاروا انتقائيين أكثر من السابق. وهناك جانب آخر وجب أن نتذكره: مهما حصل من أمور، الشر يسعى دائماً إلى تدمير ذاته. الشر يبالغ دائماً في تدمير هيكله وكيانه. كل شيء فاضل يجتمع مع شيء آخر فاضل لغاية تحسين الكل. الشرور بمفردها لا تجتمع مع بعضها. هي لا تعمل معاً حتى لو كانت الغاية شريرة. الشرور تتصارع دائماً مع بعضها. هي في حالة تنافس دائم مع بعضها البعض. لهذا السبب تموت. فقط التعاون والتكاتف يمنحان الحياة الأبدية وإمكانية تحقيق الغاية النهائية من وجودنا.

المشكلة إذاً تتعلق بالرمزية. جميعنا مهتمون بالرموز. نهتم بالتأمّل عليها. لذلك ربما علينا التأمّل على شعار الدولار ونحاول أن نكتشف ما المشكلة فيه. نسأل أنفسنا كيف سمحنا لأنفسنا اتخاذ توجّه تبجيلي تجاه رمز بسيط من المفروض أن يمثل مجرّد عملية تبادل تجاري. التأمّل على الدورلار (أو العملة المحلية) قد يكشف لنا ماذا نفعل به أو كيف نستخدمه. قد نتلقى بصيرة أو نظرة عميقة عن كيفية استخدامه بطريقة صحيحة. يمكننا سؤال أنفسنا: هذا الدولار، إلى أين يمكنه الذهاب لكي يفعل الخير الأكبر للعدد الأكبر؟ قد تكون هذه تجربة مثيرة. أنت لست مضطراً لأن تقوم بالأمر بشكل عملي، بل حاول التفكير بالموضوع بعمق، وأنظر ماذا يمكنك فعله بذلك الدولار إذا كنت مهتماً بصنع الخير الأكبر في العالم الذي تعيش فيه. ماذا سيفعل ذلك الدولار الواحد؟. بعدها يمكن أن يراودك شعور بتنفيذ الأمر عملياً. لكن دائماً من خلال التأمّل على ما نملكه يمكننا الكشف عن ما نحن عليه.

في اللحظة التي نستقر فيها للتمتع بالأنانية، فإننا خلالها نستشعر الضعف في طبيعتنا. أعظم مصدر للتكامل الأخلاقي موجود في داخل أنفسنا. أعظم مصدر لتقدم البشرية موجود فعلياً داخل أنفسنا. لأنه في داخل أنفسنا يقبع الإله الأعلى. الإله يعمل من خلالنا وعبرنا. هو يأتي متجلياً

بداخلنا ويخرج من خلالنا إلى العالم الخارجي. كل كائن بشري يستطيع أن يكون أداة مجدية لتطور الإنسانية. لتحقيق كل ما هو خيّر. بدلاً من القناعة التي تحكمنا والتي تقول بأننا أفراد وحيدين ليس لنا مآزر ونعيش حياتنا بكفاح مرير، علينا أن نتمسّك بتلك الفكرة التي تقول بأننا أدوات لقدر رفيع المستوى، نحن أدوات لقوة أزلية. إذا اخترنا أن نترك الأداة ولا نحاول استخدامها فهذا مجرّد موقف لا يقدم ولا يؤخر في العملية. لكن في الحقيقة يوجد داخل كل فرد قوة تمنحه القدرة على فعل ما هو أفضل مما يفعله الآن. ليس هناك إنسان واحد لا يستطيع تحقيق اليسير على الأقل، هذا إذا حاول جاهداً. الكثيرون يستطيعون إثبات قدرتهم على فعل الكثير حتى بعد محاولات بسيطة.

لكن مهما كان الأمر، فالحقيقة تبقى الحقيقة. علينا أن نكتشف في الكائنات الحية كيف يمكننا كسر الدوامة الشريرة للحروب والفقر والجريمة. رجال الشرطة وحدهم لا يستطيعون فعل ذلك. كافة منظمات السلام في العالم لا تستطيع فعل ذلك. كافة المناقشات والمباحثات في المواقع الساسية العليا لن تفعل ذلك أبداً. الشيء الوحيد الذي يستطيع تأمين العلاج الشافي لكل هذه المشاكل هو أن يقوم الأفراد بذاتهم بخطوات منفردة بالاتجاه الذي يعرفون أنه يمكن معالجة هذه المشاكل. نحن نعرف مثلاً أن الفرد الذي لا يشتري المخدرات لا يساهم بأي طريقة لكارتيلات ترويج المخدرات. لكن إذا اشترى المخدرات بنفسه فأصبح بذلك يمثل جزء من مجموعة هائلة تنتج المزيد والمزيد من المليارديرات بينما أنت تشاهدهم يقوون ويكبرون. لكن أنت لست مضطراً لأن تكون جزء من هذا كله. لست مضطراً لفعل شيء خاطئ والذي لا يتدخل بالمشاكل اليومية للحياة. قد لا تكون مرتاحاً في وظيفتك، لكن إذا كانت وظيفة صالحة وأنت تفعل ما بوسعك فيها، أو أنك متقاعد وتعيش بكل ما تستطيع من هناء واستقرار ومحبة، فهذه الحالة هي جيدة ومقبولة. لكن إذا حصلت على بعض المال الإضافي وأصرّيت بعدها على استثماره في الجريمة المنظمة، سوف تكتشف مباشرة بأن الصعوبات بدأت تتضاعف وتتزايد. السماء لا ترغب أن يكون الأمر بهذه الطريقة. جميعنا هنا لغاية النمو. وحتى هذه اللحظة فإن المال يعتبر أكبر عقبة لدينا أمام النمو. إذا استطعنا علاج هذه المشكلة فقط، أي مشكلة المال، فإن كافة المشاكل الأخرى سوف تزول أو تعالج نفسها. لأن كافة المشاكل الأخرى محفّزة من قبل الطمع والغيرة والطموح المبالغ به، عندما تُعالج هذه الأمور داخل الشخص فسوف تتحسن صحته. الفرد الذي يعيش وفق هذا المبدأ المتحرر من الضغوط السابقة سوف يساهم ذلك في طول عمره، وسوف يتحرر من كمبيالات الأطباء، كما سوف يزداد عدد أصدقائه وعلاقته مع العائلة سوف تقوى.

نحن نضحي بالقيم التي نعرفها فعلياً، وذلك مقابل الأشياء التي لا تعني شيئاً في أي حال من الأحوال. لذلك أعتقد بأنه علينا بكل تأكيد محاولة تقديم مساهمات شخصية. إذا كان هناك شيئاً تعرفه داخل نفسك والذي بحاجة إلى تصحيح أو تصويب، قد يكون شيئاً خفياً لكنه جدياً مثل المزاج الحاد أو التصلب في الفكر أو التعصب أو الكره بأحد جوانبه أو الغيرة... إذا استطعت تدريجياً إلغاء ردود الأفعال السلبية التي لديك باتجاه الأشياء التي تحصل معك كل يوم، سوف تبدأ بعدها بتنمية قوة جديدة، سوف تتمكن من مقاومة الإغراءات التي كنت تقع لها في السابق، وكذلك تقاوم الإغراءات التي يحاول الآخرون إيقاعك بها. يمكنك أن تصبح تدريجياً مركز للاستقامة والتكامل الأخلاقي وسط هذا العالم الفوضوي. عبر كونك أصبحت مركزاً للاستقامة والتكامل الأخلاقي سوف تستطيع بعدها إنجاز تدريجياً ذلك الذي هو ضروري.

إذا تمكنت الشعوب أن تكون صادقة مع ميراثها العظيم. إذا كانوا صادقين مع الأشياء التي يعرفون ضمنياً بأنها تمثل جزء من مصيرهم، إذا أدركنا حقيقة أننا هنا من أجل مساعدة العالم بأسره على النمو، وأن كافة الفنون والعلوم التي لدينا، كل تلك المختبرات البحثية، هي ليست موجودة لكي تربح الأموال، بل هي هنا لخدمتنا وتلبية حاجاتنا. كل النمو وكل التقدم وكل النجاح يتم مكافئته وفق جانب التكامل الأحلاقي وليس جانب المال. لذلك من المفروض علينا أن نبني عالم أفضل. نحن هنا لكي نعمل على هذا العالم الجميل ونحوله إلى مجد العصور. علينا أن نجعله ليس مهجع الأغنياء بل مهجع الصالحين. من المفروض أن يمثل عالمنا تحقيق فعلي لحلم العصور. يمكنه أن يكون كذلك بالفعل. ربما لهذا السبب بدأت المشكلة تشتدّ أكثر. ربما هذه المشكلة الاقتصادية الكبرى تمثل العقبة الأخيرة التي علينا تجاوزها قبل أن نحقق مصيرنا المعهود. لأن التصحيح الكوني لأنانيتنا قادر على جعلنا أمل العصور. ليس هناك فائدة من المبالغة في تثمين العالم ولا المبالغة في إنتاجيته، لكن ما علينا فعله هو الوقوف شامخين كرمز يمثل شيء أسمى وأرقى وأفضل مما يمكن إيجاده في مكان آخر. وبهذه الطريقة سوف نلهم العالم عبر إرشاده إلى تحقيق مصيره الصحيح. حينها سوف يكون بحق شعب واحد وإله واحد وطبيعة واحدة. كل هذه الأمور يمكنها الحصول فعلياً، وهي تبدأ من إجراء بسيط يتمثل بتكريس حياتنا الشخصية للقيم التي هي حقيقية.

يمكن للإدمان على المال أن يكون خطيراً كإدمان المخدرات



في الفترة الذهبية لليونان القديمة، كان هناك فيلسوف اسمه "أروستيبوس"، والذي قرر أن يقوم برحلة إلى إحدى الجزر اليونانية، فركب في أحد القوارب ولم يعرف بأن الهذا القارب كان يديره قراصنة. وطبعاً في تلك الأيام عندما يسافر الناس كانوا يأخذون كامل أموالهم معهم. لم يكن موجود حينها الترافلشيك أو بطاقة ائتمان أو غيرها من الوسائل التي نألفها اليوم، لذلك كانت الأموال ثقيلة تُحمل في صندوق صغير نسبياً. بعد فترة من الإبحار في القارب، كان "أروستيبوس" يجلس بهدوء في مقصورته حتى سمع الكلام الذي يجري على ظهر القارب في الخارج. خلاصة الكلام الذي كان يجري بين قبطان السفينة والملاحين هي أنهم كانوا يخططون لرمي الفيلسوف في البحر وأخذ أمواله التي كان يصطحبها معه في القارب. أزعجه هذا الموضوع للحظات لكنه أدرك بأنه لا بد من وجود منفذ من هذه الورطة. في اليوم التالي عند طلوع الشمس كان "أروستيبوس" يجلس على حافة القارب وأرجله متدلية من الجانب الخارجي ويحضن صندوق المال وكان يرمي القطع النقدية واحدة تلو الأخرى في البحر. فاقترب منه قبطان القارب وسأله متعجباً: ".. لماذا تفعل هذا؟.."، أجابه "أروستيبوس" بهدوء: ".. إنه أفضل أن يندثر الذهب من أجل أروستيبوس بدلاً من أن يندثر

أروستيبوس من أجل الذهب..". وكنتيجة لهذا العمل الذكي، تابع الفيلسوف رحلته ووصل إلى الجزيرة التي كان يقصدها بسلام. لكن يبدو أن رحلته كانت أغلى ثمناً مما كان يتوقع.

سوف نتحدث في هذا الموضوع عن مشكلة المال. في البداية، لا أعتقد بأنه علينا إدانة الثروة على أنها المسؤولة عن مصاعبنا المالية. المشكلة ليست في الثروة بل في علاقة الإنسان معها. إنه ما يفعل الإنسان بها وكيف يحصل عليها. الدوافع وراء جمعها والسلوك أثناء حيازتها. مادة المال بذاته هي إما مصنوعة من ورق أو ذهب أو فضة أو نحاس. ليس للمال بذاته أي مشكلة أخلاقية من أي نوع. مادته جاءت من الأرض وسوف تكون نهايته إلى المكان ذاته. المشكلة بكاملها تكمن في مسألة الاستخدام وسوء الإستخدام. ويبدو في الوقت الحالي بأننا نواجه ما يمكن تسميته مشكلة إدمان على مخدّر. يبدو أن المال هو شيء أصبح يمثل أحد أخطر المواد المخدرة التي وجب على الكائن البشري التعايش معه. الوضع هو قريب أو مشابه جداً مع مادة المخدرات. الفرد يتناول المخدر لكي يشعر بالنشوة. على الجانب الآخر، الفرد يجمع المال لكي يشعر بنشوة، ليشعر بالتفوّق، ليحقق الطموح، وليكسب نوع من الأفضلية الاقتصادية على الآخرين. هذه الدوافع طبعاً هي ليست الأرقى ولا الأنقى. لهذا السبب أدت هذه الدوافع إلى مآسي وأحزان طوال آلاف السنين. معروف منذ زمن بعيد، وحتى أنه لازال يُعتقد اليوم، بأنك لم تعد تستطيع التجارة وفق وسيلة التبادل بالبضاعة. لا تستطيع استبدال بقرة برأسين من الغنم، أو شيء من هذا القبيل. لا تستطيع اصطحاب البضاعة المختلفة معك إلى السوق بحثاً عن بضاعة أخرى توازيها في القيمة. لا بد من وجود وسيلة تبادل أيسر وأسهل في التعامل. وسيلة التبادل هي شيء يخضع لضبط وتنظيم خلال استبداله، وذلك بحيث يمثل وسيط رمزي للتبادل مقابل بضاعة مادية ذات قيمة فعلية. والأسعار والمرابح يحددها الحائزون على هذا الوسيط للتبادل.

نحن نعلم بأنه في الزمن القديم كانت الثروة مهمة جداً، لكن ليس بالقدر الذي تتخذه اليوم. في الحقيقة، كل من المفكرين القدماء أدرك بأن الثروة كانت بديل للرشد الداخلي. يسعى الفرد إلى اكتساب الثروة من أجل اكتساب السلطة والقوة. في الوقت الذي كان عليه الحصول على ما يستحقه من تفوق لكي يكرسه في سبيل تقدمه الفكري وتطوّر شخصيته وخلاصه النهائي من ميوله وتوجهاته الدنيوية. بالتالي، بدلاً من النمو، راح الفرد يسعى إلى حيازة القوة والملك. إذا حاز على ما يكفي من الوسيط المالي يصبح بعدها حاضراً لجميع أنواع الفرص للتقدم في الدنيا. يصبح لديه الامتياز الذي

يخوله استعباد الآخرين، أو الامتياز الذي يخوله السيطرة والتحكم بالمصير المالي للأمم، لكن في الحقيقة فإن كامل المسألة لا تتعدى دوامة في فنجان. ليس هناك أي رجل غني اليوم إلا ويعرف بأن أيامه معدودة في هذا العالم. هو على يقين بحقيقة أنه لا يستطيع أخذ أي من هذه الثروة معه. يمكنه أن يدرك أيضاً خلال مراكمة ثروته بأن الجزء المادي منها الذي يبقى بعد موته هو سمعته التي تلوثت وتشوهت. لا أحد يحترمه فعلياً، ولا يوجد أحد معجب به، بل الناس يخافونه، وغالباً يكونوا في حالة غيرة وحسد على ممتلكاته وفي محاولة دائمة لسرقتها منه.



الفلسفة البوذية كانت واضحة جداً عندما ناقشت هذا الموضوع بالتحديد. تقول بأن المشكلة في الفقر تكمن في تنهد الفرد لأنه ليس غنياً، بينما المشكلة في الثروة تكمن في تنهد الفرد خوفاً من أخذ ثروته منه. وهذا بالضبط ما يحصل في واقع الحياة اليومية. بالتالي فالمشكلة المتعلقة بالمال تصبح مثيرة جداً. وفي معظم الحالات تصبح المشكلة معقدة جداً.

نحن نعلم أن استخدام العملة النقدية هو عمل قريب نسبياً في التاريخ البشري. أي منذ حوالي ثلاثة آلاف عام. لكن مسألة تبادل البضاعة تعود إلى أزمنة قديمة جداً. ومعظم بنيتنا المالية تستند على إجراءات تبادلية. بمعنى آخر، نحن نستخدم المال الآن لكي ننجز ما كنا ننجزه في السابق دون

حاجة لوجود المال. لكن هذا الوسيط المالي أصبح اليوم مهم جداً بذاته. ولهذا السبب أصبح يمثل فشل كئيب في وجه الطبيعة.

يأتي الفرد إلى هذا العالم حائزاً على إمكانيات معينة. هو بكل تأكيد أكثر من مجرّد صائد للمال عند ولادته. هو لا يأبه إطلاقاً بالمال عند طفولته. يكون مهتم فقط بحاجاته المباشرة وكذلك الحاجة المستمرة للحب والحنان والاهتمام. لكن مع بلوغ الفرد في الحياة يُفرض عليه قسراً تقبل والتماشي مع الحالة الاقتصادية للعالم الذي يعيش فيه. الشخص بذاته لديه إمكانيات. وغاية الطبيعة هي أن يعيش الإنسان من أجل النمو. عليه أن يصبح أكثر. عليه أن يفهم بشكل أفضل. عليه أن يغني الحياة. وعليه التعاون ما باقي الكائنات الحية في استدامة منظومة اقتصادية عادلة. هذه كانت مشكلة كبرى بالنسبة للأجيال التي سبقتنا أيضاً، حيث بعض من الشباب والشابات من الجيل الذي سبقنا حاولوا إيجاد حل لها من خلال إنشاء أنواع وأشكال مختلفة من المجموعات الاشتراكية. كما جرّبوا سياسات فردية. لكن من هذا كله لم يبرز أي شيء مرضي. منذ عقود قليلة حاولت بلدين كبيرتين حل المشكلة الاقتصادية، هما الصين والاتحاد السوفيتي، وذلك من خلال إلغاء الدافع أو المحفّز الذي يؤدي إلى الثراء. لكن هذه المحاولات لم تكن ناجحة وذلك لسبب بسيط وهو أنه في غياب الدافع أو المحفّز لم يعد أحد يريد فعل شيء. فاضطرت حكومات البلدين إلى إجبار المواطنين على العمل لكي يدفعوا فواتير حياتهم اليومية، فنشأ نوع جديد من الاستعباد. أما في الدول الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة، فقد تجلّت مشكلة المال بأبشع وجوهها خلال فترات الكساد المالي والتي تخلقها البنوك بين الحين والآخر، حيث ينهار سعر العملة بشكل كبير ويحصل فوضى عارمة في الأسواق مقابل ضعف القوة الشرائية للمواطنين فتنتشر البطالة والعوز وينتج منها مآسي اجتماعية كبيرة.

الحل الفعلي يبدأ من معرفة أن المشكلة لا تكمن في وسيط التبادل، أي المال، ولا حتى في نظرية التبادل، بل تكمن في سوء استخدام وسيط التبادل. وسوء الاستخدام تزايد باستمرار حتى أصبح الثراء يمثل الدافع النهائي والوحيد بالنسبة لأغلبية الكائنات البشرية. قد تتمثل الثروة بالمال أو الماشية أو العقارات أو أي شيء آخر له قيمة. هذه الثروة أصبحت تمثل الغاية الأساسية لتفكيرنا العصري. صحيح أنه لدينا مثاليين ومتصوفين وفلاسفة، لكن في القسم الأكبر فإن الناس مهتمون بشكل رئيسي بمراكمة الممتلكات المادية، وهذه المراكمة تجعله ضرورياً وجود منظومة اقتصادية توفر لهم

السبيل للبيع والشراء. لكن هذه المنظومة الاقتصادية طبعاً أصبحت أسوأ وأشد خطورة مع مرور الوقت. رويداً رويداً أصبح لدينا عصر من الرفاهية والترف والتبذير المتزايد. أصبحت الفكرة بعدها تقول بأن النجاح يمثل الرفاهية والترف والتبذير. الفكرة تقول بأن النجاح هو أن تصل إلى تلك المرحلة في الحياة بحيث لم تعد تحتاج إلى العمل. لذلك نجد أن الأشخاص الناجحين يصلون إلى مرحلة سيئة فيما بعد، لأنه دون أن يكون لديهم حاجة لفعل شيء يفشلون في تنمية أي إمكانية داخل أنفسهم. كل ما يحوزونه هو امتياز الإسراف والتبذير والذي يمثل عبئ ثقيل على الروح.





كان لدى القدماء ما نسميها اليوم مدارس الانتساب إلى المبادئ والتعاليم السرية. كان لديهم طقوس وشعائر. وكان لديهم مهرجانات فخمة ورائعة تشدّد على أعمال الإرادة الإلهية. كل تلك التعاليم السرية والطقوس والمهرجانات تشمل أشكال مختلفة من الإغراءات والإغواءات التي وجب مقاومتها

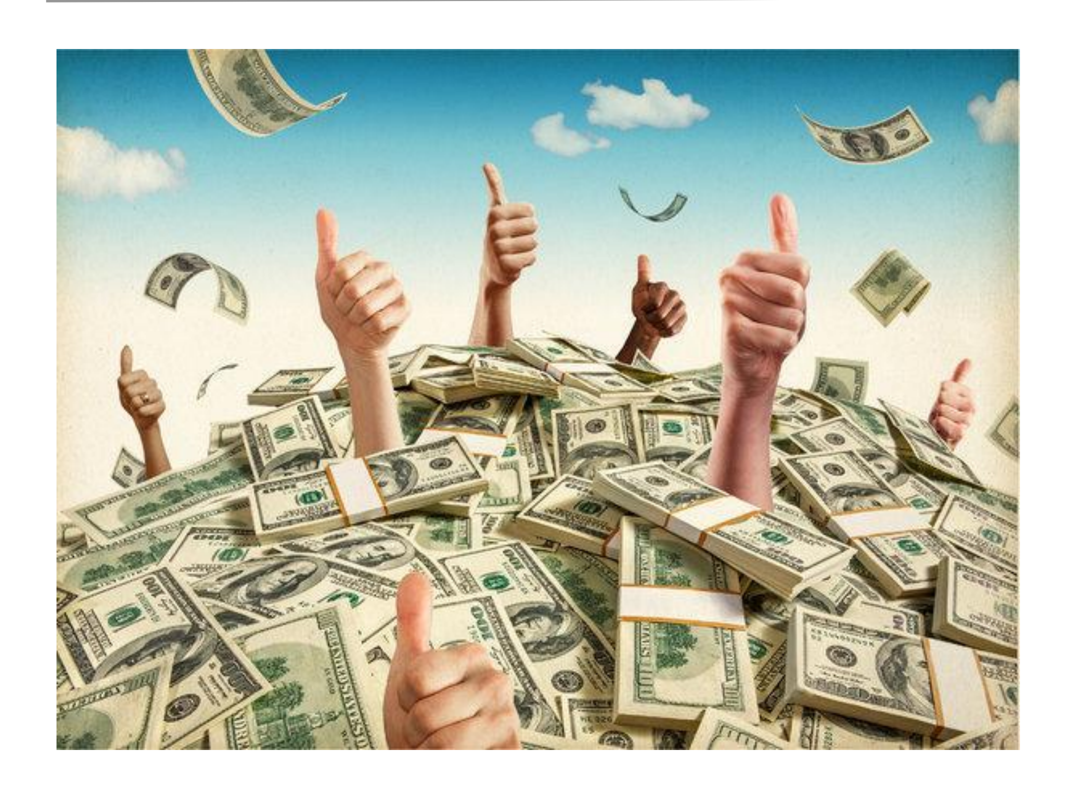
والتغلب عليها. كان يتم إغواء الفرد لكي يساوم على استقامته وتكامله في سبيل الفوز بمكافئة، وإذا استسلم أمام هذا الإغواء سوف يفشل في الاختبار وبالتالي لم يعد مخوّلاً للتقدم على مستوى الحضارة والرفعة البشرية. كان يسود دائماً نوع من الاستهلالية أو شعائر الانتساب في الماضي. وكانت هذه الشعائر في الماضي القديم مؤلمة جسدياً بحيث غالباً ما كان الفرد يتعذب ويعاني من الجروح ومن علل جسدية متنوعة تحصل نتيجة شعائر اختبار الشخصية. لاحقاً في التاريخ لم تعد هذه الشعائر المؤلمة تستخدم بل سادت بعدها اختبارات من نوع آخر تتعلق بالمواقف والنزعات الفكرية. كان على الساعي وراء التنوّر أن يثبت بأن الأولوية هي دائماً للتنوّر. كان عليه إثبات استعداده للتضحية بكافة امتيازات الثروة والرخاء والرفاهية في سبيل تحسين حياته الداخلية.




TWENTY
FIVE

اليوم لدينا منظومة عظيمة للثروة والتي لا تبالي بالتحسن. نجد اليوم بأن الفرد أو المجتمع أو حتى العالم بأسره، بعد الخضوع لإختبار الثروة، على طريقة الطقوس القديمة، يفشلون في الامتحان. بدلاً من التمتع بالشجاعة للارتقاء فوق إغراءات الكسب السريع، نجد الفرد يتخذ غالباً ذلك الموقف القائل بأنه يريد ما يريده وبأسرع ما يمكن لأنه لا يعرف كم من الوقت سيعيش في الحياة. بعد إلقاء نظرة على الوضع كما هو، نتسائل إذا كان الناس مستعدون لاتخاذ المواقف السائدة الآن. نجد أن الفرد، مهما كان راتبه عالي أو مهما كان يملك من قصور وأراضي ومعامل، يبقى بالنهاية مخلوق معرض للخطأ، هو كائن له وجود مؤقت جداً، معرّض لعدد غير محدود من العلل والأمراض، ونهايته حتمية من الوجود المادي. بالتالي نجد أن كامل هذه العملية التي تطغي على حياة تسعين في المئة من البشرية هي عبارة عن عملية تافهة لا تتعدى الزوبعة في فنجان. لا يستطيع الفرد أخذ ثروته معه بعد موته، لكن رغم ذلك نجده مستعداً لارتكاب الجرائم من أجل الحصول عليها. هو يكافح دائماً بطريقة أو بأخرى لحمايتها والحفاظ عليها، ولكن مع ذلك نجد مجرم آخر يتربص به لتجريده منها. كافة هذه الإجراءات محاطة بحقيقة حتمية واحدة، وهي أن الطبيعة والكون والمخطط الكلّي للأشياء، جميعها غير متأثرة أو غير مهتمة أصلاً بكامل الموضوع. هذا الموضوع بكامله عديم المعنى على مستوى جوهر الأمور أو نهاية الأشياء. الموضوع عديم المعنى على كل المستويات، باستثناء حياة صغيرة وسط حيّز صغير نسميه الوجود الفاني.

المادية، أو التوجّه المادي، هي ربما المسؤول الأكبر عن انتشار هذا الهوس بالثروة. من خلال إنكار أي امتداد روحي للفرد، وإنكار وجود أي أمل بوجود حياة خالدة، وإنكار وجود أي دوافع أخلاقية للضبط الذاتي أو التحكم بالنفس، تقوم المادية بتوجيه الشخص العادي إلى مسألة الإرضاء أو المتعة المباشرة. أي تجعله يريد أن يحوز على ما يحوزه طالما يمكنه استخدامه، لكن جميع الذين يفعلون هذا لا يعيشون لاستخدامه. يصرفون بعضه ويفقدون بعضه ويمنحون بعضه وقسم كبير يؤخذ منهم، لكن في النهاية فإن التقييم النهائي للوضع ليس سعيداً. ورغم عدم سعادة هذا الوضع أو هذا التوجه، نجده بنمو ويتزايد وينتشر في العالم ناتجاً الحروب والجرائم والخراب والإفقار والكآبة والمجاعة ومجموعة واسعة من الأمراض. جميعها مرتبطة بطريقة أو بأخرى بالرغبة في الكسب والربح بغض النظر عن العواقب.



لدينا إذاً حالة سائدة على مستوى العالم وتتأصل من نقطة واحدة جوهرية، وهي نزعة الفرد إلى التفوّق على الآخرين. هو يتوق إلى أن يكون متفوقاً، ويشعر بأن الطريقة الوحيدة التي تجعله متفوقاً هي الحوزة على الثروة. كامل تعليمه المدرسي يتمحور حول الثراء. كامل توجهاته في الحياة هي نحو تلك الخدمات العامة المدعومة مالياً. كل ما يفعله تقريباً يسير وفق إمكانياته الإقتصادية. كلما زادت قدرته على صرف الأموال تزيد رفاهيته وقدرته على تحقيق رغباته الدنيوية. لكن هذه الرغبات هي عديمة المعنى على المستوى الشمولي للأمور. يملك الفرد كل هذه الامتيازات الدنيوية لكن مع ذلك عندما يأتي الموعد نجده يفارق هذه الحياة بحالة بائسة تماماً. لقد اطلعت على الكثير من القصص والحكايا التي يرويها الذين يحضرون اللحظات الأخيرة من حياة أشخاص أثرياء، جميعهم في اللحظات الأخيرة قبل الموت يتوقون إلى المواساة، وكل واحد منهم على فراش الموت كان مستعد أن يستغني عن كل ثروته مقابل يوم واحد إضافي فقط، لكنه لن يحصل على ذلك أبداً. بعضهم كان توجهه علماني مادي، وفي اللحظات الأخيرة كانوا يبكون ويتوسلون من يؤكد لهم حقيقة وجود شيء ما بعد الموت. كانوا يتمنون وجود شيء لكي يستمر بقاءهم ولو في عالم آخر. لقد تم تعليمهم منذ بداية حياتهم أن يتخلوا عن الإيمان باستمرارية الحياة. لكن لماذا وجد هذا النوع من التعليم العلماني

المادي الذي منع الإيمان بوجود حياة أخرى بعد الموت؟ لماذا سُمح بنشوء الفرد على عقيدة مادية؟ الجواب هو بسيط، سمحوا بأن ينشأ الفرد على عقيدة مادية لأن هذا سوف يديم استمرارية الوهم بخصوص الثروة. إذا كان لدى الفرد أفكار مثالية أقوى من نزعة امتلاك الثروة سوف يُعتبر مثالي متوهّم، وبصفته مثالي فهذا يجعله غير واقعي وغير عملي كلياً، ومصيره هو العيش في الفقر والعوز لباقي حياته. لكن رغم ذلك نجد في النهاية وجود مدفنين في المقبرة المحلية، واحد للمثالي والآخر للمادي. من يستطيع التمييز بينهما؟ من هو المثالي ومن هو المادي؟ وفي هكذا حالات، الأمر الأهم هو من منهما مات وفي قلبه أمل. لأنه دون الأمل فإن كامل المسألة فاشلة بشكل مميت.

لقد صنعت الطبيعة هذا النموذج الحياتي بالتحديد لسبب مهم جداً. على الفرد أن يثبت قدرته الداخلية على التحكم بنفسه والسيطرة على نفسه. عليه أن يثبت بأن الخطة التطورية الكبرى التي يمثل جزءاً منها، والتي تحاول أن تصنع منه شيئاً مجدياً، هي في حالة نجاح. الفرد الذي ينجح في العيش على مر حياته لكنه لم يحسن شخصيته ولم يجد أي حل لإهماله وتقصيره وآثامه، ولم ينمي أي حكمة أو عقلانية لديه، مع القليل من كرم الأخلاق وليس الكثير من الشفقة والعاطفة الحقيقية، في هذه الحالة فإن الفرد لن ينمو، وبالتالي يغادر هذه الحياة بنفس الحالة التي دخل بها. هذا يعني أنه فاشل منذ ولادته. لم يستخدم أي من الأشياء التي منحت له في سبيل جعل الحياة أفضل أو أكثر قوة. في أجزاء مختلفة حول العالم راحت الثقافات الاشتراكية المادية تنظر إلى هذه المسألة بطريقة مختلفة. راحوا يدركون تدريجياً بأن التوجه المادي يمثل طريق مسدود. لم يعد لديهم أي إمكانية للاستمرار في إثبات صحة النظرية المادية أكثر من النظرية المثالية. لدى المثاليين الحالمين نفس الدلائل مقابل الماديين الذي يعانون من وهم الثراء.

ليس هناك أي طريقة لإثبات حقيقة أن الحياة الداخلية للفرد يمكن جعلها آمنة بأي وسيلة غير تنمية الشخصية. وجب أن يكون أكثر في داخله. ولكي يكون أكثر يعني أن ينمو. بينما أن يسعى إلى جمع المزيد من الممتلكات فهذا عمل مشكوك به إن كان يساعد الفرد على النمو أم لا. إذا كان الفرد يملك ثروة، إما عبر اجتهاده الشخصي أو عبر التوريث، أو تكون الظروف ابتسمت له وربح جائزة يانصيب، إذا كان يملك ثروة تأتي مباشرة المشكلة بخصوص كيفية استخدامها. هو يعيش في عالم من الناس معظمهم في حالة معاناة. هو يعيش اليوم في عالم يخضع تحت مجموعة من

حالات الطغيان التي جلبت الأسى والبؤس للملايين. الآن أصبح الفرد يحوز على قوة مالية، فماذا سيفعل بها؟ هل سوف يخرج إلى محل مقامرة ليقامر بها؟ هل سيشتري يخت أو سيارة فاخرة؟ هل سيقوم بأفعال البذخ والتبذير غير العقلاني وكل ذلك أمام البؤساء الذين لا يملكون شيء؟ هذه الوضعية الأخيرة كانت السبب وراء الثورة الفرنسية. هذا هو السبب الذي أدى إلى الانقلاب على الأنظمة. كل ثورة في التاريخ تقريباً انطلقت بسبب نوع من أنواع الاستغلال الاقتصادي. معظم الفورات الشعبية عبر التاريخ حصلت نتيجة فشل الذين يملكون في مساعدة الذين لا يملكون. السبب إذاً يكمن في مشكلة التوزيع الصحيح للثروة.

قال الملياردير الشهير "أندرو كارنيغي" يوماً: *".. إنه من حق الفرد أن يعيش ثرياً، لكن ليس على أحد أن يموت فقيراً.."*. قبل أن تأتي نهايته، جعل كل ما يملكه متوفراً لكل من بحاجة وعوز. أي قام بتوزيع كامل أمواله قبل موته. لكن هناك مشكلة أخرى أيضاً في هكذا مبادرة، وهي منح كميات كبيرة من المال لأشخاص لم يستحقونها بالمجهود الفردي. إذا كان المتلقي للأموال التي لم يستحقها يريد أن يكون متنوراً وكرس حياته لفائدة الآخرين، يمكنه حينها أن يأخذ المال الممنوح له ويستخدمه لخدمة وفائدة البشرية جمعاء. لكن إذا لم ينشأ أو يتربى بحيث يكون لديه أي دوافع أو محفزات لفعل ذلك، حيث المنهج التعليمي لا يفعل شيء لإغناء شخصيته، وإذا استمر في جعل إشباع رغباته وشهواته الغاية النهائية لكل متطلباته فسوف تستمر مشكلة الثروة كما هي في دوامات متتالية من البؤس حتى ينهار أخيراً هذا النظام المالي بالكامل. ننظر للحظة إلى حقيقة المسألة، ونجد أنه لدينا من الوقت في هذا العالم سبعين أو ثمانيني أو تسعين سنة من الحياة. خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة من وجودنا في هذا العالم، جئنا لنقوم بعمل جاد وذو قيمة. ليس من الضروري أن يكون العمل الجاد مأساة. العمل الجاد لا يعني أنه علينا التنقّل من بؤس إلى آخر. بل يعني أننا جئنا إلى هنا لأننا نتعامل مع مسألة عظيمة غير مكتملة بعد.

نحن نأتي إلى هذا العالم والذي هو بنفسه لازال في وسط المسألة، أي هو في مكان ما بالوسط بين بدايته ونهايته. نحن هنا بالتالي كجزء من مشهد دائم التحرّك من التغيير الاجتماعي. نحن هنا لكي نصبح جزء من شيء يحاول أن يرتقي فوق أخطاءه. لم يطول وجودنا هنا قبل أن نتعرف على بعض تلك الأخطاء. ثم بدأنا ندرك بأنه من الضروري، إما تجاهل معاناة الآخرين أو نقوم بإجراء تغييرات في نزعتنا وتصرفاتنا. أسهل خيار طبعاً هو تجاهل معاناة الآخرين. لكن الطبيعة مرة أخرى

هي صارمة في هذه المسألة، حيث إذا قمنا بالتجاهل لفترة طويلة فسوف ينتج من ذلك ثورة اجتماعية. لأنه على المحرومين أن ينالوا فرصتهم في الحياة الكريمة.

منذ عقود في الصين، راحت الحكومة ترفع الحظر عن الأعمال الخاصة، بدلاً من احتكارها جميعاً من قبل الحكومة. الغاية هي السماح للناس بأن يستحقوا شيئاً من مجهودهم الخاص. هذا الإجراء يعتبر عمل طبيعي وسليم. على كل فرد منا أن يستحق ما يملكه وما يحتاجه. وجب أن لا نكون جزء من تركيبة اشتراكية تقدم لنا كل حاجاتنا لكن لم تترك فينا أي حافز أو دافع لكي نجتهد في تطوير مصادرنا الباطنية. لا يمكن جعلنا آمنين من خلال دعمنا من قبل الحكومة. الدعم الذي نحصل عليه هو لكي نستخدمه للقيام بشيء آخر. متما تُدعم حياة، يُفترض بأن تلك الحياة سوف تكافئ هذا الدعم من خلال النمو والتقدم والفائدة. إذا لم تحقق هذه الأشياء فهذا سيؤدي حتماً إلى انهيار اقتصادي.

نحن إذاً نواجه مسألة شخصية بحيث نقول مثلاً دعونا نقبل بحقيقة أننا نعمل وفق منظومة اقتصادية معينة. إذا تم استخدام وإدارة هذه المنظومة الاقتصادية بشكل جيّد فسوف تعود بالفائدة لنا جميعاً، لكن إذا أسيء استخدامها وإدارتها فهذا يعني حصول انهيار للأمة بكاملها. سوء الاستخدام والإدارة يعني أن الأنانية سيطرت على زمام الأمور، وسيطرت على نماذج الإدارة. الفرد الذي يكون أناني هو دائماً في مشكلة. أنانيته لم تجلب له أبداً مواساة أو الكسب الذين يرغبهما. إذا كسب ذالك الذي لم يستحقه فسوف ينزلق بين أصابعه ويختفي. نحن نرى ذلك اليوم في التفاقمات الهائلة في المستوى المالي من الحياة. نرى أشخاص يكاد يكون لديهم أي قدرات مميزة، لكن من خلال البروبوغاندا والتسويق الإعلامي يكسبون مبالغ طائلة سنوياً. ماذا يفعلون بكل تلك الملايين؟ القليلون معروفون بأنهم يفعلون أمور جيدة ببعض ما يكسبوه. لكن عند القسم الأكبر نرى الأموال تتلاشي عبر التبذير غير العقلاني. واليوم نجد قسم كبير من الثروة مجموعاً بواسطة انعدام التكامل الأخلاقي أو التفهم ويُصرف لشراء المخدرات. الدائرة الشريرة تستمر بالدوران، وداخل هذه الدائرة الشريرة يكمن الجدارين الأوّل للولادة والثاني للموت، يحدان كامل العملية. هذه الحالة تترك لنا القليل جداً مع سيرنا قدماً على طول الرحلة.

ليس بالضرورة أن نحاول عيش حياة الآخرين. لا نستطيع صنع مظاهرة لفعل شيء معين. وفق بعض الظروف يمكن تحقيق الإصلاحات. وعندما يتم تحقيقها سوف يكون أمراً رائعاً. لكن عدد كبير من أولئك الذي بحاجة إلى الإصلاحات يرفضونها بإصرار. لذلك علينا اللجوء إلى طريقة أخرى لمقاربة هذه المسألة. وهي أنه علينا البدء بكل هذه الإجراءات الإصلاحية من خلال توسيع وتعميق فهمنا الخاص. الشخص الوحيد الذي يمكننا قيادته بنجاح عبر هذه المتاهة هو نحن. قد نتمكن من التأثير على الآخرين وإلهامهم، لكن كامل تجربة الحضارة المادية راسخة داخل كل شخص في هذا العالم. كل فرد على كل مستوى من الحياة يواجه اليوم ضرورة اتخاذ قرارات. هناك أمور وجب أن يقررها داخل نفسه. هناك توجهات ومواقف وجب اتخاذها. هناك حلول وجب إيجادها، وعندما يجدها عليه تطبيقها عملياً. وكنتيجة لذلك، مهما كان موقع الفرد، إن كان يعيش في مجتمع متسلّط بحيث ليس لديه شيء يقوله أو يعبر عنه، أو إن كانت روحه حرة بحيث يستطيع قول ما يريد قوله، كل هذا لا يهم. الأمر المهم هو أن على كل شخص بطريقته الخاصة أن يكتشف السبب لوجوده في الحياة. عليه اكتشاف المعنى الحقيقي للثروة، عليه معرفة الغاية الفعلية التي وجد من أجلها المال، وكيف وجب استخدام المال بطريقة سليمة. وعليه أن يدرك بأن الاستخدام غير السليم للمال سوف يؤدي إلى مأساة فردية وجماعية معاً.

على الفرد أن يأخذ طموحاته المتنوعة المتعلقة بمستقبله الاقتصادي الخاص، ويخضع هذه الطموحات لاختبار النزاهة والاستقامة. إذا كان يرغب في أن يكون أكثر مما هو عليه، فهل هو مستعد لاستحقاق هذا التقدم؟ إذا كان يرغب في أن يكون أقوى من ناحية ثباته على رعاية قوانين الحياة، عليه بالتالي تعزيز ذلك الثبات ومساندته. في كل طريقة من الطرق، فإن الجواب الشافي لمشكلة الفرد ليس الإنطلاق لوحده قلقاً بخصوص الخير العام، بل الأمر الذي عليه فعله هو أن يلحظ بحذر علاقاته الخاصة مع الحياة، ويكون واثقاً بأنه خلال انجرافه مع نهر الحياة الذي يجري حالياً، بأنه الآن يتعلم ما كان مفروض عليه تعلمه خلال رحلة الحياة هذه. نحن هنا من أجل معرفة معينة. علينا أن نحقق ما يريده منا القانون الطبيعي ثم نغادر هذه الحياة في نهاية تجلينا المادي بحيث نكون أشخاص أفضل مما كنا عليه عندما جئنا إلى الحياة. إذا كنا غير واثقين خلال طفولتنا فوجب أن نكون أكثر ثقة خلال بلوغنا. ونكون واثقين أكثر وأكثر في شيخوختنا. إذا كنا مثاليين فوجب أن نؤمن بالمثالية عند صغرنا ومن ثم نطبقها عملياً عند كبرنا. المثالية هي طريقة حياة

صدوقة. هي طريقة حياة بحيث نعيش معاً بصيغة أخوية. هذه الأخوية الآن قد دمرها الطموح وتم إحباطها بشكل كبير من قبل الثروة. لذلك علينا تناول هذه المسائل بطريقة جديدة وعقلانية وذكية.



كل شيء يحصل معنا يمثل فرصة وكذلك مسؤولية. كل شخص نعرفه يجلب لنا شيئاً ويطلب شيئاً. هذا أمر حتمي. لكن غالباً ما نفرح للأشخاص الذين يجلبون بينما نتعالى على الأشخاص الذين يطلبون. العلاقات القائمة اليوم ليست تبادلية بطبيعتها، بل تفرض علينا أن نحصل على ما نستطيع وعلى الآخر أن يفعل بقدر ما يستطيع. كل هذه التوجهات تؤدي إلى تدمير النظام العالمي. في الأزمنة القديمة حيث الحضارة المصرية والهندية والصينية وغيرها، كان النظام العالمي غامض وغير واضح، حيث القليل من العالم كان معروفاً والفرص كانت محدودة نسبياً، والضغوط السياسية القوية المختلفة تجاه المادية لم تلاقي الدعم أو التعزيز. كانت الثروة موجودة في الزمن القديم لكنها لم تكن تعتبر مفخرة يتزين بها الفرد. ذلك لأن حالة الثراء كانت خاضعة لضلال المؤسسات العظيمة للمدارس السرية. كل حضارة عظيمة في الماضي كانت تخضع إلى دين سائد في البلاد وكان له تأثير فعلي على الأتباع. كان الدين ينال الموالاة من كل شخص مهذب ومحتشم وجدير بالاحترام.

هذا الدين الذي منح حق الإله الأعلى في حكم البشرية دون مسائلة. كان هناك أيضاً نظام بحيث كل عمل خير كان يتم باسم الخير المطلق. وكل ما زاد فعلنا للخير كلما كان تحسن البيئة فوري ومباشر. كل هذه الأنظمة كانت تمثل جزء من الحياة في كل من اليونان ومصر وفارس والهندوس والبوذيين وغيرهم. كافة هذه الأمم المختلفة كان لديها أخلاق. كان يسود فيها أنظمة كبرى من الاستقامة التقليدية والتي من المفروض أن تسيطر على السلوك الإنساني.

كل دين في العالم والذي يسوده المشاكل، يكون هذا بسبب ابتعاده عن منهج التعاليم الأساسية. لقد سيطر تدريجياً كل من الثروة والسلطة والطموح، وكنتيجة لذلك تم تدمير المكانة العليا للمبادئ الروحية التي تأسست عليها الحضارة أصلاً. بالتالي بدلاً من استدامة الخير قمنا باستخدام الخير كوسيلة للاستعباد والسيطرة والتحكم والهيمنة ولفرض آرائنا وتعاليمنا على الآخرين رغم أننا نعجز عن الالتزام بها بنفسنا.



لذلك فإن الطبيعة، بصفتها ما هي عليه، لديها أنظمة انضباط مختلفة لمخلوقات متنوعة ومتفاوتة في درجات التطور. يوجد نوع معين من نظام انضباط للأرنب، ونوع آخر من نظام الانضباط

للكائن البشري. كل كائن حيّ يعيش في عشوائية ومعرض للأخطار وبحاجة إلى الانضباط لكي يحافظ على بقائه. يوجد قوانين لكل نوع من المخلوقات. وكل مخلوق يخرق القوانين هو معرض للتدمير الذاتي. حتى في مملكة الحيوان نجد أن المخلوقات المختلفة تحوز في تركيبتها الباطنية على نوع من الحدس الغامض الذي يحدد حاجات كل نوع على حداه. ومن خلال مراقبة بعضها البعض، تنال المخلوقات تعليمها العظيم. في عالم الحيوان، كل نوع يصبح متعلماً من خلال مراقبة أعمال ذلك الذي ينتمي لفصيلته خلال وجوده اليومي. ما يفعله ذلك النوع والذي يعرضه للخطر وجب تجنبه من قبل العضو المنتمي إلى نفس النوع. أم الفعل الذي يساهم في بقاءه فوجب الالتزام به من قبل العضو. كل هذه الأمور تمثل جزء من قانون الطبيعة في عملها. في اللحظة التي يخرق فيها الحيوان قانون الطبيعة سوف يندثر فوراً. لهذا السبب نجد أنه لا يوجد أي حيوان يموت من كبر السن. هو يموت بسبب فشل في أدائه الطبيعي أو في حيويته، لكنه لا يموت أبداً موت طبيعي. هذا يكون بسبب طريقة سير الأشياء في الحياة.



ربما على الكائنات البشرية أن لا تموت موت طبيعي أيضاً. ربما الكثير من الإرهاب والألم والبؤس والمعاناة التي يختبرها الإنسان تعود إلى سبب أننا لم ندرك حالة الكمال بعد. نحن لم نتطوّر إلى المرحلة النهائية الكاملة للإنسانية بعد. ربما يكون ذلك الحل الذي ينتج في النهاية أخوية البشرية سوف ينتج أيضاً عملية انتقال غير أليمة من حياة إلى أخرى. لكننا هنا الآن كما نحن، مع محدودياتنا وآمالنا ومخاوفنا، وفي هذه المستويات من التبصر علينا أن نسعى إلى حل المسائل اليومية لوجودنا. لذلك علينا تحضير نوع من القانون أو المبدئ الذي نستطيع العيش وفقه بحيث لا يكون مؤذي لأحد لكن يمثل فائدة للجميع. مهما كان ما نملكه، علينا أن نستخدمه بأكبر حكمة ممكنة. الاستخدام الحكيم يضمن إمداد جديد وأكثر وفرة. مهما كان ما نملكه، علينا عدم استنزافه هباء أو تحويله إلى شيء عديم القيمة بالنسبة لنا أو أي أحد آخر. نجد مثال على ذلك في الإدمان على الكحول والمخدرات والسجائر.. كل هذه الأشياء تستنزف المال وتدمر الصحة وتعرّض الشخصية للخطر في الحياة اليومية. من بين هذه الاستخدامات السيئة تبرز نسبة كبيرة من الجريمة. ومن الطموح للثراء تبرز نسبة أكبر من الجريمة. وصولاً إلى عصابات الجريمة المنظمة التي تمثل أكبر مراكمات غير نزيهة للمرابح.

كل هذه الأمور لها أثر كبير علينا وبالتالي علينا التفكير بها بشكل عميق، وإلا سوف لن تكون النهاية كما نأملها. لذلك علينا البدء على طريقتنا الخاصة. على الفرد أن يكافح بقدر ما يستطيع لإقامة تواصل دائم مع حياته الداخلية. عليه أن يستمع إلى أسمى الإلهامات التي تأتيه بشكل طبيعي. إذا أتاه شعور أو إلهام فعليه أن لا يلغيه ويتجاهله فقط لأنه غير عملي. عليه أن لا يسند كل شيء على قوانين منظومة أثبتت فشلها. عليه بدلاً من ذلك إسناد قناعاته بأكبر قدر ممكن على منظومة لم ولن تفشل أبداً. الفشل هو دليل على نقص من نوع ما. الفشل يكون حتمي بالنسبة لنا لأننا لا نعرف أفضل مما نعرفه. لكن لا بد من الفشل أن يتقلّص أمام تمدد التكامل. لا بد لنا في يوم من الأيام أن ننمو فوق فشلنا. إنها مسألة وقت. نحن هنا من أجل النمو فوق الضعف، النمو فوق الأنانية، النمو فوق الطموح، والنمو فوق السيطرة الكاملة لحياتنا من قبل الاعتبارات الجسدية المادية.

إذا كنا سنبقى هنا لوقت طويل، ربما لمدة ألف سنة أو أكثر، قد يبدو منطقياً أن نمنح الكثير من الاهتمام لوجودنا المادي. لكننا في الحقيقة لا نملك سوى وقت قصير جداً للعيش هنا في هذا العالم،

وبالتالي علينا بطريقة معينة أن نكتشف كيف يمكننا استخدام ما لدينا حالياً في سبيل التقدم في الحياة التي ستأتي بعد تجسيدنا الحالي في هذا العالم. الكثير من الناس لا يؤمنون بخلود الروح أو انتقالها من حياة إلى أخرى بأي شكل من الأشكال. وعدم الاعتقاد هذا تم تضخيمه وتعزيزه بواسطة قدر كبير من البروبوغاندا عبر عصور طويلة. أما في هذا العصر الحالي فهناك سبب كبير لتعزيز فكرة الحياة المؤقتة والمحدودة، وهو أنه لو تم ترسيخ فكرة خلود الروح والقبول بها كحقيقة ثابتة فهذا سوف يؤثر سلباً على عملية مراكمة المرابح غير العقلانية في الكثير من المجالات، وهذا لا يناسب أسياد النظام المالي القائم كما هو الآن في العالم. إذا كان الفرد لا يملك سوى الآن ليقوم بعملية المراكمة، فعليه فعل ذلك الآن. إذا كان لديه القليل من سنوات العمل باقية قبل خروجه على التقاعد فعملية المراكمة والتجميع سوف تزيد أهميتها بشكل كبير.

لكن في مكان ما خلف كل هذا، كما يشدد عليه الحكماء دائماً، كل منا لديه حياة خالدة، حياة تسير قدماً باستمرار، متجاوزة حدود كل التجسيدات المتعددة. هناك ذات باطنية تستمر في العيش رغم تعدد الحيوات المتتالية في هذا العالم المادي. هذه الذات تحتفظ بسجلات كافة الأشياء التي تم فعلها بشكل صائب وسليم، هذا بالإضافة إلى أن لديها التصميم على تصحيح كافة الأخطاء والهفوات. بالتالي كل شخص يمكنه أن يبدأ النمو مباشرة إذا أراد أن ينظر إلى حياته، ليس بالضرورة بطريقة فلسفية، بل وفق التفكير العقلاني الطبيعي. إذا لم يكن هناك مستقبل لشيء ما، لماذا نكرس حياتنا من أجله؟ إذا لم يكن هناك أي مبرر منطقي لتوجه معين، لماذا نتشبث به بإصرار لآخر الزمن؟ إذا كانت الأشياء التي نحوزها لا يمكننا أن نمتلكها وفق مفهوم الأبدية، لماذا إذاً نجعل الملكية عاملاً ذو قيمة كبيرة؟ لماذا لا نعترف ونسلّم بحقيقة أننا جميعاً هنا ليس لنمتلك بل لكي نتقاسم ونتشارك، وأن كل ما نحوزه هو ليس سوى استعارة أو إيجار؟ حتى جسدنا المادي لا نملكه بل نستعيره أو نستأجره. نحن بكل تأكيد لا نملك أي حق لامتلاك أي شيء، إن كان في بيئتنا المحيطة أو في إنجازاتنا المختلفة. الشيء الوحيد الذي هو خالد وأبدي يقبع في أعماق أنفسنا، والذي هو مانح الحياة لكافة الأشياء الأخرى. تلك الأشياء الاخرى سوف تندثر وتتلاشى في النهاية لكن هذه الحياة سوف تستمر في البقاء، كما النور الأبدي للشمس.

علينا بالتالي أن نفكّر كيف يمكننا الهروب من بعض حالات البؤس التي نعاني منها. في اللحظة التي تخفض فيها طموحك إلى مستويات معقولة سوف تتخلص من الكثير من القلق والإرهاق. ليس

هناك شيء في الوقت الحالي يساهم أكثر من ضغوطنا النفسية في خلق حالات الهوس. الفرد الذي يكافح مع أشياء ليس له أي سيطرة عليها سوف يصاب حتماً بالمرض النفسي والعاطفي. وبالرغم من مرضه النفسي نجده مستمراً في الصراع الميؤوس مع الأشياء التي جعلته مريض أصلاً. خلاصه الوحيد من هذه الحالة هو التوقف عن فعل ما يفعله، رغم أن كل شيء سوف ينهار من حوله. إذاً، مهما فعله وكيفما حاول لكي يتخلص من هذه الحالة سوف يبقى في مشكلة. هناك الكثير مما يمكن قوله عن العقل السليم بالمقارنة مع المعلومات التي تبقيك خارج مشفى الأمراض العقلية. التكامل النفسي يعني وضع الفرد لعقله في نظام. مع اعتمادنا اليوم على العلم في معرفة مفاتيح التوجّه السليم، علينا إدراك حقيقة أن كامل هذه المفاتيح العلمية تأصلت من الدين. قوة الشفاء العظيمة في الحياة هي الاستقامة وسلامة الخلق. وأن هذه الاستقامة تعني فعل ذلك الذي هو الأكثر فائدة لكل ما هو معني. ذاك الذي هو مفيد فقط لأنفسنا وعلى حساب الآخرين هو خطير ومؤذي ومضرّ.

بالتالي إذا أردنا البدء بعيش نوع جديد من الحياة، أو إذا أردنا أن نتحرر من الهوس والحالات النفسية الأخرى التي ترهقنا الآن، علينا البدء بفعل أشياء كثيرة، والعديد من هذه الأشياء مرتبطة بالمال. علينا مثلاً معرفة كيف نتعامل مع المشاكل المختلفة للارتباط البشري. الارتباط بالأهل، الارتباط بين الزوج والزوجة، ارتباط الوالد بابنه أو بنته، والارتباط مع الجيران.. وغيرها، كل هذه الأشياء وجب حلها. وأي حل من الحلول لا ينتهي بسلام فسوف لن يكون هناك حل فعلي. فكرة أننا نستطيع حل مسألة قائمة من خلال تجنبها أو تجاهلها، أو يمكننا التخلاص من بعض الأشخاص عبر عدم التكلم معهم، كل هذه الأفعال هي غبية ولا تمثل حلول لشيء. أينما وجدت عداوة أو بغضاء وجب تصحيحها. حتى لو لم يصححها الشخص على الجانب الآخر فعلينا نحن القيام بذلك. علينا أن نتوصل إلى نقطة بحيث لا يوجد أي عداوة أو أي مشاحنات. لا يُسمح بوجود أي حالات تعصب أو إدانة للآخر في حياتنا الداخلية، لأن كل هذه المشاكل هي نتيجة أمراض عقلية أو عاطفية. الشخص الذي نكرهه قد لا يعرف بأننا نفعل ذلك، لكن الكره المتولد في داخلنا سوف يؤذينا نحن. لا نستطيع تحمل هذه الأشياء، خصوصاً بعد أن تصبح الحياة عموماً اليوم أكثر تعقيداً وحسماً.

مهما كان مزاجنا سيئاً، عندما نذهب إلى النوم وجب أن نجعله في حالة سلام مع الحياة. علينا أن لا نصحب إلى فراشنا قبل النوم أي عداوة أو بغضاء من أي نوع. إذا فعلنا ذلك فسوف يتم مضاعفته وتنشيطه من قبل عملية النوم، وإذا كررنا العملية لفترة طويلة سوف يؤدي ذلك إلى مرض العقل وجعلنا عاجزين عن التفكير المنطقي والسليم. أينما انطلقنا فنحن نبحث عن سلام. السلام مقابل سعر معيّن هو ليس الذي نبحث عنه. بل نحن نبحث عن حقيقة أن السلام يجب أن يُستحق. السلام هو نهاية، النهاية الوحيدة للنزاع. فقط الفرد الذي وجد السلام داخل نفسه يستطيع الصمود أمام ضغوط حضارة ضالة وغير صالحة. فقط الشخص الذي يستطيع تقدير القيم، والذي هو شفوق أبداً رغم عدم الشفقة السائد حوله، ولطيف أبداً في وجه اللؤم، وكريم أبداً في وجه الأنانية، فقط هذا النوع من الأشخاص بدأ بجمع تلك الكنوز التي يعجز اللصوص عن سرقتها.

نحن ننمو قدماً إلى ما وراء ذلك الذي حياته تتجاوز الحياة الحاضرة، وذلك وفقاً للطريقة التي عشناها هنا. وسوف لن نجد بأن الموت يغير أي من ميزات شخصيتنا الأساسية. إذا كنا حمقى في حياتنا فسوف لن يجعلنا الموت حكماء. إذا كنا أنانيين في الحياة فسوف لن يجعلنا الموت كرماء. إذا كنا مجرمين في الحياة فسوف لن يجعلنا الموت فاضلين. الموت سوف يواجهنا بمشاكل معينة لمساعدتنا مرة أخرى على إكمال عملية إصلاح أنفسنا. لكن الموت لا يمثّل أبداً إمكانية التهرب من المهمات غير المكتملة. هذه المهمات غير المكتملة سوف نأخذها معنا إلى ما بعد الموت. وبعدها بفترة قصيرة نعود بهذه المهمات غير المكتملة إلى العالم الذي يعاني من مهمات غير مكتملة. سوف يستمر هذا الأمر حتى تُحل الأمور بالكامل. والحلول تبدأ دائماً من أنفسنا. لأنه في الطبيعة الشمولية لكل شيء نحن نذهب ونأتي، والذين هم الأقرب إلينا لن يرونا مجدداً، والذين لم نعرفهم أبداً سوف يكونوا المقربين. لكن في كافة الظروف وكافة الحالات، سلامة الخلق هي التي ستصبح قاعدة كل العلاقات الدائمة. أولئك الذين هم أصدقاء حقيقيون هم شرفاء، الذين لديهم دوافع ونوايا مستترة لم يكنّوا أبداً صداقة حقيقية.

لقد حصل حديث عن تقييد مدخول الناس بحيث لا أحد يستطيع أن يكسب أكثر من مبلغ معين. هذا له فائدة من جوانب معينة إذا يمكن فرضه بالقوة. لكن أينما تم فرضه سوف يكون هناك تسلل للجريمة. سوف يجدون طرق معينة لخرق القانون. إذا قيل لشخص بأنه لا يمكنه الكسب أكثر من خمسة وعشرين ألف في السنة، سوف يوظف متخصص واثنين من المحامين ويرشي أحد القضاة

الفاسدين لكي يضمن كسبه أكثر من المبلغ المرصود له. لا نستطيع منعه عبر الوسائل القانونية. يمكننا منعه فقط من خلال الاستقامة الأخلاقية. لا نستطيع منع الفرد من أن يكون أناني فقط عبر وضعه في السجن. حتى أننا لا نستطيع منعه أن يكون مجرماً من خلال وضعه في السجن أو إدانته قانونياً. قد نستطيع بذلك أن نبعده عن المجتمع، لكن من خلال فعل ذلك فإن المجتمع لن يحل مشاكله. السجن إذاً هو من أجل معاقبة الشخص. لكن المشكلة الكبرى لا تكمن في كيفية معاقبة المجرم، بل تكمن في لماذا وجدت أصلاً مشكلة الإجرام في حياتنا الاجتماعية.

من المثير معرفة حقيقة أنه يوجد حضارتين من التي نعرفها في التاريخ والتي لم تستخدم أي وسيلة للتبادل التجاري، أي هي لم تعرف أبداً التعامل بالمال. أولها هي حضارة المايا في أمريكا الوسطى، والثانية هي حضارة الإنكا في البيرو. كانتا حضارتين متقدمتين بشكل كبير، كما أنها كانتا راقيتين من ناحية الفنون والعلوم، خصوصاً مهارتيهما الطبية الكبيرة ومعرفة رفيعة في علم الفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها، لكن باستثناء أي معرفة بالأمور المالية أو أي وسيط تبادل من أي نوع. وكنتيجة لعدم وجود أي وسيط مالي، عندما قام الفاتح الأسباني "فرانشيسكو بيزارو" بسؤال الإنكا في البيرو عن ماذا يفعلون بالمجرمين لديهم، نظر إليه رجل الإنكا مستعجباً وقال أنا لا أعرف، فنحن ليس لدينا مجرمين! الخلاصة هي: إن غياب الوسيط المالي ساهم في خفض معدل كبير من الضغط، ساهم في خفض منسوب الغيرة والمؤامرة والمحتكرين والكارتيلات والنخبة المالية وغيرها من عوامل لها علاقة بالربح أو الخسارة. وبعد أن تم إلغاء فكرة الربح والخسارة بسبب عدم عمليتها أو عدم الحاجة لها، حصل تنضيف لمجال كامل من الخطيئة والجريمة في المجتمع. هذا المجال بمفهومه المتمحور حول موضوع المال، الربح والخسارة، هو الذي يجلب الجريمة إلى الحضارة، إن كان بالتدريج أو بشكل فوري.

الذي علينا تعلمه أكثر من أي شيء آخر هو كيف نحول عدم الفائدة إلى فائدة. العالم مليء بالأشياء التي وجب فعلها. العالم هو بحاجة ماسة لأن نعمل معاً ككيان جمعي واحد لكي نصمن توفر الطعام للأجيال المستقبلية، ولكي يتم إلغاء كافة الإمكانيات التي تؤدي إلى حصول الحروب. لأن الحرب هي دائماً نوع من اللعبة، هي نوع من ملعب للطموحات بحيث يموت الملايين من البائسين الضعفاء لكي يتم الإبقاء على عجرفة الأقلية النخبوية. في اللحظة التي تبدأ فيها بالتفكير بخصوص الإنسانية فسوف يوجد الكثير من الأمور التي يمكننا فعلها بواسطة المال. يمكننا مساعدة

كل شيء بحاجة إلى مساعدة. يمكننا إصلاح وتصحيح المناهج التعليمية. يمكننا تطوير طريقة حياة جديدة بحيث التكريم يكون موجه إلى الذين قدموا الأكثر للخير العام. عالم حيث كل فرد فيه فخور بما يفعله. إذا قمنا بإنجاز شيئاً، ليس ضرورياً أن نعتمد على المال لنيل المكافئة والتقدير. الكثير من الإنجازات العظيمة في التاريخ تمت في سبيل الفقراء. بعض الفقراء الذين كان لديهم القليل مادياً قد منحونا أحياناً قيمة خالدة سوف تستمر إلى الأبد عبر الأجيال المستقبلية.







كل من حضارة المايا في أمريكا الوسطى وحضارة الإنكا في البيرو لم تستخدما أي وسيلة للتبادل التجاري، أي شعوبها لم يعرفوا أبداً التعامل بالمال. ورغم ذلك كانتا حضارتين متقدمتين بشكل كبير في كل النواحي، الفنية والعلمية والطبية والهندسية والفلك...، لكن باستثناء أي معرفة بالأمور المالية أو أي وسيط تبادل من أي نوع. ربما لهذا السبب لم يوجد لديهم سجون أو مجرمين.

ها نحن الآن أمام عدد كبير من الأميين الذين لا يقرأون أو يكتبون، والكثير من المشاكل الصحية التي ليس لها حل، وازدحام السير على الطرق والشوارع، وازدحام السجون بعدد يفوق استيعابها، واستغلال كل مصدر من المصادر العامة، وغيرها وغيرها.. لدينا الكثير من الأمور التي علينا الانشغال بها. نحن نسمع أخبار من هنا وهناك تتحدث عن إنجازات منفردة بسيطة، مثل بلدة معينة تعبت من تعرضها للاستغلال انتفضت ضد المشكلة وقامت بحلها بنفسها ولم تنتظر الحكومة. حصل الحل بفعل العقلانية والتوقف عن الثرثرة الانتقادية التي لم تؤدي إلى مكان ومن ثم القيام فعلياً بعمل خلاق. رويداً رويداً فإن التحكم بأنفسنا سوف يجعلنا أناس قادرون على المساهمة في تقدم معين، وإذا كان لدينا القليل فعلينا استخدامه بحكمة. الرجل الفقير الذي يساهم بدولار واحد يكون عمله محموداً ومساوي تماماً للرجل الثري الذي ساهم بمليون دولار. علينا أن نكون فخورين فقط بما نقدمه وما نفعله، وما نساهم به لتقدم وفائدة كل ما هو حيّ.

لم يعد هناك أي وقت للطائفية والمذهبية وكل تلك المنافسات والنزاعات بين العقائد المختلفة، وكل ذلك السعي السخيف لمحاولة إقناع الآخرين إلى الانتماء إلى العقيدة أو المذهب أو الحزب أو غيرها. هذه الأمور لم تعد ضرورية، ولم تكن كذلك سابقاً. وفي الحقيقة فإن معظم هذه المسائل لها جذورها في الوضع الاقتصادي. يقبع المال عند جذور الفساد المستشري في المجال التعليمي والديني بنفس المستوى الذي يكون فيه بمجال الأعمال والتجارة. لذلك لدينا مشكلة كبيرة. مشكلة المبلغ المالي الكبير الذي يخدر العقول والذمم والنفوس. نحن نخدر أنفسنا حتى الموت بواسطة المال. نجد أننا مستعدون لدفع مبلغ هائل من المال لتناول المخدرات، وقد نرتكب جريمة في سبيل الحصول على المال لشراء المخدرات. لكننا في الحقيقة نفعل الأمر ذاته في المجال الاقتصادي، حيث نخرق كل قوانين المجتمع الإنساني في سبيل كسب المرابح. والمربح يجعلنا نشعر بأننا ارتفعنا فوق الآخرين عشرة أمتار ونظن بأننا عمالقة. نكتشف في النهاية أن هذا العمل يعيقنا من فعل أي شيء آخر أفضل. رويداً رويداً أصبحنا نعيش فقط من أجل تلك اللحظات التي نشعر فيها بأننا نرتفع عشرة أمتار. يبدو فعلاً أن الثروة تسبب لنا نفس الشعور ونفس المشاكل التي تجلبها المخدرات للمدمنين. كل شيء حولنا مضطرب ومتخبط. قد يظن الفرد بأنني مصاب بدرجة مبالغ بها من التشاؤم لكن هذه ليست الحقيقة. أعتقد بأن الجواب على كل هذا الوضع البائس هو مجيد ولا يمكن تصور إمكانياته الرائعة. أولاً علينا إدراك حقيقة أن هذه الأخطاء لا يمكنها البقاء قائمة إلى الأبد. من بين كل هذه الأخطاء والمعاناة المصاحبة لها سوف يبرز الحل العظيم الذي كلنا نسعى إليه.

سوف لن يتحسن وضعنا قبل أن نشعر بأننا غير مرتاحين في هذا الوضع الذي يسوء مع الوقت. سوف لن نسعى إلى حل المشاكل قبل أن تزعجنا هذه المشاكل إلى درجة تفوق التحمل.

ها نحن أمام مشكلة الثروة. إنها مشكلة فصيلتنا البشرية والتي جلبناها معنا كامنة في اللاوعي لدينا. الإله لم يمنحها لنا، بل منحنا فقط الطبيعة من حولنا، لكننا حولناها إلى ممتلكات خاصة وعامة وربطناها بالمنظومة الاقتصادية القائمة. لكن الحقيقة تبقى ذاتها، نحن نقترب إلى نقطة بحيث كافة أوراق التوت التي تستر عوراتنا تبدأ بالتساقط. نحن نقترب من النقطة بحيث لم نعد نصدق بعضنا البعض أو نثق بيبعضنا البعض. نحن موهومون بوسائل الترفيه الفاسدة، وضائعون في متاهات الآداب، ونخاف كثيراً من العلم وما ينتجه من أخطار، ونعرف بأننا مفلسون تماماً بخصوص المجال الفلسفي. الجيل العصري لا يملك سوى القليل جداً لتقديمه. كل هذه الأمور أصبحت مزعجة ومقلقة بدرجة كبيرة، لدرجة أننا لم نعد نستطيع تحملها. لا نريد أن نجلس في نهاية النهار أمام برنامج تلفزيوني بائس والذي يؤذينا ويهيننا. لا نريد أن نتعرض للاستغلال كلما دخلنا إلى متجر أو دكان. لا نريد أن ندفع مرتين لكل شيء نشتريه. لا نرغب في أن نكون ضحايا لكافة أنواع الاستغلال. لا نرغب في رؤية التضخم المالي يرتفع بين الحين والآخر. كل هذه الأمور لها علاقة مباشرة بالمال. وكلها لها علاقة بما قاله الرجل الثري، حيث قال أنه مهما طلب من أسعار فلا بد من أن يجد أحد ليشتري السلعة. وهذا بكل تأكيد صحيح. نحن مستعدون لشراء أي شيء حتى لو كلف ذلك آخر قرش في جيبنا. لكن الأشياء التي لا يمكننا شراءها هي الأشياء التي نحتاجها أكثر من أي شيء آخر. نحن مثلاً بحاجة للاستقامة الأخلاقية التي تمنعنا من شراء أشياء لا نحتاجها.

نحن في حقيقتنا كائنات بسيطة. نحن نرغب في الأمان، نرغب في تعليم سليم لأولادنا، نرغب في العمل بمهنة بناءة والقيام بعملنا بشكل جيد. هذه الأمور سوف تكون متوفرة للجميع، لكن إذا توقفنا عن كل أنواع الخداع والتشويه للحقيقة وغناء الأناشيد المجرّدة من التناغم السليم. علينا أن نتخلى عن فكرة أن هذه الحالة يمكنها البقاء إلى الأبد، وأن لا شيء يكمن في المستقبل سوى المزيد من هذه الحالة ذاتها.

بدأنا الآن ندرك شيء آخر مثير. هناك ظهور تدريجي للمقاومة المنظمة ضد الفساد. هناك بروز تدريجي للإصرار المنظم، ليس لدعم ذاك الذي نعتقده، بدأت هذه الأفكار تظهر في الكتب هنا

وهناك وبدأت الناس تتكلم عنها، والمجموعات الدينية تشجع عليها، حتى السياسيين يشيرون إليها بصيغة مترددة، لكن في النهاية وبشكل عام، يوجد شعور بانطلاق عملية إصلاح عالمية. إذا كان هذا صحيحاً وبدأنا أن نشعر فعلاً بأن الوقت قد حان لحصول تغيير شامل فما هو سبب هذا الشعور الجديد؟ الجواب هو: المال. لا أقصد بالمال الأرباح التي سوف نكسبها من هذه العملية، بل بالوضع المالي الذي لا نستطيع تحمله كما هو عليه الآن. بدأنا ندرك تدريجياً بأننا نتعرض للاستغلال باستمرار من قبل بعضنا البعض وذلك في سبيل الربح وحده. وبدأنا ننتبه إلى حقيقة أننا بدأنا نشعر بالتعب والملل من كامل العملية. لم نعد نريد ببساطة أن نكون مبذرين لأموالنا لمصلحة شخص آخر. نحن نراقب الأسواق المالية ترتفع وتنخفض، ونراقب المضاربة والتداول المالي الذي يحصل في تلك الأسواق المالية كما لعبة القمار. بدأ الأمر يصبح أكثر سخافة مع مرور كل يوم. بدأنا نصحو تدريجياً إلى حقيقة أننا عبيد لمنظومة مالية. نحن عبيد للأشخاص الذين يفسدون تلك المنظومة لمصلحتهم الخاصة. حتى أن المال بذاته لم يعد يسمح له أن يكون مجرّد وسيط للتبادل. بدأ التعامل به يعتمد على دوافع مبيتة. كل تداول مالي لم يعد يهدف للاستخدام بل من أجل الربح. كل عملية تجميع ومراكمة للمال أصبحت دائماً على حساب الآخرين. أنا لا اعني أن الأمر سيء أو وجب إدانة الآخرين. الأمر لا يتعلق بهذا الجانب. لكن بدأنا نصل إلى النقطة التي مفروض علينا الارتقاء فوق هذه المسألة. قد نرغب في الاعتقاد بأن أسلافنا عجزوا عن فعل شيء أفضل بخصوص الموضوع، لكن هذا ليس سبباً يجعلنا نعتقد بأننا لا نستطيع فعل شيء أفضل بخصوصه. أصبح لدينا فرص أكثر وفهم أكبر ومعرفة أوسع بالمقارنة مع أي جيل آخر سبقنا، ورغم ذلك نحن في الحالة الأسواء بالمقارنة معهم.

لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر، وهو ليس بحاجة لأن بستمر أصلاً. والجواب الشافي لكامل هذا الوضع هو إدراك حقيقة أن الثروة لم يعد بإمكانها أن تمثل القوة الدافعة والموجهة للحضارة. الثروة تبقى موجودة ونحن بحاجة لها. فنحن لا نرغب اليوم أن نحمل معزاة إلى السوق لمبادلتها كما كانوا يفعلون في الماضي قبل استخدام المال. وجب أن تكون الثروة وسيط للاستخدام. الثروة هي خادم جيد لكنها سيّد رهيب. الثروة موجودة لكي يتم استخدامها وجعل الحياة أكثر سهولة ويسر، وليس من أجل إفسادها. يقول البعض بأن المجموعات المالية الصغيرة التي تقطن في لندن ونيويورك هي التي تحول الحياة إلى جحيم بالنسبة للإنسانية جمعاء. لكن هذا ليس صحيحاً. الحقيقة هي أننا سمحنا للمال بأن يكون شيئاً قائماً بذاته، يكون قيمة ممثلة بالمال وحده، وأن الرجل يعتبر ثري إذا كان لديه

عدد كبير من الأوراق المالية. لكن هذا غير صحيح. كل هذه الأفكار هي مجرّد دغدغات عاطفية في عقلنا الباطن. إن حقيقة حوزتنا على هذه الأوراق قد تكون مؤمنة لحاجاتنا، لكن في اللحظة التي نبدأ فيها تجاهل وتجاوز كل شيء آخر بسببها نكون قد وقعنا في مشكلة كبيرة. ليس للمال أي فائدة إلا إذا عرفنا ماذا نفعل به، وكيف نستخدمه بأكبر فائدة ممكنة لمصلحة الجميع. الأوضاع المالية العامة في العالم تتجاوز استيعاب المواطن العادي حالياً، لكن الحقيقة تبقى أن عالمنا هو عبارة عن محموعة من الخرائب، وكل شيء يحاول أن يكسب المزيد من شيء آخر، وكافة السلطات تعمل ذهاباً وإياباً عائشة على حساب جهل الأكثرية. لا يمكننا أن نقبل بذلك. ووجب على الثروة أن تساعدنا على إلغاء هذه الحالة. علينا أن نستخدم المال لتحرير الناس من وهم المال. علينا استخدام المال لتعليمهم عن القيم التي عليهم حملها معهم، ليس فقط عبر هذه الحياة الحالية بل إلى ما ورائها.

عندما نرسل ابننا إلى الجامعة علينا أن لا نفكر إذا علينا أن نجعله طبيب أو محامي أو بعض من تلك المهن التي تدر أموال أكثر. علينا أن نمنحه التعليم الذي يمكنه من تحسين نفسه وآماله الداخلية وإلهامه وقناعاته. وجب أن يُمنح فرصة لإطلاق شيئاً من داخله، لأن نمو الناس يأتي من إطلاق الإمكانيات الداخلية للمواطنين. كل عضو في المجتمع البشري لديه شيئاً ليقدمه. لكن القسم الأكبر من المجتمع لا يريد ما يُقدم إليه بهذه الطريقة. بل يريد فقط ذلك الذي يمكنه من استغلال بعضه البعض إلى آخر الزمان.

وجب أن يُستخدم المال لضمان أن أفضل الأشياء في الحياة تكون متوفرة للذين يريدون أن يجنوها. وعلى كل الافراد أن يتلقوا تعليم كافي ليساعدهم على التمييز بين الخطأ والصح. ليس هناك سبب يجعلنا نخرّج اليوم من الجامعات العظيمة أشخاص لا يعرفون إن كانوا خيرين أو سيئين ومعظمهم لا يأبهون بذلك. علينا إذاً أن ننتقل بالموضوع من قاعدة اقتصادية إلى قاعدة أخلاقية. والاستخدام الأخلاقي للمال سوف يكون مساعد هائل. قد يشابه الأمر عملية الاستخدام الأخلاقي للدواء. العلوم والفنون الطبية تمثل مساعدة عظيمة إذا لم يتم استغلالها. يمكننا إيجاد أشياء عظيمة ورائعة في كافة الاستكشافات التي حققناها. لكن علينا من داخل أنفسنا تنمية تلك القوة التي يمكنها التنسيق بين تلك الاكتشافات المختلفة وتكريسها لخدمة الحاجة الإنسانية. علينا أن نفعل ما هو ضروري لحماية وتقدم أسباب وجودنا. العالم يتزايد دائماً في عدد سكانه. كما أن التهديدات المؤدية لتدميره تتزايد

يومياً. هذه الأشياء وجب مواجهتها. المال لن يستطيع استرجاع ما تدمر عبر دفع ثمنه. المال لن يدفع ثمن السلام، بل سوف يدفع ثمن التسليح لضمان وجود الحروب. المال لن يدفع ثمن المساعدة، لكنه وفق استخدام سليم ومناسب أن يساهم في تطوير المعرفة التي تستطيع المساعدة. يستطيع المال المستخدم بشكل سليم وصائب أن يساهم في تقدم أي شكل من أشكال المعرفة التي تفيد الإنسان، وحل معظم المشاكل الاجتماعية في المجتمع. يمكنها أن تعالج مشاكل كثيرة تتعلق بالنزاع وعدم التفاهم العائلي. يمكنها أن تؤثر على العلاقة بن الوالدين والولد. يمكنها أن تؤثر على كل شيء بشكل بناء. لكن وجب أن تمثل علم يرشدنا كيف نستخدم، وبشكل بناء، الأدوات العائدة للعرق البشري. وجب أن نجد طرق لفعل الأشياء التي وجب فعلها. وإن جلبت لنا المرابح أم لم تجلبها فهذا لا يهم. ذلك الذي يربح الإنسانية هو أكثر أهمية من المربح الذي يذهب إلى المصرف.

لدينا إذاً هذه المشكلة المتعلقة بالثروة، والتي لا تجعلها ممثلة لخطر مهدد، بل بصفتها تحدي. الفرد الذي يستطيع النمو فوق سيطرة ما يملكه عليه، ويصبح مكرساً لما هو عليه، سوف يحقق الكثير لنفسه وللآخرين. يمكننا أن نكون أناس أكثر سعادة، إذا خضعت إدماناتنا الخارجية لسيطرة قناعاتنا الداخلية. وإذا لم يكن لدينا ما يكفي من قناعات لإثبات هذه الحقيقة فهذا يعني أننا لم نتلقى ما يكفي من معرفة وعلم، وهذا يتطلب الإجراءات اللازمة لنضمن أننا تلقينا التعليم المناسب والصحيح. وجب أن لا يتخرج أحد من المدرسة إذا لا يعلم الفرق بين الاستقامة الأخلاقية والربح المادي. والذي لا يعلم الفرق بين التعاون والمنافسة. وأيضاً، وجب أن لا يتخرج أحد لا يدرك حقيقة أن التنافس هو الموت الحتمي للتجارة السليمة. كل هذه الأمور وجب أن يتم التعامل معها بطريقة سليمة.

نحن نعيش على كوكب صغير يطوف في مساره في مكان ما في الفضاء. وجدنا هنا لبعض الوقت ونرغب في أن نستمر ببقائنا لفترة أطول. لكن لتحقيق ذلك علينا أن ندرك حقيقة أننا كائنات منفية بعيداً في الفضاء. وفي يوم من الأيام قد نقوم برحلة استكشافية إلى كوكب أورانوس ولن نجده قابل للعيش. نحن هنا لكي نتعلم كيف نتعايش مع بعضنا البعض ونصبح ما لم نتمكن أن نكونه بعد، وهي عائلة واحدة سعيدة. عائلة يكون كافة أعضائها مهتمين بفائدة ومصلحة الآخرين. كل فرد يأمل الأفضل للجميع. نكون سعيدين ومبتهجين لنجاح الآخرين إذا كان هذا النجاح صالحاً. إذا وجدنا أحدهم لديه فكرة جيدة وبنائة نقف وراءه وندعمه. ليس هناك سبب وراء استعدادنا لتمويل كل خطة تآمرية ممكنة بينما نتردد لأقصى درجة في تمويل أي شيء يساهم في الخير العام.

داخل الطبيعة البشرية يوجد شيء خفي جداً. في مكان ما يكمن بداخلنا يوجد آلية أكثر تطوراً من أي شيء يمكن للإنسان اختراعه. بعض الناس يعتقدون بأننا نحوز على الكمبيوتر الحيوي الوحيد، لكن الحقيقة هي أن الكمبيوتر الذي نعرفه اليوم يساوي جانب واحد صغير في العقل البشري. والكمبيوتر الصناعي الذي نعرفه اليوم لا بد من أن يتعطل وتسوء حاله في النهاية لأنه تم اختراعه لغاية الكسب بدلاً من الاستخدام السليم. أينما يقوم الفرد بالاختراع فقط لغاية التقدم في تجميع الثروة، سوف لن نجد الجواب الذي نبحث عنه هناك. لكن يوجد في كل شخص مركز للوعي، وهو مشابه أكثر أو أقل لكمبيوتر كوني، إذا صح التشبيه، يوجد شيء فيه يعرف أكثر مما يمكن للإنسان معرفته على مدى زمني طويل. يوجد هناك شرارة من الألوهية الأبدية، تلك الحياة والنور عديم التسمية، والذي يتجلى في كل مخلوق أو كائن في هذا العالم. هذا الشيء الذي يمثل الأخلاق الأعظم والنزاهة الأعظم. هو قوة هائلة. هو قانون مجرد من الكلمات. قانون مدعوم فقط من قبل صلاحه وعفته. داخل كل إنسان يوجد إمكانية. يوجد فن وموسيقى وأدب.. جميعنا موهوبين بمصادر داخلية أكثر قيمة من أي شيء يمكننا تعلمه عبر الدراسة في المدرسة.

الغاية من التعليم كما فهمها القدماء هي تعزيز وإطلاق العزيمة الداخلية. التعليم هو في الأصل عملية تحفيز الداخل ليخرج ويتجلى خارجاً ويصبح معروفاً. أما اليوم فإن التعليم يهدف إلى حبس الذي في الداخل ومنعه من الخروج. وذلك عبر منع الفرد من القيام بأي تفكير بنفسه. نحن نرغب في الفرض على كل طفل المظهر المخادع الذي نعاني منه نحن. نريدهم أن يقترفوا نفس الأخطاء التي نقترفها. ونعتقد مرتاحين البال بأنه بعد أن نرحل من هذا العالم، وليس قبل، سوف يكتشف أولادنا كم كنا مخطئين. هذا لا يعود سببه إلى أن الجميع ينوي أن يكون مخادعاً. إنه فقط قصر نظر، مع فقدان كمية كبيرة من القيم. عندما كان الدين مهماً في العالم كان لدينا الكثير من الاستبداد والطغيان. لكن كان لدينا في الوقت نفسه مخزن كبير من الاستقامة والنزاهة والتي أصبحت اليوم مفقودة لدينا. الدين كان شيئاً وضع قوة إلهية فوق غاياتنا البشرية الدنيوية. الدين تحدث وفق مفهوم الغاية الإلهية، سبب إلهي للإشياء ويتجاوز أخطائنا وسوء توجيهنا، وأنه بطريقة ما عبر الكشوفات والأنبياء والحكماء والصوفية وغيرها، يمكن إيصال هذه الخطة الإلهية للبشرية. جميع الآلهة عبر العصور التاريخية تحدثوا مع رسلهم ومتنبئيهم في سبيل إرشاد وتحسين البشرية. لقد استلمنا منهم جميعاً شرائع وقوانين ذهبية ووصايا وكل أنواع النصح والتوجيهات، حول كيفية

العيش كأشخاص، وكيف يمكن للفرد أن يصقل ويهذب قناعة معينة بداخله والتي تجعله مستحقاً لاعتباره شخص متديّن بالفعل، أو يكرس نفسه للغاية الكونية للأشياء.

كل هذه الدوافع والمحفزات الداخلية تم قمعها وقلعها بالكامل اليوم. نحن لم نعد نمنح أي فرصة للفرد أن يمثل نفسه. نفرض عليه، بنية حسنة طبعاً، فقط ذلك الذي يمنحه الأمان الجسدي. ورغم ذلك نجد أن ذلك الأمان الجسدي يتلاشى مع مرور كل يوم. هو يتلاشى أمامنا بسبب سوء تصرفات طبيعتنا. بالتالي لا بد من وجود شيء أفضل. كل الأشياء المادية والملموسة هي أدوات لما هو غير مرئي وغير ملموس. كل شيء يستخدم عموماً هو أداة لغاية سرية. عيوننا ليست فقط لكي نرى فيها الأشياء أو نشاهد بها التلفزيون، بل عيوننا موجودة من أجل مساعدتنا على فهم الحياة وفهم الطبيعة. هي تمنحنا الملكة أو القدرة على تغذية كافة أنواع النبضات والرغبات والشهوات السرية الداخلية والتي هي نبيلة بذاتها. آذاننا موجودة لسماع الأشياء الجيدة وليس ضجيج موسيقى الروك أند رول. ملكاتنا المختلفة وإدراكاتنا الحسية المتنوعة تفتح لنا عوالم تتجاوز حدود استيعابنا. نستطيع مشاركة حكمة كل الأزمان. نستطيع تقبل فضائل الماضي. نستطيع النمو مع كل شيء ينمو. إلا إذا كبلنا أنفسنا بنوعية محددة من العيش والتي ترفض أي شيء غير قابل للاستثمار المالي. علينا أن نتخلص من تلك الفكرة القائلة بأن كل أنواع النجاح تقاس وفق مفهوم الربح المالي. لكن ماذا سيربح الإنسان إذا كسب الكوكب بكامله لكنه فقد روحه؟ الناس لم تعد تتذكر هكذا حكم وأقوال لأنها تزعجهم وتشعرهم بالحرج. لكن في هذه المقولة حقيقة هائلة، والناس بحاجة أحياناً للشعور بالحرج. لكنهم مع ذلك لن يتقبلوا الفكرة من المقولة السابقة. سوف لن يتبعوا أبداً الطريقة الأخرى المخالفة لطريقتهم المنحرفة الحالية. لكن بطريقة معينة وتحت ضغط الظروف، وعبر تحطيم منظومة مسخة أثبتت فشلها حتماً، ربما يمكننا أن نقترب أكثر إلى إدراك تلك المنظومة التي مقدر لها أن تنجح.

من بين كامل هذه المسألة نجد أن موضوع الإنسانية يواجه الخطر الحقيقي. نحن كائنات بشرية. البشرية تعني المعاملة الإنسانية، تعني الرفقة، الرأفة، التعاون، كرم الأخلاق، الحياة اللطيفة. بصفتنا كائنات بشرية، ليس مفروض علينا أن نعاني من صراعات الغابة والتي من المفروض أننا تركناها ورائنا منذ زمن بعيد. لم نعد نمثل جزء من ذلك الذي يقتل لكي يعيش. أو يقاتل ويدمّر من أجل تثبيت منطقة السيطرة. كل هذه الأشياء تنتمي لشكل حياة من المفروض نظرياً أننا ارتقينا فوقها. بالتالي بصفتنا كائنات بشرية، إنه من حالتنا الطبيعية أن نجتمع معاً بسلام وبطريقة صدوقة. نحن

بشر بكل بساطة، وأساس إنسانيتنا هو التعاون. نحن أول مخلوقات نعرفها حتى الآن والتي أصبحت على إدراك بحقيقة أننا نستطيع العيش سوياً بسلام. نحن المخلوقات الوحيدة التي وضعت أهداف كثيرة فوق أولوية الطعام والتوالد. نحن المخلوقات الوحيدة التي رفعت نظرها باتجاه شيء سامي، وأدركنا بأننا بطريقة ما نمثل أقارب الملائكة. نحن نعرف أفضل. نحن نشعر ونحس بأننا مُنحنا شيئاً من المفروض أن نستخدمه بحكمة وبمحبة وببراعة. وإذا استطعنا فهم هذه الحقيقة، سنكتشف بأن كل ما نتوصل إليه، كافة المعادن في باطن الأرض، كافة النباتات في الأرض، كافة القوى الطبيعية المتنوعة من حولنا، كلها موجودة هنا لكي تساعدنا. هي تمثل أجزاء من البيئة. لكن ليست قوى البيئة هي التي تقولبنا، بل نحن الذين نقولبها جميعاً. إذا الغابة لم تغيرنا من الأساس، بينما نحن لدينا القدرة على تدمير الغابة إلى الأبد، من الأفضل ان ننضبط ونعيش بطريقة صائبة لكي تبقى الغابة وتستمر في الحياة. بالإضافة إلى كونها ترعانا وتهتم بحاجاتنا، هذه الغابة تفعل الشيء نفسه مع آلاف الكائنات الأخرى.

بالتالي فإن الحماية والحب والتفهم، جميع هذه العوامل تساهم في تقدم الغاية. بينما الطمع يدمر. ذلك الذي هو أناني يعمل على تدمير نفسه حتى آخر الزمان. بالتالي فقد حان الوقت للأشخاص المتعقلين أن يولو هذا الموضوع المزيد من الاهتمام. نحن هنا لأننا نؤمن بأننا نحاول إيجاد طريقة حياة أفضل. نحن نبحث عن تلك الحقائق التي تحافظ على بقائها بعد تلاشي الأمم والحضارات. نحن نبحث عن طريقة غير مؤذية، حيث الرحمة للجميع والإحسان للجميع. هذا النوع من التفكير يعتبر جوهري جداً بالنسبة لؤلئك الذين يحاولون أن يكونوا أناس أفضل. لأنه مع كل جهودنا لأن نكون روحيين فعلياً وحكماء فعلياً وإنسانيين عمليين فعلياً، يبقى ذلك النق بداخلنا والذي يعود سببه إلى العطل والضرر الذي سببه التدريب الخاطئ. أينما يوجد ضرر علينا تحديده وتمييزه ومن ثم تصحيحه. إذا تم إنشائنا وتربيتنا بطريقة خاطئة فعلينا إذاً أن نرتقي فوق أخطاء الماضي ونعيش عبر فضائل المستقبل. هذه هي الأشياء التي علينا فعلها، وإذا فعلناها سوف نجد بأنه كل وسيط مالي نحوزه لم يعد يمثل شي شرير وجب مقاتلته، بل شيء جميل وجب استخدامه، والذي قمنا سابقاً بتشويهه بسبب أنانيتنا. كافة المصادر الطبيعية هي خيرة، لكن تشويهها حصل بفعل الأفكار السلبية للكائنات البشرية. لذلك لم نعد بحاجة إلى تلك الإفكار إذا استطعنا ذلك. نحن نريد من كافة مصادرنا أن يتم استخدامها لفائدتنا جميعاً. ومن خلال فعل ذلك بهدف إحراز النهاية التي تستهدفها الخليقة والتي هي قوية بما يكفي لتحرزها بنجاح، بغض النظر عن آرائنا المختلفة حول هذا

الخصوص. بالتالي فإن الثروة هي أولاً ثروة التفهّم الداخلية، والتي تمنحنا الحكمة والبراعة لاستخدام ممتلكاتنا الخارجية وفقاً لقوانين الخلق والتوزيع والافتداء. إذا كانت هذه الأمور سليمة فسوف تكون حالتنا أفضل.

الجزء الثاني

انتصار الروح على الظروف الدنيوية



الإيمان

اليقين الداخلي بالخير الأبدي

يمكن تلخيص هذا الموضوع من خلال ما قاله أفلاطون عن غاية الفلسفة، حيث هدفها هو بناء أساس متين للإيمان. ليس هناك أي قيمة للفلسفة سوى أن تمثل خادم يعمل على ترسيخ قناعاتنا بأشياء متجاوزة للمرئي والملموس. الإيمان ليس مجرّد اعتقاد بشيء ما، حيث هناك الكثير من الشعوب التي لديها معتقدات رائعة، وفي بعض الحالات نجد أن تلك المعتقدات تحتوي على الإيمان، لكن ليس دائماً. لأنه على الإيمان أن يحوز على محتوى. على الإيمان أن يكون محاطاً بشيء له تبريره. الفرد في هذه الأيام ليس سهل الإيمان. لا يستطيع ببساطة افتراض عقيدة معينة، رغم أنه قد يتقبل هذه العقيدة ويذهب إلى الكنيسة أو الجامع ويمارس كافة الفرائض الدينية، أو ينتسب إلى مذهب فكري معين، لكن هذا العمل لا يشمل الإيمان. الإيمان هو الاختبار الداخلي للقيمة الأبدية.

قسّم القدماء عملية البحث عن الحقيقة إلى ثلاثة توجهات، هي الدين والفلسفة والعلم. في العصر الحديث تم إلغاء العامل الفلسفي، وبرز مصطلحان رئيسيان هما العلم والدين، حيث يمثلان القسمين الرئيسيين للمعرفة الإنسانية. كان هذا خطأ كبير. حتى عملية التقسيم والفصل كانت خاطئة. ليس هناك أي انقسام في الحقيقة. طالما بقي كل من هذه المناهج المعرفية مفصولة عن بعضها سوف يستمر التعارض والنزاع. وطالما كان هناك تعارض ونزاع سوف لن يكون هناك إيمان صافي. وجب أن لا يكون الإيمان منقسماً. لا يمكن أي يكون لدينا مؤمنين وغير مؤمنين. وغاية الفلسفة هي إزالة المسافات بين المناهج المعرفية لكي تجتمع في تعزيز شيء واحد وحيد وهو الإيمان الكلي. في تعبيره الكامل والفضيل، الإيمان هو الاختبار الكامل لإدراك أبدية الخطة الإلهية. الإيمان هو ذلك الذي يجعله واضحاً لنا جميعاً سيادة تلك القوة التي تحكم كل الأشياء. هذه القوة العليا كانت ولازالت موجودة دائماً وأبداً. وكان لها اعتبار ومكانة عند المفكرين عبر العصور، لكننا انجرفنا عنها اليوم. قد نتقبلها كواقع فعلي، لكن نادراً ما نوليها أي اعتبار خلال تفكيرنا اليومي أو خلال عيش حياتنا اليومية. ليس بشكل دائم ندرك في عالمنا الظواهري دلائل على الخطة الشمولية للأشياء. لكن في الحقيقة فإن كافة أشكال المعرفة موجودة لغاية واحدة فقط وهي الكشف عن الطبيعة الجوهرية للأشياء. وعندما يحققون ذلك يكتشفون بأن الطبيعة الجوهرية لتلك الأشياء هي واحدة مع الكائن الإلهي. بمعنى آخر، نحن لا نتوقف عن دراسة علم التشريح مجرد إنجازنا تشريح الجسم، وكذلك لا ننهي مجال الفن مجرّد أن رسمنا لوحة جميلة، بل نفعل ما ربما فعله أسياد "الزن" في اليابان، حيث كانو يبقون في حالة سكون ثم يسمحون للواقع أن يرسم اللوحات بدلاً منهم لكن من خلالهم. هم لم يكونوا فنانين بطبيعتهم، بل يعتبرون أنفسهم وكلاء لفطرة فنية أبدية تسكن في الكون.

الإيمان إذاً يمكن اعتباره فطرة غريزية مبطنة في الكون. لكننا نادراً ما نولي هذه الأمور أي اعتبار أو اهتمام. نتلقى تقرير من مؤسسة علمية يعلن اكتشافه علاج جديد لمرض الربو، يمكننا اعتبار هذا أمر مهم فعلاً وما مجال للشك بخصوصه، لكن نادراً ما يعني هذا الإعلان وجود أي فهم حقيقي للمرض، أو أننا أنجزنا المعرفة النهائية بأن كل جزء من التحليل الطبي هو في الحقيقة جزء من تحليل الحقيقة. كل عارض مرضي يمثل جزء من معرفة الخطة الإلهية والغاية الإلهية. كل شيء سيء وجيد تمثل شواهد على واقع واحد. ما نسميه سيء هو ذاك الذي لا ننوي دعمه وتعزيزه. نحن نعتقد بأن السيء هو الذي لا نريده، لكننا في الحقيقة قد نكون بأمس الحاجة إليه. لذلك علينا أن ننظر إلى الإيمان وفق مفاهيم البحث في كل مجال معرفي للوصول إلى جذوره. وأينما وجدنا

الجذر نجد أنفسنا في حضور حكمة أبدية وتجلّي أبدي. نكتشف فجأة بأن العامل العادي يعمل تحت قانون أبدي. الحرفي والفنان والمختص.. جميعهم خدام لجانب معين من الواقع. والجوانب المتعددة للواقع هي متجذرة جميعاً في مبدأ أبدي واحد.

بالتالي فإن التقدم في أي شكل من المعرفة هو في الحقيقة تقدم نحو واقع واحد وحيد. هذا الواقع الواحد قد يتم تقبله، الكثير من الناس يتقبلونه، الكثير من الناس يؤمنون به، لكن القليل جداً من الناس اختبروه عملياً. القليل جداً من الأفراد أصبحوا على معرفة متزايدة بالغاية الإلهية. انهم أكثر ميلاً لمعرفة الحاجات البشرية المباشرة، لكن الحاجات البشرية تمثل جانب واحد فقط من الغاية الإلهية. بالتالي كان أفلاطون على حق عندما أشار إلى كافة أشكال التعليم بأنها جميعاً خادمة للحقيقة. والحقيقة بذاتها تمثل مصطلح مطبّق على الإيمان. كل تعليمنا هو نوع من التعليم المقدس. حتى أكثر مؤسساتنا علمانية هي أجزاء من الخطة الإلهية. كل مبنى أو منزل أو مكتب أو محطة أو مطار.. كل واحد من هؤلاء هو منزل الحقيقة. إنها بطريقة غامضة تحقق قانون معيّن. هي تكشف عبر هيكلها البنيوي ومهارة عقول من يسكنها أو يعمل فيها من بشر. وهذه العقول بدورها متجذّرة في العقل الإلهي. لذلك كل ما يحصل في العالم هو مقدس بطريقة ما. كل شيء نحاول فعله هو ملهم بدرجة معينة من بصيرة في شيء أعظم منا.

رغم ذلك كله فإن معظم الناس لا يستكشفون هذه الأمور. إنهم لا يعتبرونها أصلاً. يعيشون فقط على السطح حيث تسيطر مواضيع النجاح والفشل في هذه الدنيا. يعيشون حياتهم، خصوصاً في هذه الفترة بالذات من الحضارة، مع غياب تام للأسس والقواعد، وهذا بدأ يتوضح أكثر وأكثر. نحن نفقد واقع الاختبار العملي. الاختبار العملي لا يمثل شيء إذا لم يعلمنا شيئاً. إذا كان الاختبار يكتفي بجعلنا غاضبين على بعضنا البعض، أو يجعلنا نلعن العالم الذي نعيش فيه، أو يمنحنا الشعور بوجوب استغلال بعضنا البعض، إذا كانت هذه هي الأشياء التي نختبرها نكون قد فشلنا بالكامل في التقدم بغايات البرنامج الكوني الأبدي. علينا أن نفعل الأشياء التي هي صائبة. حتى الأشياء الأصغر، أصغر الفضائل، تمثل تعبير عن الإيمان الأبدي. نحن لا نعلم بأنه إيمان. ربما نظن بأنها إرضاء لعواطفنا التي تحفزنا على فعل شيء فاضل أو قول شيء فاضل. لكن هذه الأشياء الفاضلة هي في الحقيقة تعابير عن إيمان عميق متجذر. هي كما عروق الذهب في الصخور تحت الأرض. هي عروق الواقع الحقيقي وسط عالم من الأوهام.

بالتالي عندما نقارب مسألة الإيمان، نهتم أكثر في محاولة فهم كيف يمكننا زيادة الإيمان. كافة أشكال المعرفة تستند على شيء ما. الرياضيات تمثل علم دقيق. علم الفلك هو علم دقيق. علم الدواء هو علم دقيق. بالتالي على كل هذه المعارف، وفق درجة صحتها، أن تساهم في اختبارنا للإيمان. لكنها في الحقيقة لا تفعل ذلك في معظم الحالات. بعض الجهات اليوم يطوّرون شكل من أشكال العلاج وهو بقسمه الأكبر متعلق بالاعتقاد أو بالإيمان. لكن من أجل أن تحصل على إيمان أكثر قوة بحيث يمكنه التغلب على محدوديات الجسم والزمن والظروف، علينا أن نستخدم وسيلة ثلاثية الجوانب. الثلاثية مؤلفة من: التوقع، الاختبار، والتجربة. هذه هي الأدوات التي تتعرف على ما هو حقيقي. ومجرّد أن تم التعرف على الحقيقة بهذه الوسيلة الثلاثية، حينها يمكننا الإجابة على ما هو الإيمان. بالتالي فإن الإيمان يستند على الاختبار الحقيقي لكل شيء يحصل. يستند على التنوع الانهائي لفرص التعلم. ويمكننا تعلم أي شيء ابتداءً من الكمبيوترات وانتهاء بكيفية صنع فنجان قهوة. لكن الغاية النهائية لها جميعاً تجتمع في شيء واحد وحيد: أن نبني أساس متين يعزز الإيمان لدينا.

الإيمان هو الجزء الوحيد من حياتنا والذي يمكنه أن يدعمنا في كافة الحالات الطارئة في الوجود. الإيمان هو شيء حاضر بشكل أبدي ولانهائي خلال تقديرنا للإمور. لذلك علينا فهمه جيداً. الإيمان ليس مجرّد إعتقاد بل هو قوة بذاتها. هو تلك القوة بداخلنا والتي عندما يتم تعزيزها تجعلنا أكثر عظمة من أي ظرف نواجهه. يستمر الإيمان في دعم الفضيلة رغم حضور المسائل المحبطة والقاسية. بالتالي فإن الإيمان هو قوة الإنسان الداخلية. هو يمثل بالنسبة لحياته الداخلية نفس ما يمثله النجاح أو الثروة بالنسبة لحياته الخارجية. قد يكون الفرد قوياً من ناحية الثروة لكنه ضعيف من ناحية الإيمان فتكون حياته بالتالي بائسة. نحن نسيء استخدام الأشياء التي لا نفهمها. سوء الاستخدام يبرز من الجهل. ليس ضرورياً أن يعني الجهل بأننا لا نستطيع القراءة والكتابة. الجهل هو حالة أننا لم نكتشف الحقيقة الكامنة عند جذر الحياة. وتلك الحقيقة تمثل الاستقامة المطلقة. وإذا لم نستوعب ذلك فربما نشكك بوجود الله، أو نفعل كما يفعل الكثيرون حيث يؤمنون بوجود الشرّ. لكن الشرّ هو ليس شيء قائم بذاته. هو مجرّد حالة نقص. هو يمثل فراغ بدلاً من وجود امتلاء. الشر هو حالة مساومة على المبادئ لأن المبادئ قد لا تكون قوية بما يكفي لتطغي على حياة الشخص.

بالتالي في الإيمان نكون في حالة عمل دائم من أجل الاختبار الداخلي. لكن الاختبار الداخلي وحده قد يقود ليس إلى الإيمان بل إلى التطرّف والتعصب. قد يقود إلى كافة أنواع المعتقدات والأفكار والعقائد المتطرفة والتي ليس لديها أي محتوى من النزاهة والأخلاق. لذلك علينا أولاً أن نثبت واقعية الإيمان. علينا استخدام الأدوات التي تساعدنا على اكتشاف الاستقامة المطلقة للفضاء والإيمان. نفعل ذلك من خلال دراسة التاريخ وكذلك كل العلوم، فنكتشف دقة الرياضيات، ونستنتج بأن الرياضيات موجودة لغاية أكثر أهمية من مجرد عد الأموال وحساب المرابح. نحن نعرف حقائق فلكية أيضاً، لكن هناك الكثير مما وجب معرفته عن الكون، بدلاً من الاكتفاء بمعرفة عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية وعدد الثقوب السوداء في مجرّتنا. نحن نعرف حتمياً بأن فن العلاج يمثل جزء من هذا المبدأ العظيم، لكننا لا زلنا نكافح مع هذه الوسائل الحالية والتي هي غير كاملة، وعندما نحقق اكتشاف صغير نشعر بفرحة كبيرة. لكن كل هذه الأشياء هي فعلياً طرق يمكننا من خلالها استكشاف التجلي الإلهي للوجود، والذي هو حاضر في كل شيء. بمكننا التكلم عن كل ما نريده ونخترع كل ما نريده، لكننا لا نستطيع خلق ذلك الذي يتجلى في الطبيعة أو ذاك الذي يتجلى في الحياة الداخلية للأشياء. نستطيع زراعة البذرة وننمي النبتة، لكننا لا نستطيع خلق تلك الحياة المتجلية في البذرة. لدينا كافة أنواع السعادة وكافة أنواع البؤس، لكن خلف كل هذه الأمزجة يوجد إما عملية تعزيز للإيمان أو عملية إضعاف له.





كان فيثاغورث، ومعظم الفلاسفة الإغريق، يود أن يتناول عملية البحث عن الإيمان تحت عناوين مثل الفلك والرياضيات والموسيقى. اختاروا هذه المجالات بسبب الدقة التي تتصف بها. لكنهم ذهبوا أبعد من ذلك بفكرة الدقة التي يتصف بها الوجود عموماً. في الواقع فإن الوجود هو قانوني بالكامل، هو خيّر بالكامل، وهو مصمم لتحقيق كمال كل ما هو موجود. لكن هذه الفضائل العظيمة ليست

واضحة بشكل مباشر لنا. علينا أحياناً أن نتعلم كيف نعيش من خلال اختبار الموت. ولهذا السبب نجد أن فكرة التقمص تلعب دور مهم جداً في فلسفتنا في الحياة. هذه الفكرة تزيل بعض التساؤلات التي يعجز الإجابة عليها والتي حيرت أسلافنا. هذه الفكرة تتقدم بنا خطوة إضافية نحو كون صادق وكامل تماماً. تذكرنا، كما تفعل كل الأشياء الأخرى، بأن اليوم نحن نواجه المشاكل في كل مكان لأننا تجاهلنا القوانين وفشلنا في المحافظة على الإيمان.

هذا الكوكب الصغير الذي نعيش فيه هو شيء جميل جداً. هو شيء رائع. وهو يحافظ على الإيمان بالحقيقة لأنه لا يستطيع فعل أي شيء آخر. هو يمثل التجسيد اللانهائي للخير اللانهائي. لكن نحن العائشين على هذا الكوكب ندخل في كافة أنواع المشاكل، غالباً لأننا نتقدم بالعلم لكننا لم نتقدم بالتفهّم. نحن نزداد براعة كل الوقت لكن مع أقل فضيلة. نحن نزداد ثراء لكن مع أقل سعادة. ومع سيرنا قدماً تدريجياً نجد سوء أفعالنا بأنها المسؤولة عن البؤس الذي نود أن ننسبه إلى جهة أخرى. ها نحن هنا موجودين على هذا الكوكب الصغير حيث يمكننا جميعاً تعلم الكثير. لكننا مشغولين جداً في محاولة التعامل مع الصعوبات التي سببناها نحن بأنفسنا، وليس لدينا الوقت لندرك بأن هذه الصعوبات هي دلائل واضحة على العدالة الأبدية للحياة. بمعنى آخر، هذه الصعوبات موجودة ليس لأن القوانين هي سيئة، بل لأن خرق القوانين هو سيء. الخطة الإلهية ليست مليئة بالشر والمعاناة، بل خرقها يسبب الشر والمعاناة.





لقد فقدنا إذاً اليوم جمال الإيمان. فقدنا السكون وروعة إدراك حقيقة أننا نعيش في كون فحواه السلام لكننا عكرنا صفوته. المشاكل التي نعاني منها الآن لم تتساقط علينا من السماء، بل هي تتولد من أخطائنا. هي العواقب العادلة لسوء أفعالنا. بالتالي ليس هناك أي علاج لها سوى من خلال تصحيح

الأخطاء. لكن المشكلة هي أن هذا التصحيح للأخطاء هو السبب وراء وجود الأخطاء لدينا. عملية التصحيح تمثل جزء من عملية نمو أبدي تجاه التفهّم الأبدي للقيمة. نحن نمثل جزء من كون يتأسس على الواقع. نحن نمثل جزء من خطة عظيمة وهي راسخة وثابتة بحيث لا يمكننا فعل شيء تجاه الأمر. يمكننا أن نتمرد وننحرف لفترة قصيرة لكن الخطة سوف تعيدنا في النهاية إلى المسار الصحيح. لا نستطيع انتهاك الغاية الكونية ونبقى سعداء وآمنين ومستقرين في أي مجال أو نشاط.



نحن إذاً نبحث الآن عن دليل على الإيمان. نقول بأن الإله متجلي في كل شيء. أحد مهمات الإيمان هو إيجاد هذه الحقيقة. للتوصل إلى الفهم الداخلي لحقيقة أنه من خلال النظر إلى الأشياء العادية نرى بذلك وجه الله، وأن السماء والأرض والطيور والزهور والشجر..، هي جميعاً دلائل على الواقع الأبدي. نحن ندرس الأشجار لكننا ندرس أكثر تلك الأسماء التي وضعناها بأنفسنا. نقرر كم من الوقت يمكننا أن نترك الشجرة قبل أن نقطعها ونصنع منها شيء آخر. نستمر في دراسة أسماء خمس مئة شجرة وأين تكبر وما هي فصيلتها وخامتها، لكن رغم ذلك كله فإن سرّ الشجرة يبقى غامضاً غير مكشوف، أي لغز حقيقتها بنفسها ومكانتها كتجسيد للخطة الأبدية. الشجرة هي مجرّد حرف واحد من أبجدية لانهائية تتهجى خارجاً كل الحقائق التي نسعى إلى معرفتها.

خلال كل ما نفعله وكل ما نمر به في حياتنا اليومية، علينا أن نبدأ دراسة الحقيقة وراءها. ومن خلال دراسة الحقيقة وراءها قام القدماء، والذين لم يكونوا مجهزين بأدوات علمية كما نفعل اليوم، باستخدام الفلسفة. الفلسفة هي مجهود رئيسي يهدف إلى إيجاد العدالة في كل الأشياء الحاصلة. هذا يعني إيجاد الواقع من خلال تلك الاشياء الحاصلة. وإذا وجدنا هذا الواقع نقوم بتقوية الإيمان. لأننا نصبح أقرب وأقرب إلى كون ليس ضعيف أو ناقص. في كل مرة نرى فيها عدالة وجمال الشيء نتيقن من وجود الله. في كل مرة نجد فيها عدم العدالة والقبح في الشيء نقوم بإدانة أنفسنا. لذلك كل شكل من أشكال المعرفة نقترب بواسطته أكثر إلى إدراك عظمة الحياة، يعمل هذا الشكل من المعرفة على تقوية الإيمان لدينا. استخدم القدماء الفلسفة كوسيلة، وجعلوها خادمة للإيمان. لطالما أقر أفلاطون بأن كل المعارف لا بد من أن تقود إلى الإيمان وإلا فهذه المعارف مزورة وغير مجدية. الفلسفة ليست نهاية بذاتها بل هي وسيلة. هي طريق يقود إلى نهاية. حتى العلم لا يمثل نهاية بذاتها، بل هو وسيلة للاستكشاف عميقاً في غموض الغاية الإلهية. رغم ذلك نجد بأنه في كافة هذه المجالات نجد أن هذه النقطة تحديداً منسية أو تم تجاهلها. أحد الأسباب وراء تجاهلها هو لأنها تتدخل في حق الإنسان العادي لأن يرتكب الأخطاء. تجعله صعباً علينا إيجاد العدالة في ارتكاب الأخطاء. وعندما نشعر بأننا على خطأ لا نريد أن يتم انتقادنا على ذلك. لذلك بدلاً من محاولة تصحيح المشكلة من خلال تحسين الذات، نحاول تصحيح المشكلة من خلال فرض قوانين والتي هي بذاتها مجرد وسائل نسعى من خلالها إلى توجيه أخطائنا وليس إلغائها.

لكن الواقع، كما أدركه فيثاغورث وأفلاطون وأرسطو وباقي الفلاسفة العظماء الآخرين، الواقع يمثل الشيء الذي نسعى إليه. والواقع يتجلى بشكل أفضل من خلال إدراك حقيقة أن كل شيء هو كما وجب أن يكون بالضبط، ما عدى في توجهاتنا ومواقفنا والتي نحاول من خلالها محاكاة الرمز الباطني للملائكة الساقطة. الشخص الذي يسعى إلى العيش بطريقة مناقضة للغاية الإلهية يمثل بنفسه أحد الملائكة الساقطة. هو أحد تلك الملائكة والتي فصلت نفسها عن وقائع الوجود الحقيقي. إما أننا ننتمي إلى الخيّر، أو نحن نحرّف الخيّر. إما أننا نفعل ذلك الذي هو خيّر بشكل أبدي، أو نحاول التماشي من خلال فعل الأشياء التي هي صائبة جزئياً ومؤقتاً. لا نجرء على مواجهة المشاكل الفعلية التي تقود إلى الإيمان.

الإيمان هو شيء مسكّن أو مهدّئ. الإيمان لا يخرج ويفرض على الناس الانتساب إليه أو التحول نحوه بالغصب. الإيمان هو في الحقيقة اختبار داخلي، ويأتي فقط إلى الفرد الذي يستطيع السيطرة على ميوله وطبائعه بشكل كامل لكي يتمكن من فحص نفسه بهدوء وبسلام وبتعقل وعلى الدوام. بالتالي فالمشكلة الفعلية بخصوص الإيمان تتعلق بالعقلانية، حيث الإنسان غير المتعلم لديه مشكلة مع الإيمان، لأنه في الوقت الذي يؤمن فيه أو يزعم بأنه يؤمن، لا يكون لديه أي دليل ملموس على ما يؤمن به. ليس لديه دليل لأن إيمانه يكمن في عقله أو في عاطفته. بالتالي عليه أن يحقق تدريجياً ما نسميه التجربة والاختبار. عليه أن يضع قناعاته الخاصة تحت الاختبار. عليه أن يجد طرق مختلفة للمصادقة من خلال الأشياء من حوله على الحقائق المتعلقة بالأشياء بداخله. عليه تدريجياً، يوم بعد يوم، أو سنة بعد سنة، وأحياناً حياة بعد حياة، أن يفهم التجارب التي يخوضها. عليه أن يكون متنبهاً دائماً لإيجاد شيء يعزز معرفته بأن الكون هو على حق دائماً. وكذلك أن الكون سوف يستمر في كونه على حق ولن يتم مساومته من خلال أي فعل يقوم به أي كائن حي. عندما يرفع الفرد يديه ضد السماء فإن يديه هي التي سوف تفشل وليس السماء. وجب أن يكون هناك دائماً الواقع الثابت والراسخ. وهذا ما يسعى الإيمان إلى إيجاده.

الإيمان هو الخبرة الفعلية أو التجربة العملية مع المعرفة ومع الواقع. تاريخ الفلسفة يمثل تاريخ تكشّف الإيمان. طالما نعتبرها قصة مدارس فكرية مختلفة وتتطلب الإصلاح وأنه يستحيل توحيدها في مدرسة واحدة، أي بمعنى آخر، إذا لم تكن الفلسفة كيان واحد غير منقسم فسوف تفشل الفلسفة في تحقيق غيتها. لقد قمنا بتقسيمها إلى مدارس مختلفة. محاولين الافتراض بوجود منافسة في المجالات المختلفة للواقع. فصار لدينا العديد من الأديان. لكن هذا الأمر غير صائب وغير صحيح. كل من أتباع الديانات المختلفة يزعم بأن دينه هو الوحيد الذي يحوز على الحقيقة. فتبدأ التناقضات والخصومات التي ليس لها أي مبرر. لو أن كل الأطراف حازت على الحقيقة لكانوا تقاربوا إلى بعضهم البعض بدلاً الابتعاد عن بعضهم البعض وحتى قتل بعضهم البعض. هذا ما يسود الأديان اليوم. الكفاح من أجل البقاء والتفوق على مستوى الجهل الروحي. هذا شيء لم نحاول فهمه بكليته. في كل مرة نقطع فيها شجرة أو نستنزف مصدر طبيعي مثل البترول، نكون بذلك في حضور خطر كبير. نحن نسير بعكس مبدأ الطبيعة والذي يقول بأننا لا نملك شيء ولا حتى أرواحنا. كافة الأشياء تنتمي إلى الواحد الأحد، القوة العليا التي لها الحق في التجلي في كل مخلوق، لكن لا يمكن إيقافها من قبل أي مجهود بشري لمنع الجريان الحر للتنور.

لذلك فإنه من الضروري اكتشاف حقيقة أن الاشياء تمثل أقسام مختلفة للشيء ذاته. أي مثلاً، الرياضيات والرسم والموسيقى تمثل جميعاً تجليات مختلفة للشيء نفسه. هي تمثل نفس الحقيقة لكنها تعبّر عن نفسها بطرق مختلفة. وإذا لم تكن الحقيقة فسوف لن يتم أي تقدم فيها. في اللحظة التي يعتقد الفنان بأنه عبقري عظيم فسوف يفشل فنه. لكن إذا سعى الفنان إلى خلق من داخله شيئاً من جمال وروعة الحياة حينها يكون فنان أصيل. فنان عظيم. وإذا كان فنان عظيم فسوف لن يكون أي نزاع بينه وبين أي فنان آخر. حتى أنه ليس هناك نزاع في مجال اللغة، حيث الكلمات قد تعرضنا أحياناً لمشاكل كبيرة، لأننا غالباً ما نخطئ في معاني الكلمات. لأنه عندما يقول أحدهم "ألله" لا يعتقد الأجنبي بأن القصد من هذه الكلمة هو رب السماوات. قد يعتقد بأنه إله وثني معين. لكن في الحقيقة ليس هناك وثني في العالم سوى الفرد الذي يزعم بأنه يعرف لكنه غير ذلك. الفرد الذي لم يعرف وحدة الإله الأعلى هو الوثني. ليس كما الفرد الذي نجح في اكتشاف وتوحيد كافة المذاهب في الحياة. الطبيعة تسمح بالمذهبية، لكن لبعض الوقت فقط. لكنها تستعرض لنا خطوة خطوة كيف تفشل المذهبية في النهاية. واحدة تلو الأخرى، كافة الانفصالات تقود في النهاية إلى الدمار والفناء. عندما ندرك هذه الحقيقة علينا أن لا نحزن بل علينا الفرح. وعندما نتوصل إلى هذا النوع من الفرح نبدأ حينها بفهم الله على حقيقته. وعندما نفهم الله سوف يصبح لدينا إيمان. لكن طالما بقينا نؤمن بالأشياء التي تسبب البؤس سوف يبقى أي مصطلح للإيمان لدينا مجرد اجتهاد فكري أو نزعة عاطفية، ويكون الإيمان حينها ليس مستنداً على أرضية الاختبار الشخصي للحقيقة. وهذا الاختبار الشخصي هو الشيء الذي له أهمية.

لدينا إذاً مشكلة محاولة إيجاد كيفية لتعزيز الإيمان لدينا. يمكننا البدء في الحضانة أو الصف الأول في المدرسة. الإيمان يتعلق بشكل وثيق بالقراءة والكتابة والرياضيات، مع العلم أن هذه المواد الثلاثة تلقى تجاهل كبير. لم نعد نؤمن بالتعلم كيف نقرأ ونكتب لأننا نتوقع أن نكلف هذه المهمة للكمبيوتر. نتوقع أن نأخذ معلوماتنا بالكامل من التلفزيون. وها أنتم ترون الحالة التي يعانيها التلفزيون. إنه مثال واضح على فشل الكائن البشري في إدراك الغاية الحقيقية من أداة تعليمية ممكنة وهو التلفزيون. سوء الإستخدام الذي من قبلنا هو الذي يسبب المشكلة. وهو سبب المشكلة أيضاً في كافة الابتكارات الأخرى التي ظهرت في قرن الماضي. كل من تلك الابتكارات تم إساءة استخدامها. كل ابتكار يستند على قانون طبيعي، حيث حصل بفضل اكتشاف قوى وطاقات ومواد خفية تكمن في الطبيعة. وهذه الأخيرة موجودة لكي يتم استخدامها. لكننا استخدمناها بهدف سوء الاستخدام.

وكنتيجة لذلك تضاعفت مآسينا. هذا الكوكب الصغير هو كتلة كبيرة من المجموعات البشرية الفردية، قد يختلف إيمانهم عن إيماننا، لكنه في معظم الحالات ليس أسوأ من إيماننا. والسبب هو أن إيماننا وإيمانهم لم يرشدانا إلى أخوية الأنسان. لازلنا نحارب ضد غير المؤمنين أو الكافرين، ولم نحاول الاكتشاف عبر التجربة والعودة إلى البداية لنكتشف ما هي نية الكون من الأساس. لم نرجع إلى الوراء في التاريخ ونكتشف كيف تكون نهاية الاختلاف وهي دائماً الفشل، وكيف نتعرض للدمار من قبل نواقصنا، وندمر أنفسنا بسبب افتقادنا للحب الأخوي والشعور بالإخاء. رغم ذلك نحن لا نتعلم هذه الأمور، بل نستمر بالسير وكأن شيء لم يكن.

من خلال استخدام الأجوبة العلمية بصفتها نهائية، نأخذ الأرقام بصفتها ممثلة لحقائق، مع أنه في الواقع، خلف كل هذا تكمن كافة الكائنات الحية الرائعة واالتي نعتمد عليها جميعنا. كل خلية في جسمنا تعتمد على شيء ما لتعيش، لكننا لم نكتشف ما هو في الحقيقة. نحن لا نعرف كيف تمت عملية تحول الكائن البشري إلى كائن بشري. لا نستطيع صناعة واحد بأنفسنا. وسوف لن نتمكن من ذلك أبداً. رغم ذلك يوجد ذكاء ووعي وإيمان داخل االخلية أكثر مما نستطيع نحن استعراضه في حياتنا اليومية. عندما تمرض الخلايا نحن نعرف بذلك، لكن عندما نمرض نحن نظن بأنه مقلب أوقعنا به أحدهم لكي يحرجنا. ليس لدينا أي إيمان بالدواء، أو قليل من الإيمان فقط. لأننا أدركنا بأن الطبيب العادي لم يعد ملتزم بقسم "أبوقراط"، أي لم يعد مكرساً لمهمة الأطباء القدماء والمتمثلة بالمحافظة على الصحة. ولأن رؤيا الطبيب أصبحت مظللة فبالتالي أصبح علاجه غير مجدي. الطريقة الوحيدة لعودة تأثير العلاج هي أن يعود الطبيب ليصبح طبيب أصيل. وكونه طبيباً فهذا يسمح لجسمه وعقله وسلوكه عموماً لأن ينفتح ويتم تحريكه من قبل الطبيب الواحد الأوحد الذي يستطيع علاج كل الأشياء. حتى يجد كل منا طريق إلى الحب الأخوي والخدمة فإن المشاكل التي نعانيها لن تحل أبداً. وفي الحقيقة، وجب أن لا تُحل. ليس لأن الكون قاسي علينا، وليس لأننا ضحايا مؤامرة إلهية تحاك في خلفية الوجود، بل سبب هذه المشاكل يعود إلى أننا لا نتعلم من التجارب. ما من شيء غير مرغوب يحصل معنا اليوم ولم يحصل في الماضي. نحن الآن متقدمين أكثر من الماضي فقط من الناحية التقنية وبالتالي نجد أن أخطائنا أخطر ومميتة أكثر. لكننا لازلنا نقترف نفس الأخطاء التي حصلت منذ زمن بعيد، منذ أن اخترع أحدهم القوس والنشاب. إنه نفس المبدأ. ولم نتعلم ماذا نفعل منذ زمن القوس والنشاب. نحن نعلم بأشياء كثيرة حصلت في ذلك

الزمن، خصوصاً في مجال الأسلحة. لكننا نتقدم في ابتكار الأسلحة بصفتها عملية تطور لفن الدفاع عن النفس، لكنه في الواقع ليس أكثر ولا أقل من مجهود للبقاء صامدين وسط أخطائنا الحالية.

لذلك لدينا الكثير لكي نفكر به من أجل أن نكتشف بالضبط كيف يمكننا تطوير إيمان قوي جداً بحيث لا تستطيع أخطائنا زعزعته. بحيث لا يدفعنا العالم من حولنا إلى إساءة تفسيره. وحينها يمكننا جميعاً توحيد الغاية لكي نجعل العالم قابل للعيش مرة أخرى. العالم القابل للعيش هو ذاك الذي حزناه في البداية. لكننا لم نعرف كيف نحافظ عليه. من الواضح أنه كان علينا النمو. على الأطفال أن تنمو، على الأهل أن يساعدوا أولادهم على النمو. وفي هذه الحالة لدينا سر كوني واحد يمثل الوالد لكل ما هو موجود. وغاية النمو هي تكشف الواقع الكوني الواحد في داخلنا جميعاً. هذا الواقع هو ثابت وراسخ. هو غير متغيّر وحتمي. وعندما تصبح هذه الحقيقة واضحة لدينا تكون الأساس للإيمان الأكثر ثباتاً. عندما نتيقن من أن القوانين هي صائبة، وأننا لسنا لوحدنا مرميين هنا في كوكب يجول لوحده بشكل عشوائي في الفضاء، وأنه لم يتم نسياننا أو تجاهلنا، ولا نحن موجودين نتيجة صدفة عشوائية. عندما ندرك بأننا جزء من كلية شاملة في حالة نمو، أننا زهور على شجرة الحياة الكونية، وأن الحياة الواحدة تفعمنا جميعاً بالحياة وتمنحنا القوة والشجاعة للبقاء، لا بد من أن الأمر سيختلف لدينا.



مع توصلنا تدريجياً إلى إلغاء الأنانية، لأنه لم يعد هناك شيء لنكون أنانيين بخصوصه، سوف تزول الكثير من مشاكلنا. لكن ليس هناك ضرورة للانتظار كل هذا الوقت. لدينا الحق في البدء بهذا التحسّن مباشرة إذا رغبنا ذلك. كل ما علينا فعله هو النظر حولنا وإيجاد الدلائل على وجود الخطة الإلهية. دلائل لم يتكلم عنها الآخرون، دلائل لم يكتبوها في الكتب، بل عليها أن تمثل الحقائق التي تعيش في كل شيء من حولنا وفي داخلنا. كل مرة ننظر فيها عبر النافذة، كل مرة نحدق فيها إلى نبتة مبرعمة، كل مرة ننظر فيها إلى عيون المولود الجديد، نكون في حضور نوع من الحقيقة التي تتأسّس على إيمان أبدي. هذه الأشياء وجب أن تكون. هي صائبة، وهي ليست سيئة، هي ليست خطيرة، هي ليست مجرمة، وليست فاسدة، إلا إذا تدخلنا وفعلنا شيء بها. وحتى نتمتع بإيمان قوي بما يكفي ليمنعنا عن سوء استخدام القيم التي ائتمنا عليها، سوف لن نجد أبداً الحلول لمشاكلنا. وعلينا إدراك حقيقة أن كافة الأشياء تبقى جميلة حتى نأتي نحن ونشوّهها. كافة الأشياء تبقى طبيعية حتى نقوم نحن بجعلها شاذة وغير سوية. كل شيء يكون صادقاً حتى نأتي نحن ونمنح الأولوية لعدم الصدق وأجيال بكاملها عاشت وماتت وفق هذه الأولوية الأخيرة. علينا أن ندرس كل هذه الأشياء. ومنها جميعاً يخرج أخيراً ما أدركه أفلاطون في زمانه، سكون لطيف تماماً، وإدراك بأنه ممكن جداً للفرد، وحتى لمجموعات كبيرة من البشر، أن ينمو نحو السلام، ويترك خلفه إلى الأبد المسائل التي تسوء مع مرور كل يوم. في السنوات القادمة سوف ندرك لأول مرة حقيقة أننا تجاوزنا تلك البيئة التي يمكننا ارتكاب الأخطاء فيها ونبقى أحياء.

نحن نتوصل تدريجياً إلى إدراك حقيقة أن شيئاً ما يحصل مع العالم، وهذا الشيء الذي يحصل يعود سببه إلينا. هذا الشيء الذي يحصل هو ليس جزء من الخطة الأصيلة، لكنه يمثل جزء من عملية تعليم بحيث تكون الطريقة الوحيدة لتحويل العقول البشرية وتكريسها للغايات الإلهية. نحن نكتشف أكثر وأكثر بأننا لا نستطيع البقاء وفق أساليبنا الحالية. لم نعد نستطيع إيجاد أماكن مناسبة لوضع المواد السامة. لم نعد نستطيع تدبير وإدارة نفاياتنا ومخلفاتنا. لم نعد نستطيع الاستمرار في العمل بالموارد الطبيعية المختلفة التي استنزفناها بمرارة وغبن. لم نعد نستطيع الاستمرار في خلق الازدحام الذي يلوث الجو. لم نعد نستطيع العيش تحت الفساد والمواد المخدرة وباقي الأشياء الأخرى التي ليس لها علاقة بطريقة الطبيعة. لقد شوهنا صورة الطبيعة بطريقة خاطئة. الفرد الذي يتناول المخدرات ومن ثم ينتشي يظن لفترة بأنه يحكم العالم. ثم يأتي الانهيار الكبير. اليوم نرى دول بذاتها تظن بأنها تحكم العالم، وهي أيضاً مقبلة على انهيار كبير. يعتقد الفرد بأنه على حق في كل شيء

ويدعم هذه القناعة بشرب الخمر أو المخدرات. لكن بعد أن يصحو من سكرته يكتشف بأنه شخص مريض. كل هذه الأشياء هي دلائل تتزايد تدريجياً على أننا لا نستطيع تحمل عواقب أخطائنا.

لم نعد نستطيع العيش في عالم بحيث الجميع فيه يفعل الأشياء بشكل خاطئ. لم نعد نستطيع العيش في عالم بحيث التقدم فيه يعني السيطرة على شخص آخر. أو في عالم بحيث الثروة تعني انتزاع كل شيء من مجموعة معينة ومن ثم منحها لمجموعة أخرى. الثروة بذاتها هي وهم. قم بدراسة الثروة. عد بتاريخ الثروة إلى الوراء وسوف تصل في النهاية إلى محبة الله. سوف تجد بأن كل هذه الأشياء تثبت كلياً بأن الإله الأعلى لا يحب الثروة. وأن هذه الأشياء هي ناتجة من سوء حكم الإنسان على الأمور. إذا كنت تبحث عن القوة فسوف تجد أن القوة سوف تنتهي حتماً إلى القبر. كل قيمة مزيفة لدينا سوف يتغلب عليها الموت في النهاية، مع أننا لم نتعلم أصلاً كيف نعيش حياتنا. لم ندرك بأنه عبر العيش بطريقة مختلفة قد نواجه المستقبل بأمل جيّد. لكن للأسف لا نملك هذه الأفكار. كل شيء اليوم أصبح محبوساً داخل دائرة الثروة والسلطة والشهرة والازدهار والقدرة على استغلال بعضنا البعض.

بعد النظر إلى هذه الأشياء السائدة اليوم سوف يبدو بأن الله لا يحبنا. قد يبدو أن الإيمان أمر وهمي. لكن الحقيقة هي أن الإيمان ليس وهمي، بل نحن وضعنا أنفسنا في مواقع جعلتنا نؤمن بأشياء ليست حقيقية، وليس لدينا أي قوة تدعم هذا الإيمان. لكن ليس لدينا أي دليل من أي نوع على أن حضارة اقتصادية بدرجة كبيرة تحوز على فرصة أفضل للبقاء. ليس لدينا أي دليل. نحن نعرف بأننا نسير حتماً نحو الإفلاس، كما يعرف مدمن المخدرات بأنه يقصر حياته حيث مقابل فترة قصيرة من النشوة سوف يواجه الموت المحتم. هكذا هو نمط الأشياء في الوقت الحالي. لكن بدلاً من جعل أنفسنا متشائمين فنصبح متمردين ضد الحياة، وجب أن تثبت لنا على طول الطريق بأن الصواب هو دائماً الصواب. هذه المعادلة لم تتغير أبداً. القوانين المصنوعة بشرياً يمكن أن تتغير كل يوم. أما القوانين الكونية فلا يمكنها أن تتغير. لأن هذه القوانين الأخيرة تجعله ممكناً نمو العوالم. هذه القوانين تحافظ على بقاء مجرات بحالها. هذه القوانين أيضاً ترعى وتدير وظائف الجسم البشري. هذه القوانين متجلية في كل نملة وكل مخلوق صغير، وكل زهرة، وكل عصفور. كل هذه المخلوقات تجسّد غاية كونية واحدة: النمو. وهذا النمو تقدم خطوة خطوة، إلى وصوله أخيراً تلك الدرجة التي تنتج الذكاء، الذي هو ذاته العقل، والذي يتولاه الفرد ليدير نموه الخاص. لكن الميل

السائد اليوم هو نحو استخدام هذا العقل لتجنب المسؤوليات، ولفعل أي شيء باستثناء تكريسه لغاية ضرورية.

نجد اليوم الكثير من المدارس الفكرية التي تدعم أخطائنا. معظم منهجنا التعليمي لم يبدأ حتى الآن اختبار الحاجة إلى الإيمان. لم يدرك القائمون على هذا المنهج بأن كل التعليم الذي ينهله الطلاب سوف يقود إلى المزيد من المأساة إذا لم يكن مكرساً. إذا لم يكن مكرساً إلى تقدم الغايات الأبدية فسوف تذهب كال حكمتنا هباء. بالتالي نحن بحاجة أن ندرك أكثر وأكثر بأن كل التعليم وجب أن يقود إلى الإيمان. حتى كل الاختراعات وجب أن تقود إلى الإيمان. لأنه في كل من هذه الاختراعات والابتكارات هناك قانون كوني يعمل. نحن نسيء استخدام ذلك القانون. نحن نستخدمه لغايات مادية أو ميكانيكية. وبسبب سوء استخدام القانون فهو ينقلب علينا. ليس لأن القانون خاطئ، بل لأننا خدعنا القانون وقمنا بتحريفه. لكن كل ما نفعله، ابتداء من صاحب الدكان مروراً على بائع الخضروات ومروراً على المصرفي والطبيب والمحامي.. وما تبقى من حرفيين ومهنيين، جميعهم يستندون مع أعمالهم على مبادئ كونية تتأصل من استقامة أخلاقية كونية. وبما أن أولئك المهنيين لم يعودوا يتدربون وفق تلك الاستقامة الأخلاقية نجد بأننا نعاني من المشاكل القائمة اليوم.

منذ عقود برزت معارضة للقسم الذي يؤديه الأطباء، ويسمى قسم "أسكوليبيوس"، أي لم يعد يريد المعارضون الأطباء تأدية هذا القسم باستخدام العلاج للخير العام. يبدو أنه كان هناك فرصة للربح في جانب معين حيث وجب منحه المزيد من الاهتمام، فكان المعارضون للقسم يطالبون بتعديل هذا القسم أو إعادة صياغته بحيث يسمح بذلك الجانب المربح. لكن في الحقيقة، ليس هناك أي فرق في ما نعدله أو نعيد صياغته، لأن الخطة الأبدية تستمر في تقدمها. الأطباء القدماء، أيام "أسكوليبيوس"، كانوا كهنة في المعبد. كانوا يعتبرون نفسهم سلالة منحدرة من الآلهة. كان لديهم مثلهم الخاصة وأحلامهم الخاصة وغاياتهم الخاصة. كانوا يخدمون بصفتهم كهنة في خدمة حاجات المرضى. تم جعل علم الدواء ذو طبيعة دنيوية لأول مرة في روما. وخلال خمسة سنوات اضطروا إلى صياغة مجموعة كاملة من القوانين لمنع سوء الممارسة الطبية. قبل ذلك الوقت لم تكن أي قوانين ضرورية. حيث لا يوجد الربح لا نجد سوء ممارسة. لكننا نسينا هذا الموضوع. نسينا أن المجد وراء مساعدة المحتاجين يمثل جزء من دين أساسي. ومن دون هذا الدين الأساسي الذي يضبط كامل سلوكنا سوف نجد دائماً أخطاء وسوء حظ نعاني منه.

لذلك علينا أن نفكر بكل ثقة بأن المآسي والبؤس التي نعانيها الآن هي أقوى المحفزات على أن يكون لدينا الإيمان بأن أي شيء قد يحصل لنا. الآن هو الوقت حيث الحاجة إلى الإيمان يعني أنه وجب أن يكون لدينا شيء لنعيش من أجله، ولا نكتفي بامتياز استغلال بعضنا البعض. تلك الأيام قد ولت. ورغم ذلك فإن الفرد المجرد من الإيمان والمجرد من المثل العليا إذا تجرد من ميزاته المادية سوف يكون حزين جداً. وفي الحقيقة، بسبب جهله، يمكنه أن ينقلب على المنعمين عليه. مبدأ الاستغلال أصبح متجذر بعمق الآن في الشخصية البشرية، لكن لا فرق كم هو متجذر، لأنه لن ينجح ومقدر له أن يفشل في النهاية. لذلك علينا أن نعمل معاً الآن لنرى ماذا سنفعل بهذا الخصوص. أعتقد بأنه ربما معظم الناس لديهم اهتمامات. ربما أحدهم يحب الرسم بينما الآخر يحب المشي متجولاً في الغابة، أحدهم يحب أن يجلس بهدوء ليقرأ بينما البعض لسوء الحظ يحبون مشاهدة الجرائم الحاصلة في برامج التلفزيون. لكن المسألة المهمة هي أنه علينا البدء بما لدينا من مقومات. كما أنه لدينا حاجات بحيث نسعى إلى تحقيقها بشكل تدريجي. علينا أن نبني على الموهبة المتوفرة لدينا. إذا كنت موسيقي فهذه موهبتك، وإذا كنت شاعر فهذه موهبتك، وكذلك الحال مع المصور الفوتوغرافي وغيرها من مواهب مختلفة. هذه الموهبة لديك وجب أن تقول لك شيئاً. الموهبة ليست أن ترسم لوحة أو تصوّر صورة فوتوغرافية يمكن بيعها، أو تؤلف لحن موسيقي يمكن بيعه. كل هذه الأشياء تمثل شواهد لنقطة واحدة، وهو وجود إبداع في داخلك، وهذا الإبداع في داخلك يمكن أن يتم تكشّفه وإغناءه حتى يصبح في النهاية الأساس العلمي للإيمان لديك، بالاعتماد على ما يشهده الادراك الحسي لديك، بالاعتماد على شهادة إنجازات بعض ما تمارسه عبر المجهود والكفاح، تتوصل تدريجياً إلى إدراك حقيقة أن الإيمان هو شيء مستند على الإنجاز، مستند على الدليل، والدليل على وجود الإيمان هو أنك بنفسك أصبحت أكثر سعادة. الإيمان هو الذي يحررك ويريحك من القيم الزائفة التي تستمر في مطاردتك طوال فترة حياتك إذا لم تفعل شيء بخصوصها.

بالتالي في مدارس التعليم وجب أن تدرك كل جامعة أو كلية بأنه بغض النظر عن ما تفكر عن نفسها أو كيف تعرف عن نفسها فهي في الحقيقة عبارة عن معبد ديني. لأنه أي شيء ابتداء من اللغة وصعوداً إلى المواد الأخرى له معنى مقدس. كل فن أو علم تدرسه يحمل معه مسؤوليات أخلاقية، وإذا لم تفترض هذه الحالة أو تم تجاهلها أو عدم تعليمها فسوف لا ينتج التعليم أكثر من مجموعة من الأوغاد الذين علينا أن نتعايش معهم رغم مآسينا وبؤسنا. الحقيقة هي أنه على كل مدرسة، من صف الحضانة وصعوداً، أن تمثل جزء من عملية إيصال الفرد إلى الرشد الضروري

لكي يمكنه من إثبات أنه فقد أي اهتمام أو مصلحة في تشويه أو تدمير الاستقامة الأخلاقية في الحياة. هو يعرف قبل أن يبدأ بأنه لا يوجد شيء سوى البؤس، هو يعرف ذلك جيداً اليوم. لكنه لم يغير حياته الداخلية. هو يفكر بنفسه دائماً بأنه الشخص المخادع الوحيد الذي سينجو. لكن حتى لو نجا فهذا لا يعني شيء. لأنه ما من شيء فعله يكون له أهمية بالنسبة له أو أي أحد آخر. المستوى المتواضع للحياة في المنازل، وكافة الصعوبات المختلفة التي تبرز اجتماعياً هي ناتجة من سوء استخدام القيم، ونتيجة تحريف طبيعة الأشياء، ونتيجة استغلال، والتحويل إلى سلعة، كل الأشياء التي هي للاستخدام العام. لذلك وجب على المدرسة أن تتناول الاستقامة الأخلاقية.

وفي الحقيقة، ليس هناك أي حاجة لتعليم اللاهوت الديني. ولا حاجة لضرورة إهداء الأفراد وإنسابهم إلى مذهب ديني أو لآخر. كل هذه مجرّد ممارسة للخرافات. المذهبية أو الطائفية هي نوع من الخطأ أو الانحراف. لكن الفرد الذي ارتقى فوق هذا المستوى يعلم جيداً لماذا وجدت، ولهذا السبب لم يحاول أن يشتم أو يسيء إلى أحد بسبب دينه أو معتقداته. نحن نعمل باتجاه شيء علينا إيجاده، وهو أنه في مكان ما، كل عالِم يبحث عن حقائق علمية. الحقائق العلمية هي الضلال المادية للواقع الحقيقي. نحن الآن لسنا مكتفين بذلك بل في الفترات القادمة علينا أن نرتقي تدريجياً من الحقائق إلى الوقائع، وأخيراً من الوقائع نصل إلى حضرة الواقع الحتمي وكلي القدرة، والذي نقترب منه مع إيمان كامل. نحن نعلم بأن ذلك الواقع لا يمكنه أن يفشل. نعلم بأن ذلك الواقع هو عادل بشكل مطلق. نعلم بأن كل أخطائنا هي أخطاء أطفال. وإذا صححنا الأخطاء ربما نلقى المسامحة والإعفاء. لكن علينا أن نقوم بتحرّك معين باتجاه إصلاح وترويض سلوكنا الشخصي وفق ذاك الذي نسميه مسار الأخلاقيات الكونية. لم نعد نستطيع خرق كل قانون ونتوقع من الإدارة الحكومية تولي الأمر. ليس هناك أي نظام سياسي في العالم يمكنه أن يغير طريقة الفرد الذي يكرس نفسه للإنانية ومركزية الذات.

لذلك علينا أن نبدأ من المدارس. وجب أن يفعل الأولاد كما كانوا يفعلون في اليابان في العقود السابقة قبل أن تحولت اليابان إلى دولة صناعية عظمى حيث أعتقد بأنهم ألغوا هذا المنهج الذي اتبعته المدارس في السابق. كانت المواد التي تدرس في المدارسة الابتدائية تتسلسل على الشكل التالي: الأخلاق، القراءة، الكتابة، الرياضيات. كانت مادة الأخلاق تأتي في المقام الأول. في المدرسة الثانوية أيضاً كانت مادة الأخلاق تأتي في المقام الأوّل. وفي الجامعات والكليات كانت

مادة الأخلاق تأتي في المقام الأول. ونحن أيضاً بحاجة إلى القليل من هذه المادة في بلادنا. وجب ان يمثل موضوع الأخلاق جزء من المنهج التعليمي. وجب أن يكون لدينا الحق في أن نكون على حق، وجب أن تتجلى هذه الحالة وتُعزّز وتُكافئ. قبل أن ندخل إلى التعليم العالي، وجب أن يكون لدينا المعرفة بأن كل التعليم هو عبارة عن تكريس. من دون التكريس فإن التعليم عديم المعنى. الفرد الذي يتعلم لكي يعمل لبعض السنوات حتى يتقاعد في النهاية على الراتب يكون بذلك جزء من دائرة موت لا تقود إلى مكان. وجب العلم أن كل منا في داخله القدرة على التفكير في الأشياء والارتقاء فوق الدنيوية المؤقتة ولإنجاز ذلك الذي هو ضروري، لكن لسبب ما نحن في حالة عطالة، ربما هي مسألة إجهاد، لكن نحن الذين خلقنا الإجهاد، هو لم يكن شيئاً نزل علينا من السماء.

ليس هناك شيء هنا خلقناه ومثل مشكلة لنا ولم يكن مخلوق من قوة بداخلنا منحت لنا أصلاً لفعل الأشياء بشكل سليم. لقد أسأنا استخدام الملكات والمهارات التي نحوزها. لقد تقدمنا بالمهارات لكن ليس مع التكريس. نعرف عن الأشياء أكثر من أي وقت سابق، باستثناء ذلك الشيء الواحد والذي سميناه على نحو خالي من المضمون بـ"الحقيقة". لدينا هذه المشكلة طول الوقت، بأنه علينا أن نجد شيء ثابت بما يكفي ليعمل كأساس متين للنمو قدماً. وجب أن يكون لدينا شيء نستند عليه، شيء يمكنه مساعدتنا عندما يفشل كل شيء آخر. شيء يكون أقوى من أي عدم يقين، ويكون أكثر صموداً من أي مشكلة، وأكثر مكافأة من أي نشاط مؤقت. علينا أن نبني الإيمان في واقعنا، نبني الإيمان في الحقيقة، علينا أن نتعلم أن نعرف بأنه إذا حافظنا على الإيمان فسوف يحافظ هو علينا. عندما نفقد الإيمان بالإيمان فسوف نكون في مشكلة كبيرة.

لدينا اليوم الكثير من المجموعات الدينية التي تعمل بهذا الاتجاه. تبحث عن طرق جديدة لتنجح في تحويل الأخطاء التي جلبت معها المآسي في السنوات الأخيرة. نحن نحاول الآن أن ننشئ في الحضارة مبادئ قابلة للبقاء. ورغم ذلك فإن أغلبية البشرية تجهل هذه المبادئ بكل بساطة. أو تجهل بأنها ضرورية. بالنسبة لمعظم الأشخاص، أي تثبيط لحقهم في أن يكونوا أنانيين يمثل كارثة كبرى، وسوف يدافعون عن أخطائهم حتى النهاية، حتى لو تطلب ذلك ارتكاب الجرائم والشرور المتنوعة، كل ذلك لكي لا يصححون أخطائهم. هذا لا يمكنه أن يدوم كثيراً. يقال لنا بأن الجو ملوث بشكل كبير. يتم تحذيرنا من إمكانية حصول انفجارات بركانية مختلفة. يحذرونا من كوارث اقتصادية مختلفة، أو كوارث صحية مختلفة الأنواع، أو شح المصادر الطبيعية. يتم تحذيرنا بأنه بعد مئة عام

سوف يصبح عدد سكان الأرض عظيم جداً بحيث لا يمكنه البقاء قائماً على كوكبنا الصغير تحت الأحكام السائدة اليوم. وجب إذاً أن نواجه تزايد عدد السكان بتغيير الأحكام والشرائع. يبدو أنه مهما تصورنا المستقبل نجد أنفسنا في مشكلة. لقد استنزفنا قسم كبير من حقنا بالولادة. قمنا بتدمير المصدر الوحيد لأماننا. لذلك علينا محاولة إعادة البناء من جديد. لكن لا يمكننا البناء من جديد إذا لم يكن لدينا نوع من الإيمان بشيء ما أكثر أهمية من الأخطاء التي نرتكبها. علينا أن نبني من أجل المستقبل لأننا نؤمن بالمستقبل. علينا أن ننقذ قيمنا المختلفة وقدراتنا الطبيعية لأننا نؤمن بأنها مهمة. علينا أن نفعل ما بوسعنا لكي نحفظ المصادر حتى ولو أننا نستنزفها جميعاً اليوم.



في الحقيقة إذا نظرنا حولنا اليوم نجد العالم بأسره في مشاكل مبنية على أنواع الأخطاء التي يصنعها. لا أعتقد أن أحداً واقع في مشكلة لأن الأمة عملت بشكل جيد. كافة المشاكل تقريباً تم سوء معاملتها واستغلالها. ونحن نعتمد على العنف لكي نحل مشكلة الجهل. يستحيل أن ينجح

العنف أن يكون حل مجدي للجهل. الشيء الوحيد الذي يستطيع حل مشكلة الجهل هو الحكمة. لكن الحكمة بذاتها قد تكون حكمة دنيوية. هناك الكثير من المثقفين الأذكياء والقادرين الذين معروفون بأن لديهم مستوى كبير من الحكمة الدنيوية. لكن هذا لن يجدي نفعاً. مهما كان مستوى حكمتنا فسوف لن نملك شيء ذي قيمة إذا لم نملك المحبة. وعندما نملك الحب مخلوط مع الحكمة يكون لدينا إيمان. وجب أن يحصل شيء لإعادتنا إلى تلك الطفولة الجديدة، إلى ذلك النوع الجديد من العالم الذي لا بد من أن نصل إليه في يوم من الأيام. عالم بحيث علينا أن نبدأ من جديد ونعود إلى طريقة جديدة من الحياة والمختلفة تماماً عن ذي قبل. لكن من أجل تحقيق ذلك علينا أولاً أن نبدأ بالتعلم. ربما قد لا نتعلم كل شيء في هذه الحياة، لكن سوف نصبح محضرين بشكل أفضل لصالح الذين سيأتون بعدنا.









يسود بين بعض الناس أو المجموعات البشرية فكرة المرشد الروحي الذي يرعى شؤون أتباعه ويحميهم من الشرور التي تتربص بهم. هم يؤمنون فعلاً بأن فرد معين سوف يقودهم إلى العالم الموعود. لكن حتى الوقت الحاضر لم ينجح أحد في هذه المهمة. الأمر ذاته ينطبق على المشاكل المختلفة التي نواجهها. لا نستطيع الاعتماد على أفراد لحمايتنا من أنفسنا. أعتقد بأن الشرقيين لديهم نظرة جيدة بخصوص هذه المشكلة، مثل أسياد الـ"زن" في اليابان الذين هم الأكثر مهارة في هذا الخصوص. لقد تعرفوا على القيمة العليا لفترة وجيزة من الوقت في كل يوم والمكرسة كلياً للإيمان. وسط عالم مشغول بكل شيء يمكننا تصوره، عالم يستنزف ساعات وساعات يومياً على نشاطات ترفيهية تافهة، يشعر خلالها الفرد بعدم توفر الوقت لديه لكي يفكر. حتى أنه ليس لديه اهتمام بالتفكير أصلاً. كل ما يشغل تفكيره هو الوظيفة والأمان الاجتماعي وغيرها من مواضيع مشابهة. وسط هذا الوضع نجد الأسر تتفكك والشباب يصبحون قلقين ومهملين ومقصرين بشكل متزايد، وكل شيء يذهب من السيء إلى الأسوأ، والجميع يفعل ما كان يفعله دائماً. أما بالنسبة لأسياد الـ"زن"، أول شيء وجب فعله هو أن يكرس الشخص قليلاً من الوقت لغاية بسيطة وهي التفكير. حتى فيثاغورث شجع على ذلك من خلال تعليمه لمنظومة الفحص الذاتي والتفكّر. على الفرد أن يقوم في

وقت معين كل يوم، ولمدة خمس دقائق أو حتى دقيقتين، أن يفكر بالأمور بشكل واضح ومستقيم، حتى لو لم يتمتع بالشجاعة الكافية لفعل ما يفكر به. لكن إذا فكر بهذه الطريقة لفترة طويلة كافية ويصبح مدركاً أكثر وأكثر لإمكانية إغناء حياته فسوف يكون متأثراً بشكل إيجابي. أحد الأشياء الإيجابية التي تحصل معه هي توفيره الكثير من المال، لأننا الآن نستخدم مبالغ كبيرة من المال من أجل نسيان أنفسنا عبر إلهائها، لأننا لم نعد نتحمل أنفسنا. نحن لا نستطيع أن نكون ساكنين وهادئين لوحدنا، إذ سوف نصاب بالملل أو حتى نصبح هستيريين وقد تتفاقم الحالة بحيث تتطلب العلاج النفسي. لذلك نلجأ إلى ما يشغلنا طوال الوقت فيلهينا عن أنفسنا.

لكن إذا قام الفرد ببعض التفكير، قد يجد حكم لنفسه، قد يتناول موضوع يريد معرفته أكثر، ويمكنه استخدامه في التفكير لمدة بعض الدقائق كل يوم، يمكنه أن يعود إلى مواضيع كان يدرسها في المدرسة، ومنها يمكنه أن يستمد الإلهام. أما بالنسبة لأسياد الـ"الزن" فغايتهم هي إدراك أهمية أن يكون الفرد ساكن وصامت لكي يعرف. لأنه ما من طريقة لتعرف إذا كان عقلك مشغولاً بمواضيع عديدة وأغلبها تافهة. لا يمكنك الحصول على البصيرة التي تحتاجها إذا كان عقلك متحرك على الدوام بين مواضيع مختلفة تتعلق بمشاكل حياتك اليومية. يتم الأمر بنجاح فقط من خلال السكون التام. عادةً ما نكتشف بأننا لا نستطيع التحكم بأفكارنا. نحن حتى لا نستطيع التحكم بأنفسنا، فما بالك أفكارنا. لكن رويداً رويداً يمكننا زيادة هذه السيطرة على تفكيرنا. بمكننا استخدام الملكات التي نحوزها لكي نفعل شيئاً مفيداً. وفق مفهوم الـ"زن" فإن الصمت يصبح البوابة إلى الإيمان. يصبح الصمت الوسيلة التدريجية لتصفية الملكات من إرهاب وبؤس التجربة اليومية. الصمت هو سلام. قوة الأبدية تسكن في السلام. السكون هو اجتماع مع الذات الحقيقية أو النفس العليا. يمكن أن يصبح هذا الاجتماع أساس لتكريس جميل. وهذا التكريس هو ضروري لأي أحد يرغب في العيش بشكل أفضل وسط هذا العالم المربك والفوضوي.

لذلك، وسط الضجيج الذي يسود محيط الفرد، هناك إمكانية للسكون. وسط سكون الأشياء نعيش في عالم كان كذلك قبل أن يوجد الإنسان. كان الكون في سلام قبل أن يظهر العقل الدنيوي مع حقه في النمو والسعي لصنع عالم أفضل. الحضارات التي نعرفها عبر التاريخ كانت عبارة عن مختبرات للتجارب على تكشف إمكانيات الوعي البشري. كانت تمثل طريقة لاستعراض مدى معرفتنا. لكن بدلاً من ذلك أصبحنا خبراء اليوم في استعراض كم من ما لا نعرفه، وذلك عبر الأخطاء المستمرة

التي نقترفها ودون أن يكون لدينا أي إدراك سليم أو حتى اللياقة لتصيحها. لقد منحتنا الطبيعة منهاج بسيط جداً لفعل الأمر. يمكننا جميعاً فعل الأمر. كل مدرسة دينية أو فلسفية في العالم كان لديها حياتها التأملية. كان لديها سكونها الخاص. وكذلك كان مجهودها الهادف للكشف عن أسرار السبب الأول. والرغبة اللانهائية في إيجاد سبب الوجود. لقد تم الافتراض بأن هذا السعي هو هباء. سوف يقولون لنا بأنه لا يمكن النجاح بذلك وأنه ما من طريقة لمعرفة ذلك. لكن هذا يكون صحيح فقط إذا اتبعنا الوسائل الخارجية التي نألفها. بينما في داخلنا فسوف يبقى دائماً طريق مفتوح. ليس هناك أي لحظة لا يفتح فيها الدرب الداخلي إذا كنا متحمسين في حاجتنا إليه. المشكلة الكبرى هي أننا لم نسعى إلى هذا الدرب الداخلي أبداً. ما نرغبه في الحقيقة هو أن نتبع الدرب الداخلي وبنفس الوقت نرغب في الازدهار بأكبر قدر ممكن خارجاً. واختلاط الصراعات والبحث عن وقائع مختلفة ورمز الحياة، جميعها تعزز عدم الواقع. الرغبة في أن نكون أفضل لكن مع عدم التخلي عن أي شيء يتعلق بالسمات السيئة، نحاول دائماً تقسيم هذه الأشياء وفصلها عن بعضها لكي نتمكن من حمل جرتي ماء على كلا الكتفين. ترانا نصلي من أجل نيل الفوائد لكن بنفس الوقت نسيء التعامل مع كافة قوانين الحياة وغاياتها. أصبح واضحاً بأن هذا كله غير ممكن. والآن بدأنا نراها بوضوح. لمدة طويلة من الزمن لم يكن هناك ما نفعله حتى لو رأيناها بوضوح. كان العالم واقع في عبودية لأنظمة مزيفة صمدت لفترات زمنية طويلة وبالتالي كان عليها أن تذهب دون رجعة. لكن الآن أصبح لدى الفرد العادي الحق لبناء شيء أفضل. لكن بدأنا تدريجياً نسيء تفسير معاني الأشياء، وفقدنا إلتزاماتنا الحقيقية لاستقامة وتكامل أنظمتنا الحياتية. علينا أن نجدها مرة أخرى ونرتقي فوقها ثم ننتقل إلى شيء أفضل. لا نستطيع التخلص منها قبل الارتقاء فوقها.

كل التقدم هو نمو وتنشئة. ليس هناك أي خطوة متخذة ، والتي نسميها تقدم، لا يحكمها الوعي والسلوك. على هذه أن تعمل معاً لتحقيق الغاية. بالتالي خلال بحثنا عن الإيمان فعلينا أن نستحقه. علينا أن نحتاجه وعلينا ان نرغبه. علينا أن نكرس أنفسنا من أجله. والبداية هي سهلة جداً، كل ما علينا فعله هو أن نكون على إدراك تام بوجود كون ونحن مواطنون فيه، وسوف نكون دائماً مواطنين فيه، إلا إذا نفينا أنفسنا بسبب أخطائنا. مهما كان المنفى سيئاً لكننا سوف نعود في النهاية. الخطوة الأولى في مسيرة تصحيح ضعفنا ونواقصنا تمثل الخطوة الأولى نحو الاتحاد مع الوقائع الكونية.

الإيمان هو الأداة الوحيدة التي نملكها، وبالتالي علينا أن نجعلها قوية. علينا فعل كل ما بوسعنا لتقوية وتنشيط مساهماته. علينا أن ندمج معه كل حقيقة يكتشفها العلم، وكل حكمة أوجدها الفلاسفة، وكل الجمال الذي منحنا اياه الفن، جميعها في الحقيقة تمثل أجزاء مختلفة للإيمان ذاته. عندما جردناها من الإيمان بدأنا نواجه الفشل الذريع. افترضنا بأنه يمكننا توحيد الأجساد دون حاجة لتوحيد الأرواح. اعتقدنا بأن هذه العلوم والفنون هي كيانات منفصلة، لكنها ليست كذلك، بل هي تجليات متعددة لمبدأ أبدي واحد. في كافة المسائل على اختلافها فإن الحياة الداخلية هي المفتاح. علينا أن نبدأ العيش مع هذه الفكرة، فكرة أن لا شيء يمكنه العيش دون إيمان. لا يستطيع أي تاجر النجاح دون إيمان. ولا أقصد الإيمان بالسلع لديه، بل الإيمان بشخصيته التي تتعامل مع السلع لديه. إنها الحكمة والمهارة والوعي بداخله التي تقرر في النهاية نجاح مشروعه التجاري.

لذلك أعتقد أنه بالنسبة للشخص العادي، وفيما يتعلق بالإيمان، يمكننا أن ننظر حولنا إلى أشياء سبق وحصلت، فنجد أمور أحسنا فعلها ونكون فرحين بذلك، ثم نجد أمور أخطأنا فعلها ثم نعاني من عواقب ذلك. كما أننا ننظر حولنا، إلى حضارات وثقافات أخرى، ونرى أن الآخرين يقترفون نفس الأخطاء ويسعون كذلك إلى القيام بنفس التصحيحات. إذا راقبنا التصحيحات نتذكر حينها ذلك المبدأ الذي يتحدث عن التجربة والاختبار. إن المجتمع يختبر في الحياة لمدة طويلة. حتى العلم يختبر في الحياة. والشيء الوحيد الذي تعلمه العلم فعلياً هو أننا لا نقوم بفعل الأشياء بالطريقة الصحيحة. ومع اكتشافنا ذلك نبدأ في البحث عن الطريقة الصحيحة. وجب أن ندمج الاستقامة والتكامل الروحي مع الحقائق الفكرية والمادية. إثبات الأخلاق في المختبر، وإثبات الفلسفة في التجارة، وإثبات الحكمة في الأماكن العامة، وإثبات الرشد في الطفل، وإثبات الأمانة والإخلاص في المنزل، كل هذه الأمور ممكنة، وأينما تم خرق القوانين فلا بد من أن شيئاً ضاع وفقد. وفي النهاية، على كل من يخرق القوانين أن يدفع الثمن. لذلك فإن الإيمان متأسس على إدراك حقيقة أننا نعيش في كون صادق بشكل مطلق. ولا يمكننا فعل شيء حيال ذلك سوى أن نكون صادقين أنفسنا وإلا فسوف نعاني. نحن نعيش في كون لديه غاية، لكن نحن لا نعرف ما هي غايتنا في معظم الأحيان. نحن نعيش في كون له مستقبل ويعرف إلى أين يذهب، لكن نحن لسنا كذلك. لكن يمكننا أن ننمي تدريجياً تركيبة كافية من الحقائق المتوفرة لدينا لكي نبدأ بتصديق مستقبل معين، لأننا نعرف المبادئ والقوانين الحاكمة لهذه المسيرة وقد اكتشفنا بعض من سلوكها. إنه ممكن جداً بالنسبة لنا أن نقوم تدريجياً وفي وقت معقول أن نجري التغيرات في أنفسنا، وهذه التغييرات قد لا تحصل مرة واحدة، وقد

نغادر هذا العالم مع تغييرات لازالت جزئية، لكن هذا كله لا يهم، لا شيء مهم لأننا سوف نعود إلى هذا العالم مع نفس التغييرات الجزئية ثم نكمل طريقنا من حيث توقفنا. وبسبب ما نتعلمه الآن، فإن أولئك الذين يولدون بعد ألف عام من الآن سوف يكونوا أكثر حكمة منا، لأننا نحن هم، ونحن بهذه الحالة في حالة نمو مستمر.

النمو لا يُقاس من خلال تجسيد واحد، بل وفق صيغة أجيال وأجيال، حيوات وحيوات. والتقدم يستمر طالما بقيت الاستقامة تنمو في الناس. من المؤكد أن هناك الكثير من الناس يغادرون العالم اليوم مجردين من الاستقامة، لكنهم سوف يعودون حتماً، وسوف ندخل في مشاكل معهم مرة أخرى. الموت هو تغيير عوالم لكنه ليس تغير في الشخصية. بالتالي مهما عشنا في ضله ومتنا في ضله سوف نعود إلى الولادة في ضله. ومن أجل الهروب من الصعوبات التي ترهقنا اليوم علينا أن نغير أنفسنا بحيث إذا عدنا من جديد فهذه العيوب تحديداً تكون قد تصححت. خلال معالجة هذه الأمور يوجد عقلانية في المسألة، والعقلانية تفيد كثيراً في موضوع الإيمان. لأن الإيمان، وبطريقة غامضة، هو العقلانية ذاتها. هو شيء نعرفه بشكل مميز ونتجنبه بحذر. هو شيء نعتقد به لكنه يتدخل في معتقدات أخرى أقل أهمية. لذلك فإن المشكلة تكمن في وضع الإيمان في المقام الأول حيث يستحق. نوصله إلى المرحلة التي يمكنه فيها منحنا القوة لمواجهة المحن والشدائد، كما يمنحنا الشجاعة والحكمة لبناء مستقبل أفضل. نحن بحاجة إلى الإيمان على المستوى الفردي، وكذلك نحتاجه على المستوى الجماعي، وكذلك على المستوى الوطني، وربما حتى الكوكب بحاجة إليه. لأننا نقوم باستغلال كوكب مُنح لنا كحديقة جميلة لكننا حولناه إلى أرض مقفرة جرداء. وجب تغيير هذا كله. سوف يتوفر ما يكفي إذا قمنا بالمهمة بشكل صحيح. يمكننا التغلب على الشحّ بأنواعه، يمكننا تحمل أكثر من ضعف عدد السكان الحالي للكوكب، كل ذلك فقط لو امتنعنا عن الأنانية. إذا توقفنا عن محاولة استغلال بعضنا البعض، وندرك بأنه في عائلة واحدة كبيرة فإن الإخلاص لكل فرد يعني الإخلاص للجميع. إذا كنا مخلصين وقمنا بالواجبات الضرورية فسوف يكون لدينا أجمل كوكب يمكن أن يكون. وسوف نكون سعيدين جداً في هذا الكوكب خلال قيامنا بالأفعال التي وجب فعلها. عندما يحصل هذا فسوف نعرف حينها أن الإيمان قد تجلى.

القـدر

وفلسفة المصير



إنه موضوع مثير بالفعل، وقد حيّر الفكر البشري لآلاف السنين خلال المجهود الحثيث لاكتشاف ما هي الأحكام التي تقبع وراء تطور الأشياء. ***ما هي الخطة؟*** البعض طبعاً ينكرون وجود خطة أصلاً. قد يمثل هذا جواب شافي لكن لا يمثل حل للمسألة. الآخرون يعتقدون بأن هذه الخطة محفوظة من قبل قوة إلهية وبالتالي لا يستطيع أي شخص فاني أن يستوعب شمولية هذا الغموض المتعلق بالإله الأعلى. لكن هناك آخرون أيضاً، والكثير منهم أشخاص ورعين ومؤمنين ومطلعين يشعرون بأنه في الوقت الذي يكون صحيحاً أن الإجابة الكلية والشافية لكافة الأسئلة ليست متوفرة في هذا الوقت، لكن من خلال الاعتبار العقلاني والحذر للمجريات التي تعمل الآن في الطبيعة يمكننا أن نتوصل إلى تقارب كلي لمعرفة الأحكام وراء اللعبة. لدينا نظرة شمولية للحياة والتي تم تقويتها وتوسيعها وتعميقها من قبل علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم الحيوان وعلم الآثار وعملياً كل أداة أو مجال بحث ابتكره الإنسان. من هذه المصادر المختلفة استقينا روايات وبيانات عن ظاهرة العيش والحياة

عموماً. نكتشف كيف تسير الأشياء إلى الأمام عبر الزمن. نلاحظ ربما العلاقة المتبادلة بين السبب والنتيجة (العلة والمعلول)، وبعد تأمل هادئ على كل ما هو مرئي ومعروف من قبلنا، نبدأ بإدراك حقيقة أن المصير هو سلسلة نمطية وليس سلسلة من الصدف والأحداث العشوائية. مجريات المصير تبدو متواصلة دون انقطاع، هي منهجية، وأكثر السمات أهمية تتعلق بالعملية ذاتها والتي كل الحياة تصبح منخرطة معها. كلما زادت معرفتنا عن مصير الحياة كلما تحسن تعاوننا معه يومياً. والبعض يتوقع بأن الإنسان مُنح العقل لكي يستخدمه للتفكير بخصوص سبب وجوده بنفسه. في الوقت الذي البعض يستخدمون فيه العقل ببساطة للتقدم بتفصيل خاص بهم، لكن خلف قوة التفكير تكمن الطاقة الضرورية للتفكّر، جزئياً على الأقل، في تكشّف هذا الشيء الذي نسميه المصير.

نحن نتعامل أيضاً مع كلمة أخرى وهي القدر. تم ربط القدر بمفهوم القدرية أو الإيمان بالقضاء والقدر، أو الظروف المقدّرة أو الحتمية. وهذه الفكرة المتعلقة بوجود حتمية قدرية بحيث لا نستطيع التمرد عليها والتي لا يمكننا تحويلها أو تغييرها داخل أنفسنا، أدت إلى ظهور مفاهيم دينية تتعلق بالقضاء والقدر، وهذا الأمر واضح جلياً في عقيدة الإسلام حيث القضاء والقدر يمثّل عقيدة جوهرية، وهو في الحقيقة جزء أساسي من المبدأ الذي بنيت عليه العقيدة بالكامل. القدر بالنسبة للشخص العادي أصبح قريب الصلة بالحظ. القدر هو شيء يحصل دون أي سبب منطقي واضح، أو أننا لا نرغب في التحقيق بأسبابه. نحن نقبل الكثير من الأشياء التي تحصل معنا، لكن مع تردد وممانعة أحياناً، لكننا لا نرغب في محاولة فهم السبب وراء حصولها. السبب وراء ترددنا في استكشاف أسباب المجريات هو لأنها تذكرنا حتماً بوجود العيوب في شخصيتنا. سوف نُجبر على الاعتراف بأن سوء الحظ هو نتيجة مستحقة. نحن نستحقه من خلال قيامنا بالأشياء الخاطئة، وأحياناً بمعنويات عالية وآمال عالية. لكن طالما أنها أعمال خاطئة فسوف لن تنجح أبداً.

بالتالي يبدو أن القدر هو التعبير عن عملية اختبار الإنسان في مجريات العيش. يمكننا إدراك القدر كنتيجة لمراقبتنا أفعالنا أو أفعال الآخرين أو حتى أفعال أمم قائمة بذاتها. نلاحظ كم هي قريبة النتائج التي تتبع المسببات. هناك نماذج واسعة من القدرية والتي تستعرض وجود علاقة دائمة بين الأحداث المختلفة، ويوجد دائماً مسببات متشابهة تجلب نتائج متشابهة. قد تتعدل النتائج بفعل الزمان أو المكان، وقد تختلف بالتفاصيل بسبب اختلاف الأعراق والأمم والثقافات، لكن في الجوهر

نجد أن فعل معين سوف ينتج حتماً ردة فعل محددة. بالتالي الحرب وجب أن تنتج الحرب وليس السلام. لماذا إذاً نفترض بأن هذا الشيء الذي نسميه المصير هو خيّر بجوهره؟ السبب هو إذا كان على الحرب أن تنتج الحرب فهذا يعني أن الحرب هي حالة أبدية، وهذا أمر غير صحيح ونحن لا نؤمن به. إذا كان كل خطأ نقترفه ينتج كارثة لكن لا نتعلم منها شيء على الإطلاق والتي لا نوليها أي اعتبار أو اهتمام، فبالتالي سوف تستمر دورة الظروف القاسية والشديدة إلى أجل غير مسمى، لكنها لن تستمر إلى الأبد. عندما أقول "غير مسمى" فهذا يعني فترة لها حد معين لكن غير محدد، يتوقف الأمر على الفرد وسعيه لتصحيح الخطأ. الإنسان هو صاحب سلطة بنفسه، وهو لا يستطيع التمتع بالمعاناة إلى الأبد. مجرد التفكير بالمعاناة في جهنم إلى الأبد هو كثير بالنسبة له. وهو واضح أيضاً بأن الشخص العادي يرغب في أن يكون مرتاح ورغيد. يرغب في الاستمتاع دائماً طالما سمحت له الظروف. يرغب في العيش في عالم مسالم ووسط مجتمع متعاون. لأنه مجرد أن تذوق هذه الفوائد فسوف يحبها. لكن لسوء الحظ، فإن شخصيته لن تحافظ على استمرارية رغبته أو نيته هذه. نراه يرتد إلى ما كان عليه دائماً، وهو مخلوق منافس. هو لم يتلقى قدر كافي من المعاناة حتى يدرك حقيقة أن المعاناة يعود سببها إلى الأفعال الخاطئة. وما من طريقة ممكنة، إن كانت علمية أو دينية أو فلسفية، يستطيع الفرد من خلالها اقتراف خطأ دون أن يدفع ثمنه. نحن نود أن نأمل بأن هذه النقطة ليست مؤذية كما تبدو. نحن نود أن نأمل بأنه يمكننا فعل ما يحلو لنا وكل شيء سوف يبقى كما هو. النتيجة الجيدة تكون ممكنة فقط إذا كان الشخص متنور جداً بحيث ما يرغب فعله هو الخير الأعظم لنفسه وللآخرين. حتى يصبح هذا أساس رغبات الفرد فسوف تستمر المعاناة قائمة عبر الزمن.

خلال مواجهة الفرد لعواقب سلوكه، قام بمراكمة كمية من الأدبيات عن هذا الموضوع، ومعظمها نسميها اليوم التاريخ. يعتبر التاريخ بالنسبة لمعظم الناس موضوع ممل، وهو في الحقيقة موضوع بغيض وتنفر منه النفس. التواريخ الحديثة بمعظمها تمثل سجلات وعملية تكرار لتقصير الإنسانية وعيوبها. التواريخ تحتوي على سجلات متكررة لأخطائنا. هي تستعرض العواقب الحتمية لعدم إنسانية الإنسان تجاه فصيلته والفصائل الأخرى في الطبيعة. في كل مكان يقول لنا التاريخ بأننا نرتكب الأخطاء، ومع ذلك نستمر نحن في ارتكابها. نحن لم نفطن بعد بأن التاريخ يمثل نوع من كتاب مقدس، حيث يخفي معنى مقدس، إذ يقول لنا ما علينا فعله وما علينا عدم فعله. عندما ندرس ما علينا فعله وما علينا عدم فعله، نتذكر مفهوم روحي أساسي يقول لنا بأن كل منا يتألف من

نفسين أو ذاتين أو قسمين، أحدهما يكافح أبداً باتجاه الخير بينما الآخر يكافح باستمرار نحو إشباع ملذاته وشهواته ورغباته الدنيوية. عندما أقول شهوات أو ملذات فلا أقصد فقط تناول الطعام والشراب بل أي شيء يرضي رغبة في أنفسنا، مثل الطمع والجشع، الغيرة والحسد،.. وغيرها. في كل من هذه الحالات نسعى إلى إرضاء توجه داخلي غير بناء. كل إنسان إذاً هو مؤلف من قسمين. بالتالي كل فرد يحتوي في داخله على شيء يسعى دائماً إلى الاندماج مع الخالد الأزلي، وهو شيء يتجاوز كافة المحدوديات والنواقص والعيوب المادية، هذا الشيء الذي يكافح نحو إحراز الكمال يمثل المثالية بداخل أنفسنا. ربما هو يمثل أساس الضمير، كما أنه يذكرنا باستمرار بأننا نستطيع فعل الأشياء بشكل أفضل. قد يدفعنا نحو عدم الأنانية والتفاني أو الإحسان واللطف، أو يقترح علينا مسامحة أعدائنا. أما القسم الآخر في كياننا، وهو القسم الدنيوي، فهو شخصي بدرجة كبيرة. إذا واجهنا صعوبات مع الآخرين فإن هذا القسم الدنيوي لا يرغب في المسامحة أو النسيان، بل يرغب في الثأر، يميل إلى رد الصاع صاعين كلما واجه إساءة من أحد، يرغب في أخذ ثأره من الحياة ومن الناس، وأينما عجز عن إيجاد أحد ليكون موضوع ثأره ينقلب على المجتمع ككل محاولاً السداد مقابل كل معاناة اختبرها في الحياة.

هذان الكيانان المتناقضان بداخلنا يحتلان أساس الميول والأمزجة والنزعات لدى معظم الناس. نجد عند البعض بأن ذلك القسم الذي يكافح من أجل الجميل الخيّر هو الذي يسود أكثر من الآخر، ويتقدم إلى الأمام. بدأ يتدخل أكثر وأكثر في قرارات الشخص، جاعلاً هذه القرارات أكثر إحساناً ولطفاً ومسامحة. بينما على الجانب الآخر نجد النوع الآخر حيث القسم السلبي، أي الدنيوي، هو الذي يسيطر، وتتزايد قوته بسبب خيبات الأمل وسيطرة الأوهام الدنيوية والطمع في الباطل، أو لأن الفرد أصبح يتمحور حول غاية واحدة وهي إشباع وإرضاء شهواته ورغباته الشخصية. أمر واحد طبعاً يزيد من تعقيد المسألة، وهي دائرة المجهول التي تحيط بنا جميعاً. نحن نعيش وسط دائرة مقفلة، وهناك جدار يفصلنا عن خارج الدائرة بحيث نعجز عن الرؤية أو حتى التخمين بدقة ما يقبع وراء الجدار. بالتالي كل فرد يعيش وسط هذه البيئة المقفلة بحيث تسيطر عليه بالكامل. في هذه البيئة تسود مجموعة من المغالطات والأفكار الخاطئة بحيث أصبحت تعتبر مسلمات صحيحة وصائبة ونعتبرها أحياناً منزلة من السماء. نعتبر بعض هذه المغالطات بأنها قريبة من الأصول الإلهية، مع أنها ليست كذلك في الواقع. من بين هذه المغالطات نجد أنه علينا بناء كامل طريقة حياتنا بالاستناد على البرنامج الذي وضعناه لوجودنا المؤقت هنا والذي لا يتجاوز عدة عقود. بينما

لا زلنا أحياء هنا وضمن هذه الفترة المؤقتة، وجب علينا فعل كل ما يمكننا فعله في سبيل إرضاء أنفسنا وإشباع رغباتنا. أما بخصوص ما يحصل بعد مغادرتنا هذا العالم فلا يزال يمثل صورة قاتمة وغير واضحة بالنسبة لمعظم الناس. رغم أنهم قد يؤمنون بوجود عالم آخر، لكنهم يقسمون هذا العالم إلى مستويات مختلفة، أو يجتهدون في وضع خريطة دقيقة لهذا العالم الآخر. لكن المشكلة هي أنه خلال وجودنا هنا في هذه الحياة نعتقد بأنه علينا أن نفعل كل ما بوسعنا للاستمتاع بأنفسنا ونشبع كل شهوة وتحقيق كل طموحاتنا وعلينا أيضاً الإطباق على أعدائنا. هناك حالات يقوم بها الفرد بحمل عداءه خلال وجوده على فراش الموت حيث آخر مبادرة يتخذها في حياته تكون شتيمة موجهة إلى عدوه، فيموت بعدها مباشرة. نحن لا نستسلم. ونشعر بأنه إذا جرحنا أحدهم فيكون من حقنا المقدس أمام السماء أن نحقد على ذلك الشخص حتى آخر الزمان. إن لهذا النوع من الأفكار تأثير خطير على بيئتنا وخلق حالات عدائية تستمر من جيل إلى جيل، ونتخذ هذا المنهج تدريجياً ونربطه بمفهوم المصير. فنقول إنه المصير هو الذي يجعل الأشياء تحصل، المصير يعني أن نستمر في العيش كما عشنا دائماً، وبالتالي نترك إرث ثقيل من المعاناة إلى أولادنا وأحفادنا. نعتقد بأنه علينا أن نلتزم بمنهجية محددة للأشياء كما قدر لها أن تكون.

هذا يقود الفرد إلى قرار حاسم وجب عليه اتخاذه، ويتعلق بمشكلة هل يستطيع إحداث تغيير؟ هل يستطيع الفرد أن يحدث تغييراً جذرياً في منهج حياته؟ هناك أناس يقولون لنا بأنهم تغيروا، وربما تغيروا فعلاً بطرق متعددة، لكن التغيير لا يعني مجرّد التوافق مع وضع جديد، بل قد يعني الابتعاد عن ذلك الوضع كلياً. التغيير يعني أن يحقق الفرد تغيير اجتماعي من خلال تغيير شخصي. هو يحسّن وضع عائلته من خلال تغيير نفسه وليس عائلته. يحسّن أخلاقه من خلال أن يصبح أكثر أخلاقياً بدلاً من طلب الأخلاق من الآخرين. يحقق بصيرة روحية ليس بالضرورة لأنه يتلقى تعليمات بل لأنه اختبر تجربة تحسين الذات. بالتالي فالتغير هو الشيء الوحيد الذي يمكنه تغيير المصير، حيث المصير هو شيء بذاته ويستمر في كونه كما هو ويستمر في إنتاج الصعوبات المرتبطة به حتى يغيره برنامج طويل الأمد. القليل من الناس يستطيعون إحداث تغيير جذري في عيشهم بينما يكونوا وسط مسيرة تجسيدهم المادي. قد يودون ذلك، وفي بعض الحالات اليائسة يحاولون إحداث تغيير. لكن ما الذي يحفّز هذا التغيير؟ ما الذي يحفّز المجهود الذي يدفع بعض الناس إلى تحقيق تغيير جذري في نمط عيشهم؟ ربما أحد تلك الأسباب هو أن الفرد لا يكون سعيداً بسبب فشل طريقة حياته لذلك يحاول طريقة أخرى. في كل من هذه الحالات تقريباً يحصل التغيير نتيجة المعاناة من

خيبات الأمل والإحباط أو أن الفرد يعجز عن الاستمرار في طريقة حياته بسبب ظروف صحية أو مالية أو أي شيء آخر يتطلب تغيير في نمط حياته.

لكن ليس هكذا وجب إتمام العملية. علينا أن لا ننتظر حتى يُفرض علينا التغيير من قبل أخطائنا. وجب على الفرد أن يبدأ بالتغيير في اللحظة التي يبدأ فيها التفكير، لأنه على كل فكرة وكل استخدام للعقل أن يكشف عناصر الشخصية والسلوك والأنماط والارتباطات والعلاقات التي يمكن تحسينها جميعاً، وبالتالي وجب تغييرها من شيء أقل مستوى إلى شيء أفضل. هذا يعني أن التغيير هو نمو طوعي ملهم من قبل الرغبة في أن يكون الفرد أفضل مما هو عليه، وليس الرغبة لتجنب الصعوبات. الأمر لا يتعلق بضرورة العيش بشكل أفضل لتجنب المعاناة والألم، بل لأن العيش الأفضل يمنحنا الصحة السليمة والتي تعتبر إنجاز إيجابي بذاته. متما نمونا لأننا لا نستطيع تحمل طريقتنا في الحياة فهذا يجعل مجهودنا بهذا الاتجاه خالي من التأثير على تبديل أخلاقياتنا ومبادئنا، وهذا يجعلنا مجرد سعاة إلى التخلي عن عادة سيئة والتي كنا نفضل الاحتفاظ بها لولا تأثيراتها السلبية علينا. نحن نحب أن نقترف الأخطاء لولا أنها تسبب لنا الألم والمعاناة. هذا ينتج حالة إصلاح هائل للشخصية. وغالباً ما تسعى هذه الشخصية إلى إيجاد طرق مختلفة لارتكاب الأخطاء القديمة لكن تحت مسميات جديدة. فتبدأ المشاكل بالعودة كما السابق وقد تستمر إلى باقي الحياة.

يوجد طريقة واحدة فقط يمكن من خلالها تغيير المصير. الصلوات للسماء طلباً لتغيير المصير أثبتت عدم جدواها. الكون سوف يستمر وسوف يفعل ما طالما فعله لأنه الأنسب لكافة المخلوقات. المشكلة التي على الإنسان مواجهتها هي كم سيستغرق من الوقت قبل أن يكتشف بأن طرق الطبيعة هي الأفضل. أحد العيوب الأكثر شيوعاً اليوم هو رغبتنا الشديدة في إصلاح سلوك الطبيعة. لدينا شعور بأن الوقت قد حان لأن نتمتع بالسلطة الكافية التي تمكننا من توجيه الله في إدارته لأعماله. نحن مقتنعون تماماً بأن الخطة الإلهية بحاجة إلى تعديل. نحن نعرف بأنه في الوقت الحالي يوجد صعوبة بخصوص علاقتنا مع هذه الخطة الإلهية. بالتالي نود أن نشرح للإله الأعلى بأننا نحن على حق وهو على خطأ. نود أن نجعله واضحاً بأننا سنخاصمه إذا لم تتغير الأمور لصالحنا. لكن مهما كان الأمر فالإنسان يتمرد ضد الأشياء التي لا يحبها. في اللحظة التي لا يتوافق فيها الله مع الإنسان يظن هذا الأخير بطريقته المتواضعة بأن الله هو الذي يعاني من هذه الحالة. يود الإنسان بطريقة معينة أن يجعل الكون يسير بالاتجاه الذي يريده أن يكون، فيحاول بطرق معينة أن يشرح

بأن الله يريد الكون أن يسير بهذا الاتجاه الذي اختاره. لكن مهما كان الأمر، من الصعب تقبل فكرة أن الله يريد من الإنسان الاستمرار في فعل الأشياء التي تؤذيه وتضر به. الإنسان يشوه مسيرة حياته ويدمر مصادره ويفقر الطبيعة.. وغيرها من أفعال غير موزونة، من الصعب جداً الاعتقاد بأن الله يريد هذا أن يحصل أو يرغب في أن يعاني الإنسان من عواقب هذه الأفعال. الإنسان لا يعاني لأن الله يريده أن يعاني، بل الإنسان يعاني نتيجة لأخطائه التي اقترفها. وعندما تعود أخطائه لتنقلب عليه، يعتبر الإنسان بأن هذا سوء حظ مقدر له. أي بمعنى آخر، يعتبر بأن سوء الحظ هذا وجب أن لا يحصل. ورغم هذا كله فهو لا يفكر أبداً في تصحيح الأسباب الفعلية لهذه الحالة التي يعتبرها مجرد سوء حظ مقدر له من الله.

طالما استمر الفرد في التسبب بالمشاكل فسوف يعاني. هذه طريقة جيدة للضبط الأبوي. لم يعد بإمكاننا اعتبار الإله الأعلى بأنه أب ظالم وقاسي يعاقب ابنه بحافز المتعة والنزوة، بل هو والد حكيم يدرك بأن كل ولد بحاجة إلى ضبط. لذلك فإن الخطة الكونية مبنية على الانضباط. والانضباط هو الشيء الذي يود الفرد العادي أن يتخلص منه في حياته. هو لا يريد أن يتم ضبطه. رغم ذلك، فإن الإبن الذي يرفض الانضباط خلال مراهقته سوف يلوم والديه عندما يصل في سن الثلاثين على عدم إخضاعه للضبط، لأنه سوف يدرك لاحقاً بأنه لا يستطيع العيش دون ضبط. وعندما يعيش بدلال فسوف يفسد. نحن نحب أن يدللنا الله، كل واحد منا. نحب أن يفعل لنا الله كل ما نرغبه ونريده. نحب أن يصنع منا أشخاص أثرياء وأصحاء. عليه أن لا يسمح لأي شرور أو مشاكل أو مصاعب أن تواجهنا. عليه أن يعيشنا بنعيم كما لو أننا في الجنة. لكن ربما نسينا بأن العالم بدأ بهذه الحالة الجميلة في بداية التاريخ لكن نحن الذين خربنا كل شيء. والمشكلة كانت دائماً في العصيان على وصايا الله، وهو طبعاً لن يتساهل مع ذلك.

في الحقيقة، فإن السماء لا تحط على أحد بهدف الثأر أو ما شابه، لكن خلال كل إجراء في الطبيعة وخلال كل لحظة من حياتنا نعمل وفق سلسلة متشابكة من القوانين. نحن نتنفس بفعل تلك القوانين. نحن نملك أجسام بفضل تلك القوانين. نحن نستطيع التفكير بفضل تلك القوانين. كل فعل أو تفكير أو شعور أو عاطفة نملكها جميعاً في كياننا بصفة ملكات أو قدرات أو قوى هي جميعاً خاضعة لقوانين. كل واحد من هذه القوانين معرض للاستخدام السيء والاستخدام السليم. هذه القوانين تقول لنا بأن المجريات تسير بشكل جيد وبسهولة إذا لم تتعرض القوانين لسوء الاستخدام.

إذا لم نطيع القوانين أو لا نلتزم بها، فسوف تنحرف مجموعة كاملة من الملكات والقوى عن مسارها المتوازن. الفرد الذي يصبح مدمن مخدرات يقوم نتيجة ذلك بتدمير مجموعة بكاملها من القوانين النمطية التي يحتاجها لعيش حياة ناجحة. أي هو يعطب نفسه ولا أحد يجبره على ذلك. قد نقول بأنه بدأ في فترة لم يكن فيها حكيماً بما يكفي لكي يعرف ماذا عليه فعله. ربما طغى عليه تأثير الآخرين. هذا هو السبب الذي يفرض على الشخص الذي في طور البلوغ أن يخضع إلى كم كافي من الانضباط والتحكم والتوجيه. وقد تكون هذه مهمة صعبة. وفي بعض الحالات قد تكون مستحيلة. لكن إذا فشل الأهل وجب أن تتدخل الحكومة وتكمل عملية الضبط. لأنه لا يمكن السماح للفرد أن يعيش حياة غير منضبطة ويتوقع أي شيء غير الكوارث.

هذا ما نسميه المصير. هذا المصير يعني أن نلحق بأنفسنا. المصير هو ما قمنا بتحريكه من تسلسل أحداث وفي النهاية يعود علينا بالنتائج. هذا يجعلنا نستنتج بأن المصير يمكن تغييره. ليس بالضرورة أن يكون المصير ثابت غير متغير. وكان لعلماء اللاهوت الفلكيين القدماء الكثير ليقولونه بهذا الخصوص. أشار بطليموس مثلاً إلى أنه وفقاً لعلم الفلك ليس هناك أي مصير محتوم. ليس هناك طريقة يمكن للقدرية أن تترجم في المجريات البشرية. الأمر الوحيد الذي يمكن أن نسميه قدري هو أنه مجرد ما اقترفنا خطأ سوف نواجه العواقب. إذا لم يكن هناك أخطاء فليس هناك عواقب. الفعل الجيد يجلب عواقب جيدة. بينما الفعل السلبي أو الفاسد أو المدمر يجلب عواقب سيئة. هذا أمر حتمي وثابت. هذا أمر محسوم وما من طريقة لتجنبه. وفي بعض الأحيان يتطلب الأمر حياة بكاملها لتعلم هذه الحقيقة، وقد يتطلب الأمر خمسين حياة متتالية لتعلمها. يمكن أن نعود إلى الحياة مرة بعد مرة نكره المجتمع لأنه لا يحقق أمنياتنا ورغباتنا. لكن في يوم من الأيام سوف نتعلم الدرس البسيط الذي يقول بأن سعادتنا في البيئة التي نولد فيها هي نتيجة وعاقبة وحصاد استقامتنا وتكاملنا الأخلاقي. هذه هي الأشياء المهمة. بعد استيعاب هذه الحقيقة حينها يمكننا أن نرى ما يعنيه المصير بالضبط.

المصير هو حقيقة أن كل إجراء أو عملية موجودة في الطبيعة لها سبب لوجودها. إنها جزء من عملية تكميل أو نزوح نحو الكمال، وبالتالي في غيابها لا يمكن لشيء أن يكتمل. هذا هو النمط الأوّلي بشموليته لوجودنا. ضمن هذا النمط الأوّلي العظيم تكمن طرق حياة صغيرة ولانهائية. ونجد في مملكة الحيوان مثال جيد على العامل الحدسي البسيط الذي يسيطر على الحيوانات ونسميه

الغريزة. نادراً ما تخرق الحيوانات القوانين. هي تفعل ذلك الذي هو حتمي بالنسبة لها. هي تستوفي النمط الأوّلي لأنواعها. وكذلك تفعل النباتات والزهور والأشجار. كافة أشكال الحياة، حتى المعادن والبلورات الصخرية، تستوفي أنماطها الأولية. ومن خلال استيفائها تحافظ على الإيمان بالمبدأ أو المصير المقدر لها. إنه واضح جداً بأن الكائن الحي لا يتدخل فكرياً في مصيره الخاص، حيث الغريزة سوف تقوده تلقائياً في الطريق الذي عليه اتباعه.

الغريزة هي شيء قيم ومهم جداً. والكائنات البشرية لازالت تملكها لكن برواسب قليلة جداً. لم تعد الغريزة مسيطرة في الإنسان. لقد تم الارتقاء بالإنسان إلى مستوى آخر. وهذا المستوى الآخر الذي ينتمي إليه هو الذي جعله ينتمي للإنسانية. الإنسان ليس مجرد حيوان يقف على رجليه، بل هو مخلوق قائم بذاته. خلقته تختلف عن باقي المخلوقات لأنها تحوز على القرار ذاتي عبر وجود العقل. هذا العقل جعل الكائن البشري يمثل فصيلة منفصلة بذاتها. لا ترتبط بأي فصيلة أخرى. هو يمثل مخلوق فريد من نوعه، وذلك لأنه تحول من الغريزة إلى العقلانية. هو بالتالي لم يعد يُقاد من قبل مبادئ ثابتة تعمل عبره. على الإنسان أن يوجه ويستخدم هذه المصادر عبر القرار الواعي. أي بمعنى آخر، أصبح الإنسان فجأة قادراً على تحقيق غموض التطور. لأن عملية التطور تكون مستحيلة إلا في المخلوق الذي يحكم نفسه. المخلوق الذي يعيش كلياً بالغريزة لا يمكنه أن يكون فضيلاً أو رذيلاً، ولا يمكنه استحقاق شيء أفضل أو يستحق شيء أسوأ، هذا لأنه ليس حر. هو مقيّد بالغرائز من داخله والتي لا يستطيع مقاومتها. أما الإنسان، فلم يعد مقيداً بهذه الطريقة. لديه القدرة على استخدام وسوء استخدام مصادر إنسانيته. لديه القدرة على صنع قوانين جيدة أو سيئة. لديه الحق في العيش وفق المبادئ أو الانحراف عن المبادئ. لديه الميزة الداخلية لأن يكون سعيداً. لكن لديه أيضاً المسؤولية التي تجعل منه بائس. بالتالي فالإنسان هو كائن محرض ذاتياً. وخلال تحريضه الذاتي هو يتحرك بالتدريج وبشكل حتمي نحو النمط الأوّلي للكون بذاته، والذي هو أيضاً يعتبر كائن عضوي متحرك هائل، يتحرك وفقاً للقانون بالضبط.

عندما يتوافق الإنسان مع النموذج الذي يجعله قطعة واحدة من عملية الخلق، في اللحظة التي يتناسب فيها مع النموذج بحيث لم يعد هناك اختلاف بين سلوكه الخاص وذلك الذي يعود للنموذج الأعظم، سوف يتوقف الألم والبؤس والمعاناة فوراً ومباشرة. هذه السلبيات الأخيرة هي دائماً نتائج سلوك الإنسان الذي لا يتوافق مع السلوك الحتمي والضروري من أجل تكميل الخطة الإلهية. بعد

التوصل إلى هذا الاستنتاج، يبدأ الإنسان بالتفكير كيف سيحقق هذا التوافق مع الخطة الإلهية. ننظر حولنا وكذلك عبر التاريخ إلى البداية الأولى، فنلاحظ وجود البعض الذين استشعروا هذا السر الغامض، عندما كان الإنسان يعيش متجولاً في الطبيعة، أدركوا بأنهم كانوا يعيشون في منظومة أفضل بكثير من أي منظومة يمكنهم ابتكارها بنفسهم. البنى الأكثر نجاحاً في الطبيعة هي تلك التي بنيت وفقاً للقوانين الطبيعية، وهي مجرد تخصيص ضمن قوانين الطبيعة. الحياة البشرية هي مجرد تخصيص ضمن قانون الطبيعة. وإذا تم تكشف هذا التخصيص بشكل سليم وصحيح فسوف تعيش حينها الإنسانية بسلام وسعادة وفي عالم آمن حتماً. يستطيع حينها الإنسان أن يعيش في سلام كامل بحيث يستطيع حينها أن يتقدم المزيد باتجاه مصادر أرقى والتي لا يستطيع التعامل معها طالما بقي مشغولاً بمشاكل الحياة اليومية. وجب أن يتجاوز تلك المشاكل، لا يمكن تجاهلها هكذا.

خلال نظر الإنسان إلى هذه المشاكل، تتملكه كافة أنواع الوضعيات النفسية بخصوصها. لديه شيء واحد يأمله دائماً، وهو أنه في مكان ما في الطبيعة، يمكن للقوانين العظمى أن تصبح حساسة ورقيقة العاطفة، فتترأف به وتطبطب على رأسه وتقول له يا أيها المسكين سوف نصنع استثناء في حالتك. جميعنا نبحث عن هذا النوع من الأبوية. جميعنا نحاول أن نجد بطريقة ما كيف يمكننا الهروب من عواقب أفعالنا في كون حيث يبدو واضحاً أنه مستحيل. لقد طورنا فلسفات وأفكار تساعدنا على التملص من مسؤولياتنا. نحن لم نقرر أن نكسب طريقنا خارج مشاكلنا، بل نتأمل أن أحداً سوف يلغيها جميعاً ويتركنا نسير بطريقنا بسلام لكن دون ملائمة. لكن الأمر لا يعمل بهذه الطريقة. مهما زادت درجة اقتناعنا بأننا نستطيع خرق القوانين ونبقى رغم ذلك سعداء، فسوف نبقى بؤساء على أي حال. لأننا لا نملك الحس الكافي، عبر الخبرة، لإدراك حقيقة أننا لا نستطيع النجاح في فعل ذلك الذي ترفضه الطبيعة.

لدينا هذا الموضوع الذي يسمونه مصير والذي نعالجه هنا. المصير بالتالي هو الخطة الإلهية كما وصفتها سابقاً. وكما نستطيع إدراكه وفقاً لقدراتنا المحدودة، فإن خطة المصير هي إيصال كل شيء حي إلى حد الكمال. أقصد بالكمال أن كل كائن حيّ، بمستوى أو حالة معينة، سوف يحقق تكشف مئة بالمئة لكوامنه الداخلية. سوف يذهب أبعد ما يمكن في البيئة التي يوجد فيها ووفقاً لما تتطلبه كوامنه الداخلية. داخل كل بيئة يوجد مستوى مختلف من الكوامن. لا يُتوقع من الفرد أن يحقق وضعية مناسبة لمخلوق من بيئة مختلفة. لا يُتوقع منه أن يكون أفضل مما تسمح به البيئة

المحيطة. لكن في كل حالة تثبت البيئة نفسها من خلال حقيقة أن الكائنات الحية، عبر سلوكها التدريجي، تضبط نفسها والبيئة بحيث تحقق غايتها النهائية. سوف تتخرج بشرف إذا لم يكن هناك شيء في سلوكها يتناقض مع البيئة. لا يمكن للإنسان أن يتخرج إلا إذا تعلم الدروس التي تتطلبها هذه البيئة التي هو فيها. هو لا يستطيع تعلم الدرس من خلال النفور منه. لا يمكنه النظر إلى هذا الدرس بصفته صعوبة أو عبئ أو جريمة بحقه أو يعتبره إشارة بأن الله لا يحبه. الحقيقة هي أن الله يحب هذا الإنسان لدرجة أنه أعطاه هذه المشاكل ليواجهها. هو يتوقع من النتيجة النهائية من الإجراء الإلهي للخلق أن الفرد سوف ينجح في تحقيق الاستقامة والتكامل الأخلاقي، ثم يبدأ بالنمو نحو التشابه مع الخطة الإلهية التي يمثل جزء منها.

يدخل القدر مع مساهمة أخرى في هذا الموضوع. الإنسان في الحالة العادية يخلو من إدراك قانون السببية (العلة والمعلول)، حيث يتكلم الكثيرون عنه لكن القليلون يعيشون وفقه أو يمنحونه أي أهمية. لدى قانون السببية علاقة معينة بالسلوك، وعندما يرتكب الفرد خطئ طويل المدى قد يسبب في الوقت نفسه مشكلة قصيرة المدى. نحن نفعل شيء خاطئ ونظن بأن الأمر سيمر بشكل عادي، والسبب الذي يجعلنا نظن بأننا سننجو بفعلتنا هو أننا عرفنا أحدهم قام بارتكاب نفس الخطئ ونجى بفعلته. والشخص الذي اعتقدنا بأنه نجى بفعلته لم نراه في الحقيقة منذ زمن بعيد لكننا مع ذلك نفترض بأنه يعيش بسعادة وهناء. مع أن الحقيقة تفترض بأن القدر قد لحق به وعاقبه. لا أحد يستطيع النجاة من عواقب فعلته. إذا قمت بفعل شيء معين فلا بد من أن يحصل شيء كنتيجة أو ردة فعل. ربما تكون النتيجة سوء حظ، لكن سوء الحظ ليس شيء يحصل بالصدفة، بل وجب أن يمثل جزء من الخطة. في مجرياتها المتنوعة، فإن للطبيعة عدد كبير من الخطط لكننا لا نفهمها. حتى أننا لا نفهم الكثير من المجريات العشوائية في حياتنا اليومية. نحن لا نعرف لماذا وجب أن تكون الأمور كما هي الآن. نحن لا نفهم لماذا وجب أن يكون هناك غياب للعدالة الاجتماعية، أو غيرها من مسائل مشابهة، وما نفعله حيال ذلك هو انتقاد الوضع الراهن أو الشكوى للقادة أو المسؤولين أو غيرها من إجراءات، لكن هذا كله عديم الجدوى، لأن الجواب يكمن في مكان آخر. الجواب هو أن كل هذه الصعوبات التي نراها تبرز نتيجة أحد أشكال الجهل.

يوجد نوعين من الجهل. النوع الأول هو الجهل العام الذي نتشاركه جميعاً، والنوع الثاني هو الجهل المتخصص وهو الذي نتلقاه في التعليم. هذا الجهل الأخير لا يأتينا بشكل طبيعي بل نكتسبه

بواسطة التعليم. هناك جهل من النوع البسيط والذي ينمو لدينا نتيجة رفضنا للتفكير أو يأتي نتيجة التربية الخاطئة حيث ننشأ على قناعات ومعلومات غير صحيحة. كل هذه الأشياء تؤثر في طريقة تفكيرنا. لكن مهما كان الأمر، فإن معظم مشاكلنا هي نتيجة لجهلنا. كل شيء أناني هو جاهل. كل شيء يسعى إلى المصلحة الذاتية على حساب الآخرين هو جاهل. متما فعلنا الأمر بشكل خاطئ فنحن جهلاء. إذا فعلنا الأمر بشكل خاطئ لأننا لا نعرف أي طريقة أفضل فهذا يعتبر جهل بسيط. لكن إذا فعلنا الأمر بشكل خاطئ رغم أننا نعرف طريقة أفضل فهذا يعتبر جهل مركّب. لكن مهما كان الأمر، الفرد الذي يخرق القوانين العامة للاستقامة البشرية هو جاهل، والرذيلة هي إحدى المنتوجات الجانبية للجهل. بالتالي لا يمكن للأمور أن تتغير إلى ما نرغبها أن تكون قبل أن نتغلب على الميل إلى السعي وراء المصالح الدنيوية. نحن لسنا واثقين أي مستوى من الحكمة أو الجهل يدير كل هذا، لكن هناك شيء واحد أكيد وهو أننا منذ آلاف سنين كنا على خطأ. كنا على خطأ في ميولنا الأساسية. كنا مخطئين جداً، حيث منذ عدة آلاف من السنين خضنا عدة آلاف من الحروب. مررنا بإحباطات ونكسات وأنواع مختلفة من الكوارث. مررنا بمراحل عديدة تسودها محاكم التفتيش والمجازر وتدمير الممتلكات وتشريد الملايين. وفي القرن الماضي وحده شهدنا إراقة دماء تفوق ربما كل ما حصل عبر التاريخ البشري. كل هذه الأمور هي شواهد كبيرة على شيء خاطئ بشكل جوهري وهائل. مع تزايد الأخطاء تدريجياً، تزيد قوة العواقب أكثر وأكثر. علينا أن نصحح هذه الأخطاء، ليس هناك فائدة من رفع أيدينا نحو السماء ونهددها بقبضة اليد، ولا هناك فائدة من الافتراض بأن القدر يعادينا ويسير ضدنا، الحقيقة هي أننا سرنا بأنانية وبمركزية النفس ضد القدر ذاته، وهذا لا يمكنه أن يستمر. من السوء معرفة أن الكائن البشري ممنوح عقل لكنه يمتنع عن استخدامه بذكاء. هو يود أن يستخدمه فقط من أجل التقدم بمصالحه الخاصة. هو يود أن يفكر بامتلاكه حياة بحيث يمكنه فيها أن يفعل كل ما يرغبه، ويفكر بأقل قدر ممكن لأن هذا العمل يجهد أعصابه، ويعتمد على زعمائه أو قادته المحليين ليقوموا بالتفكير بالنيابة عنه. هذه إحدى الأخطاء الأعظم في زماننا. لا يمكن للأمر أن يستمر هكذا.

أصبح لدينا إذاً بيئة بحيث ينشأ وسطها الصغار ويغادرها الكبار عبر الموت، والجميع فيها واقع في مشاكل. يبدو الأمر وكأننا منحوسين، أو نظن بأن الكوارث تأتينا بأمر من السماء، أو أن أسبابها فلكية حيث وجود تأثير سلبي للكواكب. لكن مهما كان الأمر، ما تفعله القوى الماورائية، إن كانت من السماء أو من الكواكب، هو أنها تعزز ما نفعله نحن بأنفسنا. هي تدعمنا مهما كان توجهنا،

خاطئ أو صحيح، فالأمر يعتمد على درجة استقامتنا وتكاملنا. ليس هناك حظوظ سيئة بالمعنى العام للكلمة. إنها مجرد دروس قدرية وجب أن نتعلمها. وهي دروس نرفض نحن تعلمها. يمكن لهذه المسألة أن تبدو سيئة وحزينة وغير قابلة للحل إذا استمرينا في الافتراض بأن كامل مجرى تطورنا محدود ضمن نطاق تجسيد واحد في هذا العالم. إذا كانت الحياة الواحدة التي نعيشها هنا الآن تمثل مجموع فرصنا للنمو والإحراز، فهذا يجعلنا في وضعية محزنة فعلياً. هكذا سوف نكون في وضعية مستحيلة. هناك عدد كبير من الأشخاص الذين لم يتعرفوا على درب التنور سوى في الفترة الأخيرة من عمرهم بحيث لم يعد يبقى لديهم وقت لتطبيق ما توصلوا إليه عملياً. لا يمكننا الافتراض بأن المصير يمكن إكماله خلال حياة الفرد والتي تقاس بعدة عقود. الأمر ببساطة هو مستحيل. المصير هو عظيم بمستوى الخليقة ذاتها. تحرك المصير نحو التجسيد قبل خلق منظومتنا الشمسية بمليارات السنين. المصير هو شيء يمتد من الماضي اللانهائي إلى المستقبل اللانهائي. هو شيء كبير جداً بحيث ما من طريقة ممكنة لاستيعابه بالكامل، وبالتالي لا يستطيع الفرد إنجاز حالة تتناسب مع مجريات عديدة، وبعضها ربما لم يتجلى بعد، لذلك سوف يستمر بالنمو لمدة طويلة جداً. لذلك فالمصير هو شيء أكبر بكثير مما يمكننا تصوره.

المصير سوف يبقى المشكلة الكبيرة التي نواجهها. أي علينا أن نستمر في التعلم. الحل الممكن الوحيد هو أنه علينا أن نبدأ بالتفكير على أننا كائنات تعيش إلى الأبد ولا يقتصر وجودنا على عدة عقود من الزمن في هذا العالم. علينا أن نفكر بأنفسنا بصفتنا مخلوقات لديها مصير طويل بما يكفي لإنجاز كمال أنفسنا. هذا الكمال لأنفسنا هو ليس بهدف أن نتخذ لأنفسنا دور قيادي في مخطط الأشياء. كمال أنفسنا يعني بأننا سوف نكون على اتحاد تام مع الغاية الإلهية. بأنه علينا أن نعيش لتحقيق الحقيقة النهائية وليس لتمجيد أنفسنا. لكنه صحيح أيضاً أن هذا العمل يتطلب فرص أكثر للنمو بحيث يستحيل حصرها في حياة واحدة. على المصير أيضاً أن يتدخل لتنظيم هذه العملية بالاعتماد على العلاقات القائمة بين الكائنات الحية والتي في حالة تنوع وتغيير دائم، وذلك بسبب تصرفات البشر ذاتهم. بالتالي إذا صنعنا حرب، ومات فيها آلاف الرجال والنساء والصغار، وتم تدمير القرى والبلدات، يصبح واضحاً أن أولئك الذين اندثروا يكونوا بمعنى معين قد أبعدوا قصراً من العالم وما فيه من فرص للتعلم. لقد تم حرمانهم من حق في حوزة الحياة. الكثير منهم لن يكن لديه فرصة ليكون أب أو أم أو اختبار البلوغ والرشد أو إكمال التعليم أو تحقيق حوزة الحكمة، بينما الذين يبقون على قيد الحياة فالكثير منهم بموت من المجاعة أو يعاني من الأوبئة والأمراض. بالتالي على

الطبيعة أن تدرك الحقيقة البسيطة التي تقول بأنه في النموذج الأكبر للأشياء لا أحد محروم من شيء. بالتالي فإن الشخص الذي يكون محروم ظاهرياً فهو محروم بسبب أنانيتنا التي لحسن الحظ لا تستطيع أن تطال الشخص الآخر في حقيقة الأمر. قد نبذل جهد كبير لندمر الشخص، لكن كل ما نفعله في الحقيقة هو أننا ندمر أنفسنا. حياة هذا الشخص الآخر سوف تستمر عبر الحيوات المتتالية وسوف تنجز الكمال، وبكل تأكيد سوف تختبر ذاك الذي حرمناه منه في التجسيد الحالي في الحياة. الموت لا يمثل نهاية الفرد بل مرحلة انتقالية من حياة إلى حياة. هذا يعني أنه سوف يختر كل شيء مقدر له اختباره، والموت لا يمثل أي عقبة في العملية.

الطبيعة هي مدرسة كبيرة. أفضل ما يمكننا قوله هو أن أيامنا هنا في الحياة هي في الحقيقة أيام نقضيها في مدرسة. كل تجسيد لنا في هذا العالم هو عبارة عن صف من صفوف هذه المدرسة. لاحقاً سوف ندخل إلى جامعة الأزلي. سوف نستمر في التعليم حتى نتعلم كلياً. والبرهان على تعليمنا هو أننا قد أكملنا استقامتنا ونزاهتنا وأكملنا مستوى قيمنا الأخلاقية. لن يوقفنا شيء في هذه المسيرة. لكن بسبب المدى القصير للإدراك لدينا، والجدران العازلة التي تفصل بين التجسيدات المتسلسلة، حيث الأشياء تختفي هنا ثم تظهر هناك، هذا يجعلنا نميل إلى البحث عن العدالة في كل ظهور منفصل وليس في مجموعها. نحن في الحقيقة لا نوجه انتباهنا سوى إلى جزء صغير من شيء كبير جداً. لهذا السبب نجد أن هذا الجزء الصغير يبدو ظاهرياً بأنه غير صادق، يبدو لئيم وقاسي، يبدو غير لطيف وغير عادل وغير عقلاني. لكن سبب ذلك كله هو لأننا لا نرى سوى الجزء الصغير فقط. في الصورة الكبرى للأشياء لا يمكن أن نجد عدم الصدق ولا أخطاء، كل شيء يعمل معاً لتحقيق الخير النهائي لكل شيء حي. السماء هي التي قررت هذه الأمور وما على الإنسان سوى القبول بها.

كلما بلغ الإنسان، وكذلك كلما بلغت الإنسانية، سوق يكسب المزيد من عمق النظر في ما يتقبله. قبل آلاف السنين كان هناك أشخاص متنورين. كانوا أقلية. بعضهم كانوا قادة عرقنا البشري والبعض الآخر كانوا معلمون من عوالم أخرى. لقد تأسست أنظمة عظيمة، أهمها كانت منظومة المدارس السرية. كانت هذه الأخيرة عبارة عن مؤسسات أنشئت تحت وصاية أو رعاية آلهة معينة أو حكماء أو مستبصرين أو متصوفين. هدفها الأول كان التنوير وإحراز التنور. هذه الأنظمة المختلفة حازت على المفتاح الصحيح للمشكلة. وقد قبلت إلى مجموعاتها أولئك الذي كان لديهم الرغبة الصادقة في

التعاون مع الغاية الإلهية للأشياء. كان هناك دائماً البعض الذين أدركوا الحقيقة بوضوح، لكن عددهم كان قليل بالمقارنة مع مجموع البشرية. وأولئك الذين حازوا على الحقيقة وحاولوا نشرها والدعوى إليها كانوا يلاحقون ويقمعون على الأغلب. الفرد الذي يكون محكوم بطموحاته ومهووس بالثراء والمجد سوف ينقلب بكل تأكيد على أي شخص أو أي منظومة تهدد تفوقه أو أمانه. بالتالي معظم المعلمين الأصليين للإنسانية تعرضوا للملاحقة والقتل أو السخرية ولبس العار، وأنظمتهم قد تم إفسادها وتحريفها إذا نجت من الدمار. لذلك كان هناك مجهود حثيث عبر التاريخ لإعاقة وإلغاء ذلك النوع من التفكير الذي يحرر الفرد من طغيان الجهل وسطوته. في بعض الحالات عبر التاريخ نجد أن هذا التفكير نجح بطريقة معينة لكن لم يدم طويلاً. اليوم هناك أشخاص عقلانيون يظهرون هنا وهناك محاولين إيجاد حلول لبعض المشاكل المستعصية. إنهم يتوقون إلى العيش بشكل أفضل ويحاولون جاهدين لذلك. وفي الوقت الذي يُبذل فيه هذا المجهود سوف يحصل تغيير مميز في التركيبة الاجتماعية للكائن البشري. اليوم يشهد تشديد كبير على محاولة إيجاد حلول عملية وذلك أكثر من الألف سنة السابقة. هذا لأن المشكلة أصبحت سيئة جداً. لقد طغى الشر علينا. فبدأنا نتسائل كيف يمكننا تغيير أنفسنا لكي يتغير مصيرنا. هذا هو الجواب، من خلال تغيير أنفسنا سوف نغير كل شيء. لا يمكن أن تأتي نتيجة جديدة إذا لم يتغير السبب. وإذا كان هناك سبب قديم لا يمكن تبديله، سوف يقوم نمط جديد للتفكير بتحويل ذلك السبب القديم إلى فرصة للإرتقاء الروحي بدلاً من كونه عقوبة إلهية.

إذاً، عبر النموذج الطويل من التجسيدات المتكررة أصبح الجواب بحوزتنا. يصبح بإمكاننا إدراك حقيقة القدر. لم يعد القدر يمثل حدث شرير أو شيء يدخل إلى حياتنا في زمن النجاح لينحسنا، أو شيء يدخل إلى حياتنا في زمن السلطة ليقطع بنا ويذلنا،.. وغيره. كل هذه الأمور يصعب فهمها لكنها مرتبطة جميعاً ببعضها البعض ضمن نطاق مفهوم معين، ضمن إدراك واعي عظيم جداً بحيث يعجز العقل البشري عن استيعابه بشكل كلي. نحن لا نستطيع رؤية تفاعل ملايين القوى أو الذبذبات اللانهائية المنبعثة من عدد غير محدود من الذرات الدقيقة. في كل مكان تتحرك الحياة وتنشط، ومع هذا التحرك نجد في كل مكان تكشّف قانون أبدي يتجلى وينمو كما البذرة التي تنمو في الأرض. كل نبتة تمثل شهادة رائعة على وجود غاية إلهية. وعندما نعتبر كافة الحقول والمروج في الأرض، وكل منها يحوز على نباتاته الخاصة، نبدأ أن ندرك ولو قليلاً مدى التنوع اللانهائي

للحياة. هذا التنوع اللانهائي للحياة هو ليس مجموعة من الصدف العشوائية، بل تكشّف واسع ومتنوع لمبدأ واحد أساسي وسوف يستمر بالتكشّف إلى نهاية الزمن.

إنه شيء علينا أن نزيد إطلاعنا عليه ونوسع معرفتنا به وتوجيه انتباهنا نحوه. هو شيء علينا اكتشافه وفق طرقنا الخاصة. لا يمكننا أن نجد كل الأجوبة في البداية، لكن سوف نكتفي ولو بجواب واحد، وهذا الجواب الواحد سوف يشير إلى الآخر، وبالتدريج، ربما عبر عدة حيوات متتالية، سوف نبدأ بالإجابة على أسئلة أكثر مما كنا نسألها. لأننا نكون قد حصلنا على الكثير من الأجوبة على أسئلة تبدو الآن غير قابلة للفهم أو الإجابة. في كل مكان نجد إمكانيات لانهائية داخل الإنسان. ليس هناك شيء في الفضاء ولم يكن موجوداً داخل الإنسان. وتكشّف الإنسانية هو غامض ورائع ومذهل بقدر ما هو تكشف الكون ذاته. لا بد أن تأتي تلك النهاية المجيدة. ربما لا نستطيع إيجاد الكلمات الصحيحة لنقول لماذا بدأت كل هذه العملية منذ البداية. من الصعب تفسير أو تبرير بعض المبادئ القائمة في الوجود، لأننا لا نتمتع بالذكاء الكافي للقيام بذلك.

والآن يدخل شيء آخر إلى هذا النموذج، وهذا الشيء الآخر هو الإيمان. هناك أشياء بخصوص الغاية الأبدية والتي لا يمكننا معرفتها في هذا الوقت. لذلك علينا أن نتحلى بالإيمان، والذي هو بالفعل الإعتراف بأشياء غير مرئية. لكن الإيمان هو أكثر من ذلك بكثير. الإيمان هو اكتساب الفرد للثقة فيما يتعلق بالمجهول وذلك من خلال اكتساب فهم بخصوص المعروف. الإيمان هو الإدراك التدريجي للتكامل الكوني للخطة. إذا كانت الخطة صحيحة فهذا يمنح الفرد الحق في الإيمان بها. إذا استطاع الإنسان أن يقنع نفسه بأنه مخلوق له غاية وليس مجرد منتوج بيولوجي نشأ بالصدفة، إذا استطاع الإنسان أن يدرك حقيقة أن الكرة الأرضية والحياة والموت والولادة من جديد هي جميعاً حقائق عظمى للوجود، حينها وبشكل تدريجي سوف يقوى الإيمان. أينما يوجد دلائل على انتصار الفضيلة على الرذيلة سوف يقوى الإيمان. أينما نرى غاية مكرسة إلهياً ويتم دعمها نعرف حينها أن الإيمان قد زاد. يأتي الإيمان كدليل حتمي على أشياء صغيرة لاحظناها ويمكننا ملاحظتها، والتي تمنحنا الإحساس بالشكر، وإدراك بأنه بطريقة مذهلة نحن مخلوقات محمية. رغم أننا لا نعرف كل شيء، لكن ما نعرفه يقول لنا بأن ما لا نعرفه هو خيّر. يقول لنا بأن كافة الأشياء هي صحيحة بجوهرها. عندما نفهم ما لا نفهمه سوف نكتشف بأنه جميل وفاضل. سوف لن نتوصل أبداً إلى

الاعتقاد بأن الخطة الكونية فيها شرّ من أي نوع. سوف لن ننخدع بفكرة أن الشرّ يبرز من غايات راسخة بل الشرّ كما يبدو عليه هو مجرد ردة فعل للجهل أو الخرافة أو الخوف.

لقد قام كل من الجهل والخرافة بإرهاق العرق البشري إلى الأبد. والخوف جعلنا ضحايا كل أنواع الطغيان والاستبداد التي يمكن تصورها. مع أن كل هذه الأشياء هي أوهام. الوهم هو الشرير. بينما الخير هو الواقع الحقيقي. نحن لا نستطيع إحداث تعديل في هكذا مفهوم واسع جداً، لذلك نحن غير مضطرين الآن. إذا بدأنا بتقبل حقيقة أننا وكلاء مسؤولين وأننا نمثل جزء من شيء، وأننا نعيش في كون بحيث لدينا دور لنلعبه، وأننا نعيش على كوكب يمكننا المساعدة في إنقاذه، ونعيش في مجتمعات ونستطيع توجيهها بطرق أفضل. نحن محاطين بمشاكل من صنعنا ولدينا الحق في حلها. لدينا الحق في فعل ما هو ضروري لتصحيح الأخطاء التي اقترفناها وتلك التي ورثناها من أسلافنا. ليس هناك أي أقدار محتومة في النجوم والأفلاك ولا أقدار محتومة في الظروف كما هي. أي شيء بحاجة إلى تغيير يمكن تغييره، لكن فقط إذا كان الفرد بنفسه يدرك مسؤولياته، وينوي التعاون من مستوى أخلاق أرقى من تلك التي أوقعته في أزمته.

الكون إذاً مهتم في إنتاج الخلق الأخلاقي. هو مهتم في إنتاج كون من القيم. هو مهتم في الكمال التدريجي لكل أشكال الحياة، فترتقي إلى مستويات لا يمكن لعلماء الفلك والفضاء إدراكه أبداً. علم الفلك اليوم يسعى إلى التمدد في مساحات واسعة من الفضاء. هو يتوصل إلى اكتشاف مجرات لم نعرف سابقاً أنها موجودة. إذا ابتكرنا تلسكوبات أكبر أو أقوى من الموجودة الآن ربما سنستمر في تلقي المزيد والمزيد من النجوم، ورما نتوصل في النهاية إلى آخر المطاف. وعندما نصل هناك قد نحتفل بانتصارنا من خلال هذا الانجاز، لكن بعد أن ننجح في تطوير تلسكوبات أقوى سوف نكتشف بأن ما توصلنا إليه هو مجرد واحد من عدد لا نهائي من مسارح الوجود وهي شاسعة جداً لدرجة نعجز عن استيعابها. هذا كله ولازلنا في المستوى المادي الملموس من الوجود، فما بالك ما يقبع وراءه. ما هي تلك الخلفية أو الأرضية التي تسند الفضاء بكامله؟ ماذا يكمن ماوراء كل هذا؟ ماذا يقبع وراء الضخامة والشساعة الهائلتين للوجود المادي؟ ينخرط العلم في محاولة حثيثة في هذا التوجه لكن ما من إجابات شافية بعد. ليس هناك جواب على السبب الذي يكمن وراء تلك الأضواء التي تنير سمائنا. يمكننا تعداد مليارات النجوم، لكن لماذا هي هناك؟ كيف وصلت إلى مكانها واتخذت وضعياتها الحالية؟ ما هو السبب وراءها؟

كان القدماء يعتقدون بأن السماء المنقطة بالنجوم هي ليست سوى عباءة منقشة بالجواهر والتي تخفي الطبيعة والآلية الحقيقيتين للامتناهي. وأن اللامتناهي هو ليس مجرد لانهائية للنجوم والشموس والأقمار، ولا هو الميكروبات والكائنات المجهرية اللانهائية، بل اللامتناهي هو واقع هائل وعظيم يتجاوز قدرتنا على الإدراك. نحن لازلنا نتحدث عن ما نراه بعيوننا فما بالك ذلك الموقع الماورائي الذي لا يمكننا تصوره حتى. لكن السؤال يبقى حاضراً: ما هو ذلك الشيء الذي انبعثت منه كل هذه العوالم الهائلة؟ ما هو ذلك النور الذي يستطيع إنارة مئة مليار شمس؟ نحن لا نعلم. لكننا نستشعر بأن مصيرنا يذهب إلى ذلك الاتجاه. عندما ننمو فوق الصغر الذي نألفه لدينا، ونسيطر على المصير الذي نستحقه، سوف نكون في النهاية جزء من هذه الحياة التي تسيّر مئة مليار مجرة وتفعمها بالطاقة والنور. نحن متوجهون إلى شساعة ذات رحابة لانهائية ولا يمكن الإشارة إليها سوى بالأبدية ذاتها. هذه الأبدية ليست مظلمة، هي ليست ميتة، بل هي واحدة مع الحياة الخالدة ذاتها.

في كل ما نفعله نكون بذلك في حالة نمو نحو شيء ما. ربما في يوم من الأيام سوف نصبح بستانيين في حديقة من المجرات. في وقت من الأوقات قد ينفجر الذكاء والنور والحياة، التي تنمو تدريجياً بداخلنا، فتنطلق وتتحول إلى مئة مليون شمس. نحن لا نعلم. لكننا نتوقع بشدة بأنه حتى الذرة الصغيرة تحوي بداخلها نبوءة الحياة الأبدية. نحن نؤمن بهذه الاشياء، لكن عندما ننخرط في معالجتها من الناحية الدينية والفلسفية نواجه مشاكل، والسبب ببساطة هو أننا عاجزين عن فهم هذا المشهد الهائل واللامحدود. فهو يتجاوز كل ما نعرفه ونؤمن به. لكن رغم ذلك علينا التماشي مع الفكرة على طريقتنا الخاصة. علينا أن نجد فيها الجواب على منظورنا الأوسع للموضوع. النور العظيم والغاية العظيمة والخطة العظيمة التي نحن منها سوف تستمر قدماً لتكون جزء من هذا الغموض الأكبر. لذلك فإن للإنسان مستقبل أزلي. كما أن لدينا ماضي أزلي. لكن العقود الأخيرة من ماضينا الدنيوي ليست مشجعة كثيراً.

نحن لا نعرف من أين جئنا كمحتوى، لكننا نعلم بأننا جئنا إلى هنا ولسنا عراة ومجردين بل موهوبين بمزايا وخصائص وقوى وفضائل وقيم، وهي أكثر بكثير مما ندركه. نستطيع أن نستنتج بأن لنا بداية في مكان ما ونهاية في مكان ما. في الوقت الآني سوف نصبح خدام أوفياء هنا إذا كنا حكماء. وإذا كنا غير ذلك فنحن في مشكلة. يبدو أن هذا هو عبئ معضلتنا الحالية. نحن بكل بساطة في مشكلة، وذلك لأننا لا نتخذ وجهة نظر دينية وفلسفية وعلمية وأخلاقية بخصوص الوقائع العامة

للحياة. قد تتحدث مع أحدهم أصابه الإفلاس فتجده يشعر بأن القدر ضده، ويشعر بأنه ضحية كارثة معينة، أو قد يقول: *".. لماذا يحصل هذا معي تحديداً في الوقت الذي تسير أمور الأشخاص السيئين بشكل جيد؟.."*. هناك الكثير من الدراسات التي أجريت بخصوص مشكلة الفشل في الأمور وتبين أن معظم الحالات الخاضعة للدراسة تكشف عن حقيقة أن كل حالة فشل مسؤولة عن فشلها بغض النظر عن أي عامل آخر.

هناك نوعين من الفشل فقط. الأول هو الفشل الذي يبرز من العجز عن فهم المشكلة أو المهنة أو الاختصاص أو الوظيفة أو غيرها. أما النوع الثاني فهو نتيجة المجهود غير النزيه الهادف إلى استغلال المهنة الشريفة أو الوظيفة الشريفة.. إلى آخره. أي بمعنى آخر، يكون الفشل إما لأن الشخص غير مدرّب وبالتالي غير قادر على تنفيذ العمل الموكل إليه، أو بعد أن أنهى التدريب بنجاح قرر أن يستغل العمل لكسب مربح لنفسه. كلا هاتين الحالتين موجدتان بشكل شائع. نحاول التغلب على السبب الأول عبر التعليم. لكن كيف علينا تعليم الفرد قبل أن نعطيه سبب مقنع لنجعله يتعلم أصلاً؟ الكثيرون اليوم لا ريدون أن يتعلموا. قد يخضعوا لتأثير ضاغط ويقبلوا التعليم، لكن ما يريدونه في الحقيقة هو الاستمرار في العيش بظل نظام خيري بحيث يستطيع الفرد أن يحصل على أي شيء يريده دون حاجة للعمل. هذه هي الفكرة الحقيقية وراء يوطوبيا أو المدينة الفاضلة. يوطوبيا تعني الكسل والتكاسل. يوطوبيا تعني الفرد الذي ليس مهتماً بالكد والعمل. يمكننا القول بأننا نستطيع الإثبات من خلال حضارتنا الحالية بأنه يبدو أن الأشخاص الذين لا يحبون العمل والعابثون ينجحون بشكل جيد. لكن انتظروا وراقبوا ماذا يحصل. ادرسوا السجلات. اذهب إلى عالم نفس يتعامل مع هكذا أشخاص وسوف تجد بأن كل من هؤلاء يمثل مصدر مشاكله. نحن لا نود إثبات هذه الحقيقة طبعاً لكنه أمر صحي أن نثبته. الشخص الذي يتمتع بوجهة نظر فلسفية أو قناعة دينية سوف يدرك هذه الحقيقة بسهولة. هذا لا يعني بأنه علينا أن نعلق رؤوسنا خجلاً إذا كنا نكسب المال دون عمل، بل يعني أنه علينا البحث داخل أنفسنا عن أسباب المشكلة التي نعاني منها. وسوف نكتشف بداخلنا وجود شيء نفعله بشكل خاطئ والذي يجلب هذا المصير البائس لنا. هناك شيء نريده لكن ليس علينا حوزته. هناك شيء نرغبه لكنه ليس لصالحنا. نحن لا نمتلك الشجاعة بعد لكي نفعل ما هو أفضل لنا.

هناك الكثير من الناس والذين يعتبرون أذكياء وهم متعلمين وناجحين في حياتهم لكنهم لم يكتشفوا بعد بأن إدمان الكحول هو خطير ومؤذي. إذا حاول أحدهم أن يلغي الكحول من حياة الناس فسوف يعتبرونه مستبد وطاغية، لأن كل فرد له الحق في الشرب حتى الموت إذا أراد. لكن لسوء الحظ هو لا يكتفي بأذية نفسه في معظم الأوقات بل غالباً ما يصنع المدمنون حوادث في الطرقات ويقتلون أشخاص أبرياء. هذا ولم نتكلم عن المشاكل التي تتولد في صحته وحياته الاجتماعية حتى تتدهور حالته بالكامل فيفشل كل شيء مهم في حياته. لكنك رغم ذلك لا تستطيع منعه. هذا مجرد مثال واحد على الكثير من العادات السيئة التي تسيطر على الإنسان وتسيء إليه. هناك ما هو أسوأ من الإدمان، مثل الغيرة والحسد. هذه السمة هي مماثلة من حيث الخطر والأذى. رغم ذلك لا يوجد أي مجهود لتغيير هذه السمة. يشعر الفرد بأن لديه الحق في الغيرة. هو لا يعرف ماذا تفعل هذه السمة بشخصيته ولا حتى يعرف كم هي مسيئة لحياته الأخلاقية كما هو الكحول لحياته الجسدية. لكن من الصعب جداً تغييرها. السمة الأكثر سوء هي الأنانية. والأنانية هي موحشة كما القبر. الأنانية هي سبب بؤس آلاف وحتى ملايين الناس، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون التغيير. الطريقة الوحيدة التي يمكنهم خلالها التغيير هو أن يبدؤا التفكير حول مسؤولياتهم تجاه المجتمع. يمكننا أن نستعرض أمام الشخص كيف تنتج الأنانية أو الطمع أو الغيرة البؤس لصاحبها. وبعضهم قد يفطن لخطأه فيشفى من آفته النفسية ويتغير. وفي اللحظة التي يصححون فيها هذا العيب سوف يكتشفون بأن القدر والمصير لم يعودا يثقلاهم بعواقب العيب الذي صححوه.

يوجد شيء آخر يقلق بعض الناس وهو أنه بعد السيطرة على عيب معين، ويكون قد حقق انتصار فعلي، يكون الفرد قد تغلب على أحد الوحوش بداخله، لكن عندما يأتي الموت يغادر بنفسية مرتاحة، لكن السؤال هو ماذا يحصل بعد ذلك؟ هل سوف يتجلى لديه العيب نفسه في حياته الأخرى؟ هل عليه مصارعة هذا العيب مرة أخرى؟ الحواب هو لا. مجرّد أن تم تصحيح العيب فسوف لن يعود. العيب الذي تم تصحيحه من خلال النمو فوقه، أي من خلال أن يصبح الفرد أكثر مما كان في السابق، سوف لن يسمح له هذا أن يكون أقل مما هو عليه. لا يمكن أن يواجه الفرد دين مستحق عليه مرتين، إلا إذا فشل في سداد الدين. المجهود الهادف إلى تجنب العيب وليس معالجته سوف يجعله يعود مئات المرات وسوف يستمر في العودة إليه حتى يواجهه ويعالجه بالطريقة المناسبة. العيب لا يمكنه أن يثقل الفرد سوى مرة واحدة فقط، والسبب هو أن الفرد لا يستطيع إلغائه تماماً من حياته إلا عبر النمو فوقه فيرتقي فوق مستواه ويكمل المسير. والنمو يجعله مستحيل على الفرد

التراجع إلى الوراء. مجرد أن تجاوز العيب فسوف يكون هذا نهائي. قد يكون هناك عيوب أخرى تتطلب المعالجة، لكن هذا العيب بالذات لن يعود أبداً. لذلك علينا أن نحقق انتصار واحد على مشكلة معينة، وتلك المشكلة سوف تزول إلى الأبد.

ها نحن نخوض في الحياة كافة أنواع المواقف والحالات والأوضاع المختلفة. ها نحن نتسائل من أين جئنا ولماذا نحن هنا. ومع ذلك نشاهد نشرات الأخبار ونرى كل تلك المشاكل التي تسود العالم، ونعرف ما الخطأ ونعرف كيف وجب معالجته. كل شخص تقريباً يستمع إلى الأخبار يستطيع تقديم نصيحة معينة حول كيفية تصحيح المشكلة. ننظر إلى الأسباب ونجد الأنانية والطمع وعدم التسامح والغباء وغيرها من سمات مسيئة تنشط بقوة في كافة أنحاء العالم. نحن نعرف هذه الحقيقة، لكننا لا نستطيع تغيير الأمور في مناطق بعيدة عنا في العالم. لكن يمكننا الاكتفاء بالنظر إلى هذه السمات السيئة الكامنة في أنفسنا. نحن نستطيع أن نضمن عدم نشاط هذه السمات السيئة داخلنا وهذا يكفي. وجب أن نفهم معنى وقيمة التكامل الأخلاقي داخل أنفسنا. لا نستطيع إعلان السلام في العالم، لكن يمكننا خلق السلام مع المحيطين بنا والأقرب إلينا. لا نستطيع التأثير على الآخرين ونغير فلسفتهم في الحياة، لكن يمكننا عيش حياتنا الخاصة محترسين ضد الأخطاء والانحرافات.

إذاً، من العالم المحيط بنا، عبر الأخبار والقصص الحقيقية، ندرك كيف تتكون المصائر. سوف نكتشف بأن الذين يفسدون الآخرين سوف يفسدون أنفسهم في النهاية. الذين يعيشون بواسطة السيف سوف يموتون بواسطة السيف. بعد معرفة هذه الأمور ومن ثم نبدأ بالعيش وفق هذه الحقيقة نكون بذلك محققين لمصيرنا. والمصير يقول لنا الحكمة التالية: مهما فعل الآخرون أو مهما تصرفوا، الشخص العادل والمستقيم يقف شامخاً وبثبات أمام القانون. وعبر عدالة تكامله الأخلاقي يكسب الشجاعة لمواجهة المستقبل بأمل كبير. من خلال عدالة حياته يصبح على إدراك متزايد بمجد وشرف العدالة الإلهية. وسوف يكتشف أيضاً بأن العدالة هي على الأغلب مجرد قناع. حتى العدالة الإلهية هي نوع من القناع. لكن خلف قناع العدالة تقبع الرحمة. إنها الرحمة دائماً. الخطة الأبدية هي رحيمة لأنها تحمي على المدى الطويل كافة الأشياء الخيرة. هي رحيمة ومحبة دائماً لأنها لا تسمح للكره أن يدمر أي شيء. قد تعاني الأشياء لكن الكره سوف يموت في النهاية. الأفراد الذين لازالوا يكرهون الآن سوف يتوصلوا في النهاية إلى كمال المحبة والتفهم والنزاهة.

نحن إذاً نعيش في عالم من المبادئ العظمى، ومصيرنا هو الكمال. مصيرنا هو معرفة الأبوية الإلهية وأخوية الإنسانية. وعيش كل الأشيء بسلام. هذا هو المصير. وسوف نستمر في ركل الحجر حتى ندرك هذه الحقيقة ونسلم بها. وبعدها، مع سعينا إلى تسوية علاقتنا مع المصير سوف نكتشف بأن القدر صار أكثر خيراً وإحساناً ويصبح حسن الحظ أكثر شيوعاً. في الحقيقة ليس هناك أي إمكانية لحسن الحظ بعيداً عن الحياة النبيلة. كل ما يبدو معاكساً لهذه الحقيقة هو وهم. مع هذا النوع من الأفكار يمكننا تكوين فكرة عن عظمة الخطة التي تتجاوز مستوى تفكيرنا واستيعابنا. نحن لسنا مضطرين إلى فهمها، حيث الطفل ليس مضطراً لمعرفة كيف اكتسب والديه الحكمة، لكن الطفل يكتفي بالإيمان. ولأن الوالدين يحبان الطفل وهذا الآخير يحب والديه فهذا يصنع مشاركة وجدانية بينهم. بهذه الطريقة الوجدانية يمكننا أن نكون خدام أوفياء لمصيرنا. وكمكافئة على ذلك سوف نتمتع بالعلاقة الأكثر روعة مع الحياة، وعندما تصبح الأمور صعبة قليلاً سوف نلجأ إلى الإيمان وما يقدمه لنا من مواساة ويطمئننا بأن كل شيء سوف يتحسن في النهاية. إذا كنا نستطيع العيش بهذه الطريقة ووفق هذه المبادئ وبهذا المستوى الراقي من الوعي أعتقد بأن أشياء كثيرة سوف يتم حلها في حياة كل فرد منا.

سبب المعاناة والطريق إلى إزالته



قبل حوالي ألفين وخمس مئة سنة ظهرت الفلسفة البوذية وتمحورت حول أمير هندي شاب تخلى عن العالم وتخلى عن عرشه بهدف أن يصبح فيلسوف. الغاية وراء سلوكه هي واضحة، كانت الهند غارقة في المشاكل، ساد الخصام والقتال والحروب في كل مكان في البلاد، كما سادت الغيرة بين الحكام. والديانة الهندوسية التي ولد فيها الأمير الشاب كانت تعاني من سلسلة انحرافات وتشوهات في الممارسة، حيث أتباع هذه الديانة الأوفياء كانوا مهملين ومتجاهلين وملاحقين، والطموحات الدنيوية تصاعدت بشكل مخيف. وسط هذه الحالة الطارئة أصبح الأمير "سيدهارتا" مقتنعاً بأنه لا بد من أن يكون هناك طريقة صائبة وسليمة للعيش. وبسبب الظروف المشابهة التي نحن فيها اليوم، يبدو أن أفكاره وفلسفته لازالت تحوز على قيمة واهتمام خاصين بالنسبة لنا. عندما ننظر إلى تعاليمه بطريقة معينة سوف يبدو لنا أن هذا الأمير هو معاصراً لنا في نفس الزمان. كان يواجه نفس المشاكل وقاربها بالطريقة الأعمق فكرياً، وهي طريقة يمكنها أن تأسر أو تؤثر على قسم كبير من التفكير الحديث، هذا لو منحوها فرصة لتفعل ذلك.

من خلال دراسة حالة الإنسان، بدأ الأمير "سيدهارتا" ينمي سلسلة من الحلول الداخلية للمشاكل ومستندة على مفهوم واحد وبسيط، وهو تعريفه للإله الأعلى أو مناقشة موضوعه. قال: *".. إذا كان الله لا يمنع الشرّ فهو ليس خيّر.. وإذا عجز الله عن منع الشرّ فهو ليس الله.."*. وجب أن يقوم شيء ما بتفسير حالة العالم الراهنة، دون إلقاء اللوم على قوى وعوامل ماورائية غامضة تسكن في الفراغ من حولنا. كان لدى "بوذا" (وهو الاسم الذي حمله الأمير فيما بعد) المفهوم القائل بأنه ضرورياً بالنسبة للكائن البشري أن يعيد تنظيم مفاهيمه المتعلقة بالحياة. عليه في يوم من الأيام أن يواجه مشاكل مصيره الخاص بنفسه، بدلاً من تركها للآخرين أو للأجيال المستقبلية أو بالاعتماد على أزمنة سابقة. على كل شخص أن يعمل على خلاصه باجتهاد ومثابرة. بسبب هذا التوجه الفكري، افترض الكثير من الآسيويين وكذلك الرهبان المبشرين من الغرب (وكافة الديانات السماوية) بأن "بوذا" كان ملحد، لأنه لم يتبع الصيغة التقليدية التي تحمل الأعباء على الرب. شعر "بوذا" بأنه حان الوقت لكي واجه الإنسان نفسه، وبهذا كان بكل تأكيد على حق، لكن مر وقت طويل قبل أن يدرك العالم ما كان يعنيه. حتى اليوم، لازال هناك القلائل الذين قدروا قيمة الأفكار التي قدمتها الفلسفة البوذية للعالم.

تقدم "بوذا" بما سماها "الحقائق العظيمة الأربعة". وهذه الحقائق الأربعة أو الوقائع الأربعة هي: [١] مشكلة أو سبب المعاناة، [٢] طبيعة المعاناة، [٣] نهاية المعاناة، [٤] الطريق إلى إيجاد نهاية المعاناة. بالنسبة إلى "بوذا" فإن العبئ الأثقل للعالم هو الألم، لكن ليس فقط الألم الجسدي، بل الألم الروحي والألم الأخلاقي والألم العقلي والألم العاطفي. المعاناة، العبئ الثقيل على كل ما ولد إلى العالم، وهذا النقيض الغريب الذي يقحم نفسه في كل لحظة من حياة الإنسان، في لحظة الفرح الكبير يكون الألم قريب، في لحظة النجاح الكبير يكون الفشل قريب. لماذا على الإنسان أن يواجه المعاناة بأي من أنواعها طوال فترة حياته؟ أعتقد بأن "بوذا" سوف يجيب على هذا السؤال بالطريقة التالية: الكائن البشري لم يتعلم مسبقاً كيف يمنع المعاناة، لقد منح طرق عديدة لتجاوز المعاناة إذا أمكن، وغالباً ما تكون العملية غير مجدية. هو لم يدرك حقيقة أن المعاناة هي عبارة عن دليل. هي لا تدل على حقيقة أن الإله الأعلى يكرهه، ولا هي تدل على استبدادات الطبيعة. بالنسبة إلى "بوذا" فإن المعانات هي دلالة على جهل الإنسان.

الإنسان هو سبب معاناته، إن كان على المستوى الجماعي أو على المستوى الفردي، وإنه من الضروري بالنسبة له تصحيح هذا السبب إذا كان عليه تحرير العالم من الألم والبؤس. المعاناة الكبرى هي الحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية،.. أما المعاناة الصغرى فهي الألم الجسدي، الأرق العاطفي، الأسرة المفككة، سوء معاملة الأطفال، الفقر، المرض،.. كل هذه هي أشكال مختلفة من المعاناة، وجميعها تبرز في الإنسان نفسه. إذا كرس الإنسان الوقت الكافي لإيجاد حلول لمشاكله الداخلية كما كرس وقته للتوسع والتقدم في بيئته المادية، لكانت حالته أفضل بكثير مما هو عليه الآن.

نحن نستكشف الفضاء ونرسل المركبات إلى هناك، ولدينا كل أنواع المختبرات ونتعامل مع المواد الكيماوية وأجهزة القياس الإلكترونية المختلفة، ونبتكر الكمبيوترات والدارات الإلكترونية والمحركات والآلات والماكينات،... لكن رغم ذلك كله تستمر المعاناة دون توقف. هذا لأن الفرد لم يتلقى أي تعليم بخصوص أسرار طبيعته الحقيقية. لم يُمنح الشجاعة لتصحيح الأخطاء في سلوكه وتصرفاته. بالرغم من أن "بوذا" عاش قبل فترة طويلة لكن سبقت مجيئه فترة طويلة أيضاً. وقد كسب من الماضي الكثير من التعاليم ومصادر الإلهام، أي كما نفعل نحن الآن إذا كنا متفكرين. أدرك بأن الظروف استمرت طويلاً مستندة على قناعة بسيطة عند الناس، وهي أن مها حصل لا بد من أن يحصل. وقد لا يكون هناك أي سبب لحصول ما حصل. هذا المنهج الفكري يقول: إذا ظهر طاغية فهذا أمر مؤسف، لكن لطالما كان هناك طغيان. الحروب تحصل وهذا أمر حزين، لكن لطالما كان هناك حروب.

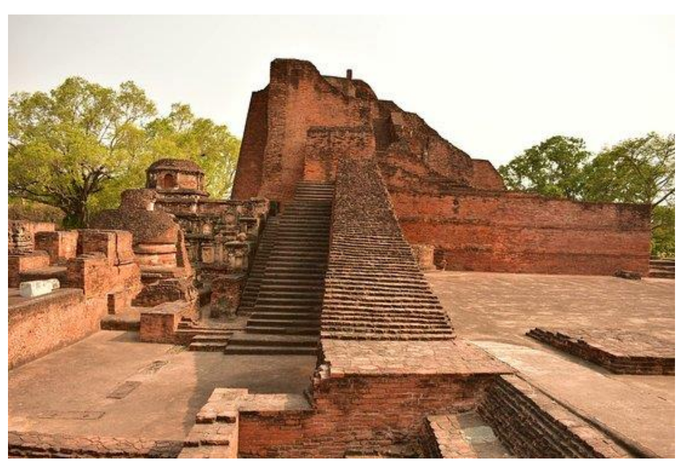
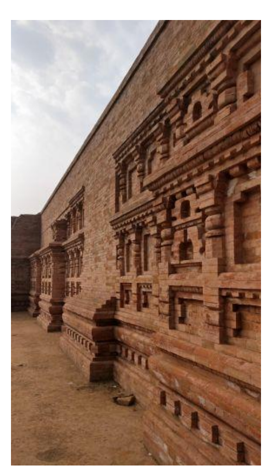
لطالما قاتل الإنسان لكي يكسب الحرب، لكن ليس ليمنع الحرب. لو استثمر ما يكفي من المال والجهد والوقت في سبيل ضمان السلام لكان الآن في حالة أفضل بكثير. أشار "بوذا" إلى هذا الأمر عندما تحدث مع الجنرال الهندي قبل ألفين وخمس مائة سنة. كما أشار إلى أن كل هذه الحروب والفوضى والصراعات وعدم التوافق وعدم التفاهم السياسي بالكاد كان لها أي تأثير على حدود الأمم. في عصرنا الحديث كلفت الحرب العالمية الثانية وحدها أكثر من خمسين مليون قتيل، ورغم ذلك بقيت حدود الأمم كما هي تقريباً، لم يحقق أي إنجاز عظيم يستحق استنزاف كل تلك الأرواح، لم تحل أي مشكلة كبرى. يحصل هذا كله ثم، بعد فترة من الهدوء الحذر، تنشب حرب أخرى. ما الذي نفعله؟ لماذا نستمر في تدمير هدوء العقل لدينا؟

بعد أن نظر "بوذا" في الموضوع بعمق وبحذر توصل إلى استنتاج فلسفي. علينا أن ندرك حقيقة أن البوذية ليست ديانة بل هي منذ البداية فلسفة أخلاقية وأدبية. هي طريقة حياة. وهذه الطريقة في الحياة شملت مفهوم خاص لتبجيل الخطة الإلهية للأشياء. لكن "بوذا" لم يكن دينياً بالمقام الأول، بل كان بشكل رئيسي مصلح أخلاقي، ويتمتع ببصيرة مذهلة في طبيعة الكائن البشري. هي ربما البصيرة الأكثر عمقاً التي عرفها العالم. فبدأ يدرس المشكلة من خلال السعي إلى تعريف طبيعة المعاناة. ما هي؟ قال بأنه يوجد مسببات متنوعة للمعاناة، لكن كافة هذه المسببات قابلة للعلاج. هي قابلة للعلاج قبل أن تحصل المعاناة. هناك طرق كثيرة نتبعها لحل المشاكل، لكن حتى نتوصل إلى إدراك العوامل الأساسية للأشياء سوف لن نحل المشاكل. العوامل الأساسية تكمن داخل كل فرد منا، وهي قوية جداً في حياة البعض وقد تجعلهم أشخاص خطرين جداً. بينما عند البعض الآخر نجد هذه العوامل موجودة جزئياً، وهذا يجعلهم أقل خطراً وأكثر قابلية للإصلاح. لكن في جميع الأحوال، السبب يكمن داخل الشخص، ومنه تنتشر خارجاً فتعدي الآخرين، وعندما تكون المجموعة بكاملها مصابة بالعدوى ممثلة قسم من أمة فسوف تصاب الأمة بكاملها بالعدوى. فتتعرض مشاريعها للتقويض والتلف والضعف. وأولئك الذين طبيعتهم أكثر نبلاً يتعرضون للطرد والنفي لأنهم يمثلون عقبات في درب الطموحات الخاصة للذين لديهم أنماط داخلية منحرفة وغير طبيعية.

إذاً، تبدأ المعاناة عندما يسمح الفرد لميوله وشهواته الدنيوية أن تتدخل في المنطق والتفكير السليم لديه. التفكير السليم، والذي أصبح نادر جداً اليوم، يتعلق بردود أفعال الشخص تجاه الظروف. هناك القليل من الأشخاص الذين لا ينتج من أفعالهم عواقب يرونها ويواجهونها ويعرفون عنها لكنهم لا يصححونها. بالتالي، عند بداية المعاناة تقبع علاقة غير منطقية وغير عملية وغير متنورة مع العالم المحيط بنا ومع الحياة بداخلنا. لطالما كانت هذه المشكلة قائمة عند الإنسان عبر العصور. البعض يقول بأن سببها يعود إلى الجهل. هناك نوعين رئيسيين من الجهل: الجهل البسيط والجهل المركب. الجهل البسيط هو جهل الإنسان الهمجي أو الطفل. الجهل المركب هو أكثر صعوبة للتعامل معه، هو الجهل الذي يبرز ليس من الضرورة بل من عدم الاستعداد لمواجهة قيود الذات، إنه نوع من الجهل الذي يتم اكتسابه بالتعليم والذي هو في الحقيقة ناتج من تعلم الأشياء الخاطئة. أي أن الفرد تلقى تعليم مجرد من أي عامل يمكن أن يصنع منه شخص متعلم بحق.

علينا أن نتذكر بأنه قبل ألفي عام في الهند لم تسود الحالة كما هي سائدة الآن. جامعة "نالاندا" العظيمة كانت إحدى أرقى الهياكل التعليمية على وجه الأرض، مع مجموع طلاب يفوق الخمسة وعشرين ألف، وأكثر من ألف أستاذ. مع العلم أنه في جامعة "نالاندا" كانت المسيحية تدرس هناك كديانة للمقارنة. الأشياء تحصل. تم تدمير العالم الكلاسيكي الآسيوي بالكامل ونشبت الحروب وانتشرت الأوبئة، معظم المآسي يعود سببها إلى سوء استخدام المصادر الطبيعية واستنزافها، فانخفض مستوى التحضر لدى الناس وراح ينحدر منذ حينها. لكن لم يكن ضرورياً ان يحصل هذا كله. كان ضرورياً ان يواجهوا هذه المشاكل بدلاً من السماح لها أن تتراكم إلى الأبد. جميعنا نعلم، وحتى "بوذا" كان يعلم، بأن إصلاح الآخرين هو المجهود الأقل مكافئة في العالم، كما أنه عمل خطير أيضاً. لكن عملية البدء بتحسين طبيعتنا الخاصة هي مهمة جداً، لأن أحد مبادئ الفلسفة الهندية، كل من الهندوسية والبوذية معاً، يقول بأن الفرد بصفته كائن مؤقت، حيث لديه عقود قليلة ليعيشها في هذا العالم، وجب بالتالي أن يكون أكثر اهتماماً باتباع الطبيعة وإطاعتها بدلاً من سعيه إلى الاندماج مع المجتمع البشري. إن الاندماج الاجتماعي أمر جيد، لكن الفرد الذي يساوم على مبادئه لكي يحقق نسبة نجاح معينة هنا في هذا العالم الدنيوي فهو بذلك يقترف خطأً كبير، لأنه سوف لن يبقى هنا طويلاً بما يكفي لكي يكون لنجاحه أي معنى، وسوف يغادر هذا العالم حاملاً عبئ ثقيل من الأعمال غير المكتملة.



خرائب جامعة "نالاندا" التي ازدهرت في الهند قبل أكثر من ألفي عام. كانت قابلة لاحتواء أكثر من خمسة وعشرين ألف طالب وحوالي ألف أستاذ.

يمكننا إذاً تلخيص المشكلة بطريقة بسيطة: كيف يمكن للشخص أن يفهم طبيعة المعاناة؟ يقول لنا "بوذا" بأن المعاناة هي جزء واضح لا لبس فيه من الوجود، وسببه هو الأنانية والجهل. الأنانية هنا تعني أذية نفسك أو الآخرين في سبيل الكسب. أما الجهل، فيعني هنا التوجيه الخاطئ أو عدم تلقي الفوائد التعليمية التي انحدرت إلينا من الماضي. الفوائد التعليمية من الماضي هي ليست بالضرورة مدونة جيداً في مؤسساتنا التعليمية الحالية. عندما نرغب في معرفة الحكمة التي سادت في الماضي علينا أن نلجأ إلى علم التاريخ بدلاً من التعليم العادي. لأن التاريخ يكشف لنا عن أخطائنا، بينما التعليم العادي يحاول أن يبرهن لنا بأن ذلك الذي اعتبرناه خطأ هو ليس كذلك، وأن النجاح الحقيقي هو أن نستمر في اقتراف نفس الأخطاء. لكننا نقترفها اليوم مع مساعدة علمية أكثر تقدماً. نحن لم نتعلم شيء. لذلك قال "بوذا" بأنه في بداية المعاناة تقبع الأنانية والجهل. الجهل يعني عدم التعلم بشكل جيد، وعدم التعلم ما هو الحقيقي، والتحضير لبناء مستقبل مهني يتمحور حول الأنانية. الخلطة بين التعليم الجاهل والذي يرسخ الأنانية تنتج المعاناة.

المعاناة تحصل متما استخدنا المصادر الطبيعية بطريقة غير حكيمة أو من دون أي اعتبار للخير العام. الأنانية تدفعنا إلى محاولة احتكار المصادر الطبيعية. هكذا احتكار قد يدر بعض المال لكنه

ينتهي بالمعاناة. الفرد الذي يحاول استغلال جاره قد يكسب القليل من المرابح لكنه في النهاية يساهم في المزيد من المعاناة. كل فعل مناقض للاستقامة والتكامل الأخلاقي سوف يسبب المعاناة للشخص الذي يفعل الفعل وكذلك للآخرين. أشار "بوذا" إلى نقطة مهمة في هذه المشكلة، قال بأنه في الوقت الذي تجلب فيه أخطائنا المعاناة لأنفسنا فهذا لا يعني بالضرورة أن الآخرين سوف يتأذون. السبب الوحيد الذي يجعل الآخرين يتأذون هو لأنهم يوافقون أكثر أو أقل على أخطائنا. يعتقدون بأن النجاح كما نعرفه الآن هو أمر مفيد لهم أيضاً، وأنهم بدورهم يرغبون في شراء الأخطاء التي نبيعها، وكنتيجة لذلك يصابون بالمعاناة. في الحقيقة، كل فرد لديه الحق في الإحجام عن أسباب المعاناة داخل نفسه. والإغراء هو نوع من محاولة أحدهم إقناعك بأنه عليك القيام بأشياء معينة من دافع المصلحة الذاتية، وعندما يحصل هذا الأمر تتولد المشاكل والمعاناة.

المعنى العام للمعاناة إذاً هو ناتج من كسر قواعد الحياة البسيطة. وهذه القواعد في الحقيقة لا يمكن كسرها من دون معاناة. الفكرة التي تقول بأننا نستطيع إعادة بناء الكون بحيث نجعله قريباً لما نرغبه هي فكرة خاطئة. ليس لدينا أي قوة للسيطرة أو التحكم بذلك الذي يمتد إلى أوسع زوايا الابدية. الفضاء الذي يمتد إلى لانهاية لا يمكن استيعابه من قبل العقل البشري. عندما نقول أننا سيطرنا على الفضاء فنقصد بذلك استكشافه بواسطة التيليسكوب لمحاولة رؤية ما يوجد هناك. هذا كل ما في الأمر. نحن في الواقع لا نستطيع السيطرة عليه بأي طريقة. حتى أننا لا نستطيع دراسته بشموليته. نحن أمام قضية تتعلق بمحاولة كسر القواعد ونحصد المعاناة، او نقرر أن نلتزم بالقواعد وإزالة مسببات المعاناة خطوة خطوة. إذا كنا مهتمين بهذه المسألة، يقدم لنا "بوذا" سلسلة من الأمثلة التي تشير جميعاً إلى أن مصدر المعاناة داخل أنفسنا هو عاطفي أو عقلي أو كلاهما معاً. العقل هو سبب معظم المعاناة. نحن نظن بأن العقل هو أداة معصومة من الخطأ لكنه في الحقيقة ليس كذلك. يستطيع العقل أن يرتكب أي خطأ نريده ارتكابه. هو مجرد خادم مطيع لأهوائنا. هو يطيع كل ما نعطيه من أولمر وتعليمات. هو يحاول مساعدتنا في تطبيق الخطط والسيناريوهات التي سبق وسيطرت على الوعي لدينا. العواطف أيضاً تشمل ضغط هائل، وهو ضغط متجه نحو إشباع كافة شهواتنا بكافة أنواعها، وخلال إشباع هذه الشهوات ننزح إلى المساومة على استقامتنا الأخلاقية. أينما ذهبنا سوف نجد أن لا أحد أصبح حكيم بما يكفي ليعرف بأنه لا يستطيع أن يكون غير صادق وأمين دون ألم، وتدريجياً يصبح هذا الألم لا يطاق. رغم ذلك نراهم يذهبون إلى القبر مصطحبين معهم الألم وعدم الأمانة معاً. هذا لأننا لا نريد أن نقبل، وعلى المستوى العلمي، ما هو

واضح حتى لدى القدماء منذ آلاف السنين والذي يتكرر استعراضه كل يوم في حياتنا الحالية، ورغم ذلك كله لا يوجد سوى اعتبار واحد فقط وهو السعي إلى الربح.

طالما بقي الشخص مستعداً لبيع روحه من أجل دينار، فسوف يستمر في اختبار الألم، والكثير منه. هذا لأنه لا يستطيع المساومة على الاستقامة الأخلاقية بداخله دون أن ينال المعاناة بأنواعها. كان "بوذا" واضحاً في هذه الأمور، ولا أعتقد أن أي أحد حتى الآن استطاع تفنيده أو دحض إدعائه. لأن العواقب الواضحة لأي فعل هي مؤكدة. نحن نعرف بأن المعاناة موجودة، والآن يمكننا تحليل كيفية عملها، وبالتالي يمكننا الآن تحديد ما هي المعاناة وما هو سببها. مثلاً، يكرس أحد الأشخاص حياته لمراكمة الثروة، وينجح بذلك، وبعد مراكمة الثروة يشعر بأنه حقق مصيره المقدر له، لكن هذا الشخص أصبح في مشكلة كبيرة، لأنه مع الوقت الذي راكم فيه الثروة تكون المعاناة قد بدأت منذ البداية وما من طريقة لتجنبها. قال "بوذا" أن الإنسان الذي يملك هو يعيش أبداً في حالة خوف من الخسارة، يخاف من أن يسلبه أحدهم ما يملكه. ومن سلبه ما يملكه سوف يسبب كرب عظيم في نفسه، وذلك لأنه وضع كامل سعادته في محفظته. بالتالي فالذي يسلبه ما في محفظته سوف يجعله شحاذ بكل تأكيد. هناك شخص آخر يواجه مسألة المال، هذا الشخص لا ينجح في مراكمة الثروة، وهذا بالتالي يجعله بائس لأنه لا يملك المال. إذاً، الشخص الذي يملك المال يخاف من خسارته والشخص الذي لا يملك المال يكون بائس لأنه لا يستطيع حوزته، وبالتالي لا أحد يكون سعيد في هذا المشهد. ويستمر هذا المشهد في البقاء قائماً إلى لا نهاية. الطموح للملك، لا يقودنا فحسب إلى مشكلة المجتمع الذي يسعى إلى تجريدنا من ما نملكه في أي فرصة سانحة، بل إلى كافة المشاكل المالية الأخرى التي نعرفها اليوم مثل تقلب الاقتصاد العالمي بشكل مستمر والبطالة المرتفعة وغيرها، كل هذه الحالات هي نتائج الطموح المنحرف منذ البداية. لقد تصرفنا بشكل خاطئ منذ البداية، وجعلنا الانحراف شيئاً رائعاً، وجعلنا بعض الأعمال والإجراءات مرضية للأنانية بداخلنا، وعندما ينهار القصر الذي بنيناه سوف نصبح جميعاً بائسين وسوف ننظر حولنا محاولين معرفة من سبب هذا ثم نضع اللوم أخيراً على الشيطان. لقد تم لوم الشيطان على أمور كثيرة عبر التاريخ، فأعتقد بأنه يستطيع التحمل أكثر منا.

كيف يمكن أنه منذ أكثر من ستة آلاف سنة، وصولاً إلى مصر القديمة، اتبعنا هكذا نمط منحرف مع إدراك كامل بأنه غير مجدي، وإدراك كامل بأن الثمن الذي ندفعه هو أعظم بكثير مما نكسبه

منه، ورغم ذلك لا أحد يتغير أو يفكر حتى بالتغيير. يستمر ذلك الأمل، تلك المقامرة، ذلك الاعتقاد بأننا بأنفسنا سوف نكون سعداء بذلك الذي جعل كل الآخرين بؤساء. نجعل أنفسنا بؤساء لأننا لا نملك ذلك الذي يسعى إليه كل الآخرين. هنا لدينا مشكلة معاناة. حتى تعقيدات الكسب والمراكمة هي بذاتها مسبب كبير للمعاناة بطرق عديدة. يحصل معنا المزيد والمزيد من أمراض القلب والسكتات القلبية في منتصف حياة رجال الأعمال الناجحين، إنه الكفاح المستمر لمراكمة الأموال، والكفاح المستمر للتغلب على المنافسين، كل هذه الأمور تخلق كوارث رهيبة على صحتنا وأمزجتنا وكافة القيم الشخصية بخصوص العيش. هذه النشاطات تفقر حياتنا وتعكر استقرارنا المنزلي وتدمر أجسامنا، رغم ذلك هي لا تمثل قيمة بالمقارنة بالغاية الأعظم المتمثل بالثراء. جميعنا نرغب في أن نكون أثرياء حتى ولو في المقبرة. إنها السعادة الكبرى بالنسبة لنا. أشار "بوذا" إلى أنه إذا استمرينا في هذا التوجه، مكرسين كامل حياتنا محاولين الحصول على الثراء، ثم ننجح أخيراً في الحصول عليه، ويكون قد كلفنا كل شيء آخر، ثم وسط كل هذه الفرح بالانتصار نستلقي على الأرض ونموت، ولن نعيش طويلاً بما يكفي للتمتع حتى بجزء مما نملكه، نكون بذلك قد ضحينا بكامل حياتنا ولم نعش لنجعل هذه التضحية مستحقة. لو كنا سنعيش خمس مئة سنة مع ما كسبناه من أموال قد يبدو الأمر منطقياً أكثر، لكن وسط السعي للمراكمة نموت ونخرج من مسرح الوجود المادي. وكل ما عملنا من أجله طوال عمرنا، منذ بداية الفترة المدرسية حتى يوم موتنا، كل هذا نتركه ورائنا ونغادر.

لماذا إذاً علينا أن نجعل هذا العالم بائس ونجعل أنفسنا بائسين فقط من أجل اكتساب شيء لن نعيش طويلاً لاستخدامه؟ وإذا لم نستخدمه سوف نتركه للآخرين الذين لا يستحقوه، والذين سوف يفقدونه لاحقاً أو يسيئون استخدامه. هناك قصة قديمة عن روماني ثري بقي طيفه بعد موته ساكناً في المنزل وراح يشاهد أولاده يبددون أمواله ببذخ وإسراف. هذه تجربة حزينة جداً، لكنها التجربة الوحيدة. مهما خلفناه ورائنا لا بد من أن يسيء أحدهم استخدامه. حتى لو تركنا ما نملكه لمؤسسة، هذه المؤسسة سوف تتغير على مر الزمن. ليس هناك أي حل لهذه المسألة. نحن إذاً نسعى وراء الأوهام، ومن خلال نزعة المراكمة والتجميع، بنينا تدريجياً عالم قائم على المنافسة والذي يقود إلى الحروب والجرائم وكل أنواع الفساد، وعلينا العيش وسط هذا كله. ليس هناك أمان واطمئنان في أي شيء. ورغم ذلك نجد العالم مستمر في هذا الطريق. شرائعنا العظيمة لم تستطع تصحيح الوضع. الجامعات الكبرى لم تساعد الشباب اليافعين على اكتشاف ما هو ضروري وذو قيمة. لم يعد أحد

يرضى بمكونات السعادة الطبيعية والبسيطة. الجميع يريد الكسب والربح ويفكر بالسعادة وفق معنى المراكمة والتجميع بدلاً من معنى الرشد الداخلي والنمو الحقيقي.

لذلك كان "بوذا" على حق بشكل كبير من خلال افتراضه بأننا في مكان ما في الزمن الماضي البعيد وجهنا الحضارة إلى الاتجاه الخاطئ، ومهما تحاورنا وتحاربنا، ومهما كان عدد المصلحين والأبطال الذين برزوا من بيننا، لم نتمكن من استعادة التقدم إلى سكته الحقيقية. يبدو أن الأمر تفاقم بشكل كبير، كما الوادي العميق جداً الذي نشأ في البداية على شكل سيل مائي على الأرض ويتخذ الاتجاه الخاطء، والآن أصبحنا محبوسين في قاع الوادي العميق مجردين من أي أمل في الخلاص. الأمر ذاته ينطبق على كل هذه الأمور التي نفعلها الآن. لا يمكننا تحقيق السلام لأن هذا الأمر يؤثر على نجاحنا أو نجاح غيرنا، ولا يمكننا الإصلاح دون التعرض للقتل بهدف إبعادنا عن المسرح ليستمر الفساد والانحراف لصالح القلة. كل شيء مقفول ضمن مجرى يذهب إلى لا مكان. ومع وجود تكنولوجيا الانصهار النووي في حياتنا الآن، أصبح لتعاليم "بوذا" صلاحية متجددة ولانهائية. يقول مثلاً: إن مستقبل بقائنا في هذا العالم موجود في أيدينا.

يوجد لدى البوذية عامل مأخوذ أساساً من الهندوسية وله مكانة مهمة في تعاليمها وهي عقيدة التقمّص، أي أن الروح لا تموت بعد الموت بل تنتقل لتتجلى في حياة كائن آخر عند ولادته. التقمص هو خلطة مؤلفة من الأمل والخوف. هو يمثل الأمل بمعنى أنه يمنحنا المزيد من الوقت لإنجاز التصحيحات في أنفسنا. لكنه يحمل أيضاً عامل الخوف لأنه يحتوي في ضمنه على قانون السببية، أي بمعنى أنه كما عشنا وتصرفنا سوف نكافئ، وهذا بالتالي يضعنا جميعاً تحت مسؤولية عواقب تصرفاتنا وسلوكنا. رد الفعل "الكارمي" المباشر لأخطائنا يحصل هنا في هذا العالم، حيث نرى هذه الأخطاء كيف تجلب المعاناة. لكن هناك أخطاء بعيدة الأمد والتي لا تعالج نفسها بسهولة وسرعة. وأهم هذه الأخطاء هي تلك المتعلقة بشخصيتنا البشرية. يمكننا أن نخلف ورائنا، لفترة قصيرة على الأقل، بعض من عواقب سلوكنا غير العقلاني. لكن سوف نأخذ عدم اكتمال طبيعتنا معنا إلى ما بعد الموت، ونتحضر للعودة وإنجاز ما لم يكتمل بعد. هذه العملية سوف تتكرر إلا إذا تجلى التنور وتغير الإدراك بداخل أنفسنا.

وضع "بوذا" المنهجية، والتي تقول بأن كل فرد قادر على التغيير والإصلاح في نفسه والذي سوف يدوم إلى الأبد. وكذلك التحسين الذي سوف يضيف إلى النمو الداخلي لطبيعته. المعاناة لا تنتج النمو مباشرة، حيث المعاناة هي النمو بالطريقة الصعبة. المعاناة هي تعلم الفرد من أخطائه. لكن هناك طريقة مباشرة للنمو والتي يمكن للفرد أن يتعلم خلالها كيف يفعل الأشياء بشكل صائب وسليم. وهذا النوع من النمو هو غير أليم. المكافئة على الفعل الصائب هي حقيقية وواقعية كما العقوبة على الفعل الخاطئ. على كل شخص أن يعمل على هذا الموضوع وفقاً لطبيعته. بكل طريقة من الطرق، ربط "بوذا" صعوبات زماننا بشيء له علاقة بما يشبه العلاقات الدولية الآن. مثلاً، إمكانية إصابة الشخص بمرض القلب يعود سببها إلى ظروف بحيث تجعل المجتمع، بطريقة عيشه المنحرفة، يدفعه إلى اتباع طريقة عيش خاطئة. يبدو أن هذا الوضع لا يمكن لشيء تغييره سوى عملية إصلاح على المستوى الكوني. لكن أدرك "بوذا" بأن الحديث عن الإصلاح الكوني يمثل نقاش صعب وعقيم لأنه يتجاوز استيعابنا وقدرتنا على التعامل معه بشموليته. بالتالي، بما أن الشخص ليس لديه سيطرة سوى على نفسه، فلذلك عليه أن يعمل على نفسه محاولاً تحرير نفسه من ذلك الذي هو غير طبيعي وغير سوي.

لقد قدم "بوذا" أيضاً ملاحظة، مباشرة أو غير مباشرة عبر أتباعه، وهي أن القليل جداً من الناس مهتمون فعلياً في النمو بحيث ليس هناك الكثير من المنافسة في هذا المجال. لا أحد سوف يديننا إذا أخذنا منهم لا شيء. ومع ذلك، بخصوص عملية النمو، جميعنا ننمو ونراكم كنز عظيم من النمو دون أن يسبب ذلك إفقار لأحد. النمو هو الذخر الوحيد الذي ليس عليه تنافس من أي نوع. هو شيء يجعلنا أكثر حكمة ودون أن يتعرض أحد للأذى، هذا إذا لم نقم بتحريف هذه الحكمة. لذلك لا يوجد أحد في الحقيقة يقف في طريقنا ويكرهنا فقط لأننا نحاول أن نكون أفضل. علينا طبعاً أن نكون حذرين بخصوص الموضوع لأنه وجب ان لا نكشف لهم عن نيتنا، لأنه إذا رحنا نخبر الناس بأننا نحاول أن نكون أفضل فإما أن نتعرض للسخرية أو نتعرض للملاحقة والإدانة. لكن إذا عبرنا عن أفضليتنا من خلال سلوكنا فقط، فهذا سيكون مفيداً لهم أيضاً فيسمحون لذلك أن يمر بسلام. إذاً، هناك القليل من الخطر لؤلئك الذين يعيشون بطريقة أفضل، لكن هناك خطر كبير بالنسبة للذين يتحدثون عن العيش بطريقة أفضل. إذا قمنا بذلك بأنفسنا فهناك احتمال كبير أننا سوف نتغلب على كامل مشاكلنا.

ننتقل الآن إلى الخطوة الأخيرة والأهم من تعاليم "بوذا"، وهي الحقيقة النبيلة للدرب التي تقود إلى نهاية المعاناة. هذا هو السبب وراء بروز الـ"سانغا" كما تشير إليه الفلسفة البوذية. معناها "الأخوية" أو "جمعية الأتقياء". هي مجموعة من الأشخاص الذين هم مصممون بداخلهم على العيش بطريقة أفضل. لم تنشئ البوذية أي شكل من الهرمية التنظيمية الدينية كما الأديان الأخرى. هي لم تقل للفرد بأن عليه إطاعة أشخاص آخرين، أو أن هناك منظومة هيكلية ثابتة وجب عدم الاختلاف عنها أو معها. الـ"السانغا" البوذية هي مجموعة أشخاص مصممون على تعليم أنفسهم في حياتهم وأفعالهم اليومية في موضوع القيمة. هم مكرسون لفعل الأشياء الضرورية التي تجلب الأمان لنفسهم وتحسين الحالة العامة للوجود البشري. الحقيقة النبيلة للدرب المؤدية إلى نهاية المعاناة هي التحوّل التدريجي عبر الإصلاح والاستتابة وضبط التركيبة العقلية والعاطفية لدى الفرد. إذا لم نعمل على تقويم الفرد في حياته الخاصة سوف لن نتمكن من إنهاء المعاناة. لا احد يستطيع جعل الآخر فاضل وخيّر، لكن كل شخص يستطيع أن يكون فاضل وخيّر بنفسه، هذا إذا أراد ذلك. يستطيع أن يقلع تدريجياً تلك النزوات والميول والعادات الخطيرة والتي تساهم في المعاناة. يستطيع الفرد أن يفعل أنواع كثيرة من الأشياء الصغيرة كل يوم بهدف انتشال نقطة تركيز الوعي لديه من الغايات والأهداف الدنيوية الخاطئة. يمكنه أن يبدأ بالتفكر وفق نموذج الاعتدال السقراطي مثلاً. سوف يتعلم تدريجياً بأن الطريقة المعتدلة في العيش في هذا العالم تقلل من المعاناة. بينما عدم الاعتدال يزيد من المعاناة. الفرد الذي يعيش حياة بسيطة يقترف أخطاء أقل. الفرد الذي يعقد حياته بدوافع دنيوية يقترف الكثير من الأخطاء.

بالتالي وفقاً للفلسفة البوذية فإن البساطة هي المفتاح للحياة الجيدة. البساطة هي عدم اهتمام الفرد بما يملك بل بما هو عليه كإنسان. إذا جاءت القيمة في المقام الأول فالقيمة هي بداخله. ليس هناك ثراء كافي حول العالم لمنع البؤس. لا أحد يمكنه امتلاك الكثير من أي شيء مجرد من الخطر ومجرد من المعاناة. إذا كان الفرد اليوم يملك الكثير فهو معرض للاحتيال والسرقة. كل العالم يحاول القول له شيء، يحاول القول بأن أهدافه هي خاطئة، وهذه الأهداف تساهم في خلق الجريمة في المجتمع. لذلك تحدث "بوذا" عن الطريقة البسيطة. الدرب النبيلة التي تقود إلى كمال الأشياء في شرعة الحياة. هذه الدرب هي الاعتدال في كافة الشهوات، والتبسيط التدريجي للطموحات وتحويلها التدريجي إلى آمال. الفرد الذي يحلم أن يكون أكثر من ناحية القيمة بدلاً من الامتلاك أكثر. أكثر ما يمكن للشخص امتلاكه في هذا العالم هو نفسه. باقي الأشياء هي وهمية. ولا يستطيع أخذ معه

سوى ما هو عليه. بينما ما يملكه سيبقى للآخرين ليبددوه. كلما كانت حياة الفرد بسيطة كلما كان يُرجح أن يجري مع سنوات حياته بهدوء ويحرر عقله وقلبه لتتفضى لتلك الأعمال المثمرة بالنسبة لنموه. كل النجاح في العالم ليس مهماً كمساعدة وعون بدرجة القدرة على أن تصنع صديقاً أو تكون صديقاً.

الصداقة هي كنز أعظم بكثير مما تودعه في مخازن المصرف. لكننا لا ندرك هذه الحقيقة. لازلنا منشغلين بالمشاكل المتعلقة بالبنوك والمنظومة بالكامل لأنه هكذا تجري الأمور. لكن كيف يحصل أننا بنينا منظومة عظيمة حول أنحاء هذا العالم، تجمع بين الأمم العظيمة والأمم النامية، والتي جميعها تسعى إلى أن تكون جزء من وضع قاتل، بحيث ليس هناك أي اعتبار للقيمة. كل شيء أصبح يُقاس بمفهوم الربح المالي، وكل قطعة صغيرة من المربح اليوم تُقاس بمفهوم الخسارة. لهذا السبب نحن لا نصل إلى الموقع المرغوب. لقد أشار أحدهم قبل ألفين وخمس مائة سنة لماذا لا نصل إلى الموقع المرغوب الآن، وهذا أمر مثير فعلاً. خصوصاً أن طريقته ليس لها علاقة بالتبشير الديني كما نعرفه. إنها ليست مسألة محاولة طلب الغفران على خطايانا بل هي مسألة محاولة النمو فوقها بمجهودنا الخاص. هذا يضع النمو بأغلبه في يد الشخص وليس أي قوة عليا أو جهة أخرى خارج الشخص. لكن مكافئة النمو من قبل الشخص هي تكشف الكوامن الداخلية لذلك الشخص. الفرد الذي يرغب في مواجهة الأبدية بأمل جيد عليه أن يبني حياة جيدة لمواجهته بها.

وفق مفاهيم الدرب المؤدية إلى نهاية المعاناة، يمكننا أن نحرر أنفسنا بهدوء عبر التأمل وعمق التفكير. الفلسفة البوذية هي طريقة تأمل وعمق تفكير ولا تعتمد على أوامر وفرائض وعقائد جازمة. جميعنا نسمع الناس يقولون لنا ماذا نفعل، وعادة ما نرفضها. نحن ممانعين بطبيعتنا وكذلك نلجأ إلى المبرر المألوف الذي نستخدمه دائماً وهو أنهم يقولون لنا ماذا نفعل لكنهم لا يفعلونه بأنفسهم وبالتالي هذا لا يعني شيء. لكن ربما هي تعني شيئاً، لكن لدينا طريقة مجدية لرفضها، لأن الشخص الآخر لا يطبق فلسفته بنفسه. لكن في البوذية لا توجد هذه الحالة إطلاقاً، لأنهم لا يستمدون سلطة من أشخاص آخرين، بل يستمدون سلطة من المصدر الراسخ والوحيد للسلطة، وهي الطبيعة ذاتها. أنت تتعلم من العيش وليس أن تتلقى التعليمات كيف تعيش. عليك أن تتعلم من عواقب طريقتك الخاصة في العيش. أن تنمو من خلال مراقبة نتائج أفعالك وسلوكك. أنت تتكشف لأنك أصبحت تدرك بأن هذا الأمر ضروري، وليس لأن أحد آخر قال لك ذلك. تكتشف أهمية

الشريعة الذهبية لأنك بعدما تخرقها مرة بعد مرة تكون قد عانيت من ذلك. إذاً، السلطة النهائية في الكفاح ضد المعاناة هي أن تقدر عواقب المعاناة على نفسك. يمكنك طبعاً توسيع المشهد قليلاً وتراقب الأفعال المشابهة لأفعالك من قبل أشخاص آخرين وترى كيف تجلب لهم المعاناة أيضاً. تتوصل تدريجياً إلى إدراك حقيقة أن هناك قواعد وقوانين وطريقة حياة تكون مقبولة بالنسبة للطبيعة، والطبيعة لن تمنح أبداً السلام أو السعادة أو الصداقة حتى يتم قبول واتباع طرقها الخاصة.

يعتبر هذا اكتشاف مهم جداً. والجزء المهم هو النمط الاختباري أو التجريبي الذي يتميز به. أي نحن لسنا مجبورين على فعل شيء لأن أسيادنا أو مرشدينا أمروا بذلك، نحن غير مجبورين على فعل شيء لأن عقيدتنا تفرض ذلك، بل نفعله لأننا لا نستطيع النجاة أو الخلاص بأي طريقة أخرى. وبدأنا نصبح مرهقين وسئمين من عدم النجاة. نحن لا نتلقى ما وجب أن نتلقاه من عالم يستطيع تزويدنا بكل ما نحتاجه، هذا إذا لم نقوم كأفراد بخرق قوانين الطبيعة وقوانين الطلب والتلبية. إذا كنا نريد تحرير أنفسنا من الكفاح الرهيب لما نسميه اليوم الثقافة المادية الدنيوية، نحن نكسب ليس فقط صحة أفضل ومنازل أفضل بل سوف يبقى المزيد من الوقت الإضافي لفعل شيء له قيمة وجدوى. سوف يكون لدينا الوقت للجلوس وقراءة كتاب جيد، أو وقت للذهاب ومساعدة صديق في مشكلة، لدينا الوقت الكافي لفعل الكثير من الأشياء الرؤوفة والكريمة. لكن هذه الأشياء الرؤوفة يتم التضحية بها الآن على مذبح المنفعة الفورية. وها نحن نسير وننجرف مع هذه الحياة المنحرفة، حتى نصل إلى النهاية حيث قبل مغادرة هذا العالم بعدة ساعات نبدأ بالتأمل ما هي الغاية من هذا كله.

إنه ليس صائباً أن تأتي أجيال بعد أجيال من الصغار إلى هذا العالم دون وجود أي أمل أن يتلقوا التعليمات السليمة والصحيحة والضرورية لمنحهم حياة جيدة وسعيدة. هذا أمر علينا جميعاً العمل عليه إذا كنا نريد لهذا أن يحصل. في مسار هذه الحياة الجيدة والسعيدة يوجد قوانين أيضاً. هناك أشياء علينا فعلها. أحد القوانين التي أشار إليها "بوذا" هي أنه من أجل أن يكسب الفرد خير حياته، عليه أن يشارك تدريجياً في أعمال الطبيعة. أي عليه أن يزيل الأعشاب الضارة في حديقته إذا أراد أن يزرع الخضار مثلاً. وكذلك عليه المساعدة في إزالة الأعشاب الضارة من الحياة عموماً إذا أراد أن يتمتع بجمال ولطائف الوجود. لديه مجتمع ليعتبره، وهو المجتمع الذي سمح له أن ينهار ويتشتت. وجب أن يكون لديه طريقة خاصة مع البيئة والجيران والعائلة والأصدقاء بحيث يمكنه أن يخلق تدريجياً قدر من الجمال والتناغم والبصيرة والأمان. جميعنا إذاً بستانيون في هذا العالم. نحن

لسنا مالكين لأي شيء. وقد أشار "بوذا" إلى هذه الحقيقة بوضوح في أقواله، حيث نحن لسنا مالكين، ولم نملك شيء أبداً سوى ما يشبه عقد أجار لما نحوزه الآن. يُسمح لنا بحوزة الأشياء لكن لا نملكها. ومن هنا يبرز "بوذا" مسألة الثروة. هو ليس من أولئك الذين يعتقدون بأنه علينا أن نوزع كل ما لدينا على الفقراء. قال بأن هذه الطريقة غير صائبة لأنها ليست الطريقة التي تتبعها الطبيعة. الطبيعة لا توزع شيئاً بل تعطي الفرد الحق أن يكسب أي شيء يريده. الأهمية لا تكمن في الوفرة والجود والسخاء.

قال "بوذا" تذكروا أن المشكلة لا تكمن في المال. المال ليس سوى وسيط للتبادل. هو ليس خيّر وكذلك ليس سيء، هو بنفسه ليس ذي أهمية أكثر من حصى على الشاطئ أو صدفة في قاع المحيط. المسألة لا تكمن في ما تملكه بل في ما تفعله بما تملكه. المسألة تكمن في نزعة الامتلاك. إذا بدأت تفكر بالمال والثروة بصفتها ممتلكات، أي هي ملكك ويمكنك أن تفعل بها ما تشاء، حينها يتحول المال إلى لعنة. ويصبح المال لعنة أكثر وأكثر عندما نمنحه سلطة على الحياة، وهو لا يستحق هذا أبداً. قالوا عن "كريسوس" في الزمن القديم بأنه الرجل الأغنى في التاريخ. وفي أحد الأيام اصطحب فيلسوف إلى مخازن ثروته المليئة بالذهب. فقال له الفيلسوف: *".. يا كريسوس، كل هذا الذهب يمكن أن يُنتزع منك من قبل رجل يحوز على كمية من الحديد.."* . وهكذا حصل بالفعل. إنها دائماً حقيقة أن الثروة بذاتها تمثل خطر كبير لأنها تزيد الطمع والجشع وتساهم في إقامة النزعات في كل مكان. إذا كنا نحوز في أنفسنا على المفهوم الذي تعلمه الفلسفة البوذية، بأن الثروة هي بأفضل حالاتها مجرد قرض أو استعارة بحيث نستخدمها لفترة وجيزة في هذه الحياة، لكن في عملية استخدامها وجب أن تكون العدالة اعتبارنا الأول، العدالة مع الرحمة ومع المحبة ومع عمق التفكير ومع التفهم غير الأناني. إذا استخدمت بشكل سليم، سوف تصبح الثروة شكل من النمو الإيجابي، لأنها أثبتت أن الفرد قد حول نفسه. أما الثروة المكرسة لتقدم المشاريع الفردية على حساب الخير العام فهي خطيئة، وسوف تقود إلى تراكم الجرائم. المسألة إذاً لا تكمن في ما نملكه بل في ما نفعله بما نملكه، وهذا يقرر إذا كنا سنحوز على السلام أو نصاب بالمعاناة. في كل خطوة على طول الطريق يوجد استخدام سليم يجلب السلام. في كل مجال من النشاطات يوجد سوء استخدام ينتهي إلى المعاناة.

الفرد في هذه الأيام هو ذو طبيعة مادية، مهما حاول استعراض أفكار دينية تجاوزية. لذلك نراه يشعر بأنه إذا غادر هذا العالم عند موته لن يتأثر أحد بذلك، وهو لن يعد يعرف بأنه وجد أصلاً. قد يظن بأن هذه النهاية سوف تريحه نهائياً من المعاناة في هذه الدنيا. رغم كل ما أنجزه من أعمال واستخدامه الملكات العقلية التي حازها، وكونه ممثلاً لشاهد حي على خلفية تطورية مذهلة أوصلته إلى حالته الحالية، ومن ثم يفترض بأنه بعد الموت قد اختفى تماماً من الوجود، فهذه فكرة لا يستطيع العقل الشرقي استيعابها. هو بكل بساطة لا يستطيع تقبل فكرة أن كل هذا النمو المتنوع للحياة المتطورة على الدوام، ليس هنا على الكوكب فحسب بل في الفضاء حيث النجوم والشموس والمجرات التي في طور التشكل، كل هذا لا يعني شيء إذا سلمنا بالفكرة السابقة والتي ليس لها غاية ولا تستند على واقع.

كل شيء يبدأ فجأة ثم ينتهي ويتلاشى على شكل غبار، لا يستطيع أي عقلاني تقبل هذا إطلاقاً. لهذا السبب، لطالما افترضت الأنظمة الفلسفية في الأمم القديمة بأنه يوجد حياة أخرى، يوجد بقاء بعد الموت، وهذا البقاء بعد الموت معرض لعقوبات معينة. في بعض الأديان، تقول التشريعات بأن الذين كانوا رذيلين أو سيئي السلوك سوف يُحرقون في نار الجحيم بعد مغادرتهم هذا العالم، وذلك لفترة غير محدودة. هذا المفهوم قد فقد إهتمام معظم الناس ولم يعد قابل للإعتقاد. وحتى في الزمن القديم حيث بدأ فيه هذا الاعتقاد، وضعوه كوصف رمزي وليس وصف لواقع حقيقي. لم ينوي الحكماء اعتبار الجحيم مكان حقيقي. ما هي الحكمة أو الغاية وراء احتراق المخطئ إلى الأبد في نار الجحيم؟ صحيح أن هناك نوع من العقاب في الحياة الأخرى لكن ليس هكذا يكون. حتى أن هذا العقاب الآخر قد يكون أكثر ألماً من الجحيم المذكور سابقاً. العقاب الحقيقي يتمثل في مواجهة الفرد لعواقب أفعاله، وعليه أن يكون مدركاً للبؤس الذي سببه، وعليه أن يدرك أيضاً كيف أثبط نموه الخاص، وكيف دمر نمط من التجارب والخبرات والذي كان قد جعله شخص أفضل، لكن بدلاً من ذلك خرج من الحياة آسفاً على نفسه وبائساً أكثر مما دخل إلى الحياة في البداية.

إذاً، ما نظنه الجحيم هو في الحقيقة المواجهة الحتمية للذات، الإستمرار الحتمي لعمل غير مكتمل حتى يتم إكماله بالكامل. أشار أفلاطون بأنه لا يمكن أن يكون هناك جحيم أسوأ من هنا (أي عالمنا الحالي). هنا في هذا العالم يكمن الجحيم. وجميعنا نستمر في العودة إلى هنا بعد الموت حتى نتحسن ونصبح أفضل. لكنه ممكناً عبر الاستقامة الأخلاقية أن نحول الجحيم ذاته. هذا العالم يعتبر

سيء لأنه المكان الوحيد الذي علينا مواجهة عواقب أفعالنا فيه. لكن عندما يتغير سلوكنا تتغير العواقب المترتبة منه فيتغير هذا العالم بالكامل ويعود إلى ما قدر له أن كون منذ البداية. لكن من أجل أن يكون هذا العالم جميل وجب على الكائنات التي تعود إليه أن تحقق في نفسها نوعية خاصة من الاستقامة الأخلاقية والتي تجعله مستحيلاً على هذه الكائنات أن تدمر أو تمنع النظام الطبيعي للأشياء. لدينا الحق أن نصنع ما نستحقه والعيش مع نتائج سلوكنا.

مع إضافة فكرة التقمص تمنحنا البوذية مفهوم عظيم للحياة، وهو مفهوم للحياة لا يتناقض بأي طريقة مع علم الفلك الحديث، لأنها تتعامل مع بعد لا يلمسه علم الفلك أصلاً. حتى أن علم الفلك ينكر وجوده. هذه الطريقة تتعلق بعلم الكون النوعي وليس الكمي. هذه الطريقة تتعامل مع الكون بصفته اختبار، الكون بصفته حكمة، بصفته محبة وقوة وجمال. وهذا كون لا يستطيع العلم الحديث ملامسته. لكن يمكن للعلم أن يرتقي إلى هذا المستوى إذا أراد ذلك. ليس هناك ما يمنع العالِم من أن يكون صوفي عظيم أو قائد روحي عظيم لأن كلاً من المادي والروحي موجودان في نفسه. هو يمثل ذلك الذي أطلقه من ذاته في الوقت الحالي، أما ذلك الذي لم يطلقه بعد قد يجعله ليس فقط عالِم بل قديس إذا أراد ذلك.

أينما كان في هذا العالم يوجد هذا الكفاح المستمر للحفاظ على القيم، بحيث يمكننا بواسطتها تجنب شرور الظروف الدنيوية. وفي هذا السياق أيضاً، وبخصوص العقل، وكما تقول نصوص الـ"بهاغافاغيتا" العريقة والتي تسبق زمن "بوذا" بكثير: *".. العقل هو قاتل الحقيقي.."*. العقل هو المسؤول الأكبر عن المشكلة. لكن هو ليس مسؤول لأنه سيء أو شرير، حيث ليس هناك شيء شرير بخصوص العقل، لكن العقل الذي يُساء إستخدامه قد يكون الشيء الأخطر في العالم. العقل الذي لا يكون مهذب ومصقول بواسطة الحب والصداقة يكون بكامله مستبد وطاغية ويقود صاحبه إلى الدمار بكافة الجوانب. ليس هناك ما يضيف إلى معاناة الفرد أكثر من سوء استخدام العقل لديه. من أجل الشفاء من هذا السوء الاستخدام لا يعني أنه على الفرد أن يمتنع عن التفكير، بل عليه التفكير وفق منهجية القيم، عليه أن يفكر مع الكون بدلاً من التفكير ضده. عليه أن يفكر بتلك الأشياء الضرورية للخير العام وليس بالأشياء التي تساهم في تدمير الخير العام. قد يكون العقل أداة جميلة ومذهلة، لكنه قد يمثل أيضاً شيء رهيب.

عرف "بوذا" سر تغير كل الأشياء. وبالتالي وجب أن نتعامل مع التغيير بسلام وتفهم وإحسان وعمق نظر وسماحة ولطافة. كما أنه علم بأن كل ضغينة يمكن تشبيهها لجرثومة نفسية، والتي تجلب المرض لكل من يحملها بداخله. كل حكم مسبق أو تعصب، كل نزعة أو توجه غير عقلاني، أو كل ميل متطرف حتى لو كان ذي صبغة دينية وجب فحصه بحذر. متما بفقد الشخص توازنه الداخلي ويعبر عن عاطفة أو توجه متطرف فسوف يكون هناك درجة كبيرة من الضغط. وما هو الضغط؟ الضغط هو مسبب للمعاناة. أينما يوجد ضغط هناك معاناة. لقد زودت الطبيعة الإنسان بمجموعة من الأدوات لكي تحميه من المعاناة. لديه مصادر في نظام الغدد الصماء (التي تفرز الهرمونات) والتي تمكنه من خوض حالة مرهقة بهدوء وكرامة. لكن إذا استمر هذا الإرهاق سنة بعد سنة دون أن يتحكم الشخص بنفسه سوف تصاب مصادر الجسم بالإنهاك فتبدأ بالفشل في وظيفتها وكل ذلك بسبب سوء استخدام النزوات والميول. يستطيع الإنسان تدمير جسمه من خلال سوء استخدامه بواسطة نزواته وميوله وتوجهاته. لذلك على الفرد أن يتعلم كيف يخفض الإرهاق لديه.

هناك أمر مثير ربما لا أحد ينتبه إليه وهو أن الأشخاص دائماً يصابون بالاستثارة الداخلية عندما يكونوا على خطأ. هم طبعاً لا ينتبهون لهذا الضغط الداخلي المتشكل لديهم، لكنهم يتخذون موقف دفاعي دائماً. لو كانوا على حق لما احتاجوا إلى هذه الطبيعة الدفاعية. تقول الفلسفة البوذية بأنه لو كنت على حق لما كان هناك داعي للموقف الدفاعي، وإذا كنت على خطأ فلا تستطيع الدفاع عن نفسك، بالتالي عليك أن تبقى صامتاً وحاظ على تهذيبك. الهدوء أمر مفيد، فهو يوفر الطاقة. إذا منع الفرد نفسه عن الكره والضغينة والحقد، إذا توقف عن لوم هذا ولوم ذاك واستقر ليكون ما عليه أن يكون، فسوف تتحسن صحته وربما يوفر على نفسه الكثير من المصاريف الاستشفائية. لو كان الناس سعداء ومشغولين بأعمال خيرة ومنتجة لباقي حياتهم لم يبقى نوع العالم كما هو الآن. نحن نستنزف هذا العالم حتى الهلاك لأننا نستنزف كل مصدر طبيعي فيه. وعندما نحاول تصحيح هذه الحالة سوف يكرهنا الجميع، ثم يجتمعون معاً للمحافظة على الفساد القائم. لا يمكن الاستمرار بهذه الطريقة. الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها النجاح في مسعانا هو الاعتراف بوجود حكومة عليا أو عالم علوي وقوانين علوية وجب إطاعتها.

إن للإنسانية قوانينها الخاصة وحقوقها الخاصة وغاياتها الخاصة، وهذه جميعاً موروثة داخل كل كائن بشري. هي موجودة في كل خلية من الجسم، وكذلك موجودة في مجموع الخلايا ككل والتي

نسميها الشخصية. كل هذه الاشياء تتحرك وفق قوانين وأحكام. هذه القوانين والأحكام مرصودة لغاية واحدة فحسب وهي منع المعاناة. إذا استمر الإنسان بذاته في خرق هذه الأحكام ويسبب المعاناة فهذه الأحكام سوف تستمر في العمل لأنها تبدأ بالإشارة إلى القانون والدرب المؤدية إلى نهاية المعاناة. الفرد الذي يعاني من اقتراف خطأ لا يمكنه الشفاء من المعاناة سوى عبر تصحيح الخطأ. إذا كنت مصاب بعلة جسدية سوف تذهب إلى الطبيب فيوصيك أن لا تفعل هذا ولا تفعل ذاك ومن ثم تشعر بحالة أفضل. بينما في الطبيعة ليس هناك من يقول لك كل هذا، بل من خلال الاختبار والتجربة تقوم باقتراف خطأ فيؤلمك هذا العمل، تقترف خطأ في اختيار صديق مثلاً، وهذا الصديق ليس صادقاً معك، فتسأل نفسك ما الذي دفعك إلى اختيار شخص غير كفؤ كصديق، وسوف تجد بأنك اخترت هذا الشخص لأنه يبدو مفيداً لمصالحك الخاصة بخصوص غاية معينة. أي بمعنى آخر، أنت صنعت الصديق لسبب له علاقة بمصلحتك الخاصة، وبالتالي تعرضت للخداع. لقد خدعت نفسك من خلال السماح لدوافعك أن تعميك عن تكاملك الأخلاقي.

كل هذه الأشياء تمثل جزء من فلسفة الحياة البوذية. تمثل جزء من الطريقة التي تجلت فيها التعاليم البوذية. وربما مقدر لها في يوم من الأيام أن تصبح مقبولة في كل ثقافة نعرفها حول العالم. هذه الفلسفة لا تتآمر ضد شيء. وهي أصلاً لا تمثل مذهب محدد وبالتالي لا حاجة لمنحها اسم. هي ليست أفكار وردت في حلم أحد الأشخاص. هي بكل بساطة تمثل قدرة الفرد على فهم طبيعته الخاصة، بحيث يكتشف كيف هو يعمل من خلال مراقبة نفسه كيف يعمل. عليه أن يخدم كتلميذ لمبادئه الخاصة لكي يتعلم. وعندما يرى بأنه لم يحصل على النتائج التي هي لصالحه عليه أن يغير طريقه. وسوف يكتشف دائماً تقريباً بأنه عنما يدرك بأن عليه تغيير طريقه سوف يتوضخ لديه تلقائياً ما عليه فعله.

الطبيعة ليست طاغية مستبدة، بل هي قوة كريمة ومتسامحة جداً. لكن لديها مشروع عظيم. وهذا المشروع يهدف إلى تكميل كل الخلق وتعيده مرة أخرى إلى حالة التناغم والإنسجام مع الخطة اللانهائية والأبدية. لذلك من أجل تحقيق هذه الغايات العظمى، على كل شيء عقلاني أن يسعى إلى العمل على خلاصه بمثابرة واجتهاد. علينا جميعاً أن نعيش وفقاً للأفكار السابقة. علينا العمل باجتهاد على خلاصنا، ليس بالضرورة من أجل مجدنا الخاص، بل لكي نصبح جزء من الخطة التي تحتاجنا. كل كائن بشري بعينه يمثل جزء من الخطة، وهذه الخطة تنادي إلى تحقيق كمال الحياة

في كل شيء، الإنجاز النهائي لتقويم الشخصية في كل شيء حي، حتى الطيور والحشرات والحيوانات لها شخصيتها الخاصة والتي وجب تقويمها. الإنسان لديه شخصيته الخاصة. ووفقاً للفلسفة البوذية، فإن الكون مليء بالمجريات التطورية المتكشفة على الدوام. الملايين والملايين من أشكال الحياة تتكشف وتكمل نفسها وفقاً لقوانين الوجود. إكتشاف هذه القوانين يمثل المجهود الرئيسي للحكماء. وعيش هذه القوانين يمثل العلاقة البناءة الأولى التي يمكننا اكتسابها مع الغايات الأبدية. إذا قمنا بهذه الأشياء وبشكل صحيح، سوف تكون حياتنا أكثر لطف وهدوء. كل ما علينا فعله هو أن نلغي تدريجياً تلك التصرفات لدينا والتي هي معيقة بالنسبة لنا وللآخرن، ومن خلال فعل ذلك سوف نتوصل في النهاية إلى علاقة أفضل وأكثر سعادة مع أنفسنا ومع أولئك المحيطين بنا، ويمكننا حينها بناء حضارة لها فرصة للبقاء عبر العصور القادمة.

انتصار الروح على الظروف الدنيوية

هذا موضوع فائق الأهمية لأنه يتعلق بمفهوم له انتشار واسع في التقاليد الدينية والصوفية حول العالم وهو يتعلق بمسألة النفس والروح. في الإنجيل المقدس هناك إفادة تقول: *".. النفس التي تخطئ هي تموت.."* [سفر حزقيال]، وهناك إفادة أخرى في مكان آخر تقول: *".. والروح ترجع إلى الله الذي أعطاها.."* [الجامعة]. ومشكلة الاختلاف بين هذين المصطلحين وتعريفهما مثل إرباك كبير للاهوتيين لفترة طويلة من الزمن. مع العلم أن الكلمتين الإنكليزيتين المرادفتين لهما هما: (الروح Spirit) و(النفس Soul). لكن يبدو أن هناك خطأ في فهم هذين المصطلحين وخطأ آخر في ترجمتهما. ربما الصورة التالية توضح موقع كل منهما في كينونة الإنسان.



تتفاوت درجة تشكل "النفحة" في القسم الدنيوي بين شخص وآخر، وذلك حسب مساحة البيئة المناسبة لتشكلها ونموها في كيانه.

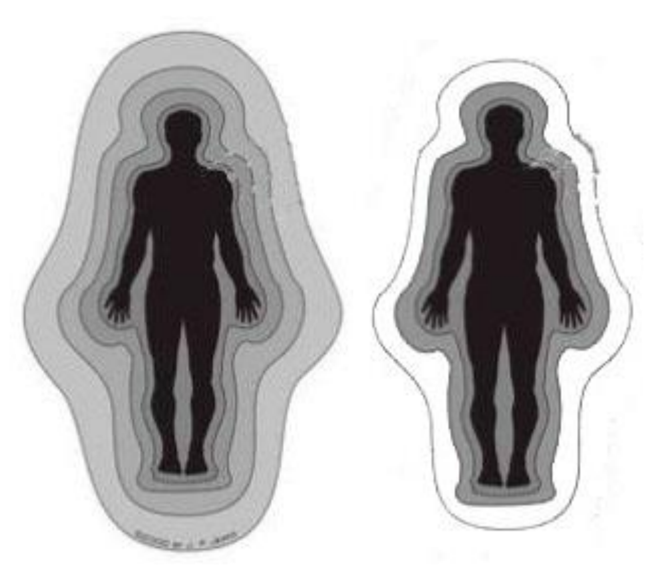
من خلال النظر إلى الشكل السابق، سوف يبدو لنا أنه يوجد عنصر ثالث في المسألة هو النفحة الإلهية. أي هي التي عليها أن تأخذ مكان النفس في النص المقدس. أي الترجمة العربية الصحيحة

لكلمة Soul هي "النفحة" وليس "النفس". وفقاً لموقع "النفس" في الشكل السابق، هي ما يُفترض ان يُشار إليها بالإنكليزية بكلمة Self. أصبح لدينا إذاً ثلاثة عناصر وليس اثنين. ولهذا الفصل الجديد بين المصطلحات أهمية كبرى سوف نتعرف على أهميتها من خلال الصفحات التالية.

في الحقيقة، وفقاً لمعتقدات القدماء والذين سبقوا الديانات السماوية بفترة طويلة، وحتى عند بعض المجموعات المسيحية في بدايات ظهورها، كانت "النفحة" Soul تعتبر ثوب أو رداء، وتتعلق بمفهوم ثوب الزواج الذهبي، وهو الثوب أو العباءة التي يتم ارتدائها في حفل الزواج مع الحمل الوديع. ووفق المفهوم العصري، يمكننا اعتبار هذا الثوب بأنه المجال البايومغناطيسي للجسم، أو الأورا Aura. بمعنى آخر، إن ثوب الزواج الذهبي أو "النفحة" هو تركيبة تظهر ضمن المجال البايومغناطيسي للأورا البشرية. وبمعنى آخر أيضاً، مع تزايد أعمال الخير والرغبة في النمو، يقوم الفرد بتغييرات وتحسينات في منهج حياته، وبالتالي تحصل تغييرات في المجال البايومغناطيسي لديه. يحصل تدريجياً نوع من التحول في نفسية الإنسان وكيانه، ويظهر ضمن المجال البايومغناطيسي المحيط به خواص ضوئية تمثل النزعة الخيرية للقلب والعقل. هذا الخير المضيء يزداد مع تزايد الصلاح في داخلنا. وفي النهاية يتحول المجال البايومغناطيسي بالكامل إلى ما يشبه الثوب المضيء.. يشع بالنور. وعندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة يُسمى هذا المجال أو هذه الأورا باسم "ثوب الزواج الذهبي".

هذا هو ثوب الصلاح الذي تحدث عنه القدماء. الثوب الذي يتم استحقاقه عبر الأعمال المنجزة في الحياة. هذا الثوب يصبح جزء من الحصانة والحماية العظيمة التي تُمنح للشخص، والتي تحميه أولاً من نفسه خلال نموه في مجال التفهم وعمق التفكير. بالتالي فإن قصة ثوب الزواج الذهبي أو "النفحة" هي ذاتها قصة التغييرات المرئية والملموسة في تكوين المجال البايومغناطيسي لجسم الإنسان والذي يعلمنا عن تكشف ونمو المخلوق الذي يملك هذا الجسم. هذه الأورا أو هذا المجال البايومغناطيسي يتجلى أيضاً بدرجة معينة في العالم المرئي. وأعمال ثوب الزواج الذهبي هي أعمال الصلاح والتقوى والاستقامة. مع ازدياد الاستقامة والتكامل الروحي لدى الفرد، تصبح هذه الاستقامة والتكامل جزءاً من الوعي المركزي لديه، هي ليست أمزجة ترتفع وتنخفض بالتناوب. إذا كان النمو أصيل وحقيقي فسوف تنمو هذه الأمزجة والميول وتستمر في النمو حتى تتحول الحياة الداخلية للفرد

وتتبدل كلياً. وبهذا المعنى أيضاً، تتحول "النفحة" إلى حجر الفيلسوف الذي هو السر الخيميائي الغامض المتمثل بتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب الحكمة.



مقارنة بين أورا عادية وأخرى شديدة القوة والإشعاع

بالتالي عندما نتحدث عن انتصار الروح على الظروف الدنيوية، نعني بذلك نمو النور الداخلي فوق مشاكل وضغوط العيش الخارجي. نكتشف تدريجياً بأن القوة على الفعل الصحيح تتشكل داخل أنفسنا. نحن لا نُخلص من قبل قوة خارجية أو تغيير تشريعي معين، بل ننمو من الداخل، ومع نمونا بشكل أقوى من الداخل نجد أن المشاكل والصعوبات تصبح قليلة في الخارج. بالتالي يمكن اعتبار ثوب الزواج الذهبي بأنه إكسير الحياة الغامض، والذي نقطة واحدة منه يمكنها تحويل ما يعادل عشرة آلاف ضعف من وزنه. هذه المصطلحات الرمزية المستخدمة في الأدبيات الخيميائية والصوفية بهدف حراسة السر من الدنيويين المدنسين هي بطريقة ما صحيحة، لأنها تمثل الازدياد الهائل للقوة الداخلية نتيجة التحولات الحاصلة في العناصر الوضيعة للحياة وفق الطريقة الخيميائية.

بالتالي علينا أن ندرك حقيقة أنه وفق الشروط الطبيعية نحن ترابيين نتبع الأرض. نحن لسنا سيئين ولسنا أشرار، بل نحن كما كافة الكائنات الأخرى، نحن مصنوعون من مواد دنيوية معينة، وهذه

المواد الدنيوي تطغي علينا تدريجياً فتحكمنا بالكامل، فنتفاعل مع هذه الضغوط والتأثيرات الدنيوية كما تفعل الحيوانات أو أي من كائنات الممالك الأخرى في الطبيعة. لكن خلال حضور هذه الضغوط والتأثيرات في الكائن البشري، فهي تتوازن مع قوة هائلة أخرى موجودة داخل الكائن البشري والتي هي غير حاضرة في الممالك الأخرى في الطبيعة. في كائنات الممالك الأخرى تكون هذه القوة الباطنية محصورة ضمن نطاق عقول جماعية أو أرواح جماعية أو قوى باطنية تحمي مجريات الحياة عموماً وليس بشكل فردي، بينما عند الكائنات البشرية تصبح هذه الحماية فردية. هذه إحدى الطرق التي نميز من خلالها الإنسانية عن باقي ممالك الطبيعة. لدى الإنسانية قوة الخلاص من داخل نفسها. كل فرد لديه قوة الخلاص من داخل نفسه. عليه أن يطور هذه القوة وينشطها ويسمح لها أن تتجلى خارجاً في حياته اليومية. وعندما يفعل ذلك يكون قد أنجز عملية تحويل المواد الوضيعة لكيانه كما توصفها الأدبيات الخيميائية التي تتحدث عن تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. المواد الوضيعة في هذه الحالة لا تعني المواد الشريرة، بل هي تعني ببساطة المادة أو المادية وهذا يعني التراب، وهذا يجعلها تعني المواد الطبيعية للعالم الطبيعي. لكن الفرد على حقيقته ليس من هذا العالم الترابي. الأمر يشبه حالة النبتة التي تكون جذورها في التراب أي في الأشياء المادية، وكما يقول لنا الفيلسوف أفلوطين: *".. بينما تكون جذور الإنسان في التراب نجد أن الزهرة والبذور في السماء.."*.

"النفحة" إذاً تشمل الأشياء الخيرة والفاضلة التي قمنا بها. هي تمثل مجموع الانتصارات الصغيرة في الحياة والتي إن جمعت معاً تصبح تمثل أساس الخلاص. أي بمعنى آخر، على الفرد أن يخلص نفسه. لا يمكنه الخلاص بمساعدة أي قوة خارجية، ولا يمكن تدميره من قبل أي قوة خارجية. عليه أن ينمو وفقاً لحياته الداخلية الخاصة به، بما تحويه من قوى وملكات منحت له عندما تجلى كمخلوق في هذا العالم العظيم. هذا يعني بالتالي أن كل فرد يسعى إلى بناء ثوبه الخاص، ينمي "نفحته" الخاصة من خلال طريقة حياته الخاصة وطبيعته الخاصة وطريقته الخاصة في خوض واختبار الظروف والحالات التي يواجهها كل يوم.

الحياة هي سلسلة من الانتصارات الصغيرة على الشكوك وعلى عدم اليقين وعلى الإغراءات...، أينما يحصل انتصار يتشكل وميض مشعّ في كينونة "النفحة" وتدريجياً تصبح النفحة مضيئة ومشعّة بالكامل. هذه "النفحة" إذاً تنمو تدريجياً من خلال البناء التدريجي لها. ومن هذا البناء التدريجي

لكينونة "النفحة" تأتي ضمانات الحياة وأمانها. من البناء التدريجي لكينونة "النفحة" تأتي القدرة على التحسن بشكل أسرع وصنع نمو متزايد باستمرار. إن خلود الإنسان ينمو داخله ضمن مادة غامضة. جسمه الفاني مرتبط بالتراب أو العالم الدنيوي، بينما روحه الخالدة مرتبطة بالسماء أو العالم العلوي. وبين هذين الكيانين تكمن "النفحة"، الجسر، الإكسير الغامض للتحول الذي نختبره في حياتنا اليومية.

علينا بالتالي التذكر بأنه حتى الأشياء الصغيرة المفعولة جيداً هي مهمة. إنه أمر مهم أن لا نتلفظ بالكلام المسيء أو البذيء. إنه أمر مهم أن يقوم الفرد بمبادرة خيرة، والتي قد تمثل إحباط له لكنه مؤقت. إنه أمر مهم أن يتلقى الفرد البصيرة لكي يدرك بأن كل انتصار صغير مضافاً إلى الانتصارات الصغيرة الأخرى يشكل الانتصار العظيم الذي نسميه الخلاص. بالتالي الخلاص هو ليس سوى انتصار الواقع على الوهم، هو انتصار الحقيقة على الخطيئة، هو انتصار التفاني على الأنانية،.. هو يمثل في كل حالة انتصار الإيجابي الذي ساهم في الخير العام على السلبي. بالتالي نعتبر "النفحة" الآن بأنها ثوب غامض مضيء، ومن خلال العودة إلى الكتابات القديمة والصور القديمة على جدران المعابد وفي مخطوطات الزمن القديم، نعرف بأن هذه الصور التي تستعرض عباءات الملوكية، الأثواب الرائعة لقديسي الشرق الأوسط وحكماء الهند، كلها صور ترمز لثوب "النفحة" الغامضة والرائعة.

وفقاً للصوفين القدامى، فإن الفرد لا يستطيع دخول الجنة بجسده المادي، وبالتالي عليه ترك كل ما هو مادي والتقدم إلى الأمام بثوب المجد والجلالة، وهذا الثوب هو عباءة بيضاء نقية، عباءة البراءة، عباءة النقاء، عباءة المجهود المبذول للامتناع عن الخطيئة وتنقية الحياة والعيش باستمرار في نور الواقع الحقيقي. بعد فترة من تشكله، يُمنح هذا الثوب المزيد من التطور، وقد تم وصف هذا الثوب في الإنجيل خلال الحديث عن وصف عباءات الكهنة والكهنة الكبار لمعبد سليمان الملك، ونجد أوصاف مشابهة في مصر القديمة وكذلك في الهند والصين القديمتين، كلها توصف عباءات غامضة مجيدة مزركشة برموز تمثل تعابير مادية لطاقات باطنية تنبعث من الإنسان الصالح الذي أنجز تحرره من قيود العالم الدنيوي. الإنسان المتحرر هو ليس ذاك الذي تم تخليصه من قبل شيء خارجي. الإنسان المتحرر هو من نما فوق المحدوديات التي فُرضت على حياته. جميعنا نعرف أنفسنا بطريقة أو بأخرى، نظن أنفسنا كما نعرف أنفسنا. ننظر إلى المرآة ونقول هذا أنا. لكن هذا

غير صحيح. ما نراه هو مجرد ضلال. ولأن العيون لا ترى سوى ضلال فهذا هو المخلوق الذي نراه في المرآة. يستطيع الصوفي أو المستبصر ضمن شروط معينة أن يرى أكثر من ذلك. لكن بالنسبة للإنسان العادي فإن الشكل المرئي الذي يراه هو الأنا الحقيقية. هذه هي الأنا ذاتها التي تملي علينا شهواتنا ونزعاتنا، وتستقطب انتباهنا، وتطالبنا أن نحقق طموحاتها، إنها هذه الظل التي لها شهوات يمكن أن ينتهي إرضاءها بأمراضنا الجسدية، هذه هي الظلّ التي تخرب البيوت، هذه هي الظلّ التي تخرق القوانين، هذه هي الظلّ أيضاً التي تبقي على بعد المسافة بين الفرد والسعادة الحقيقية التي نسعى جميعاً إليها.

بالتالي في هذا الظلّ تكمن قوة الظلام. وهذه القوة ليس لديها أي واقعية من أي نوع. هي تعتمد على وقع أننا لا نملك العيون لنرى، وهذا يذكرنا بالمقول الشهيرة: *".. الذين لديهم عيون فلينظروا.."* . كل هذه الأشياء التي نتكلم عنها الآن هي مرئية وواضحة بالنسبة لعيون الروح أو "النفحة"، لكنها غير مرئية بالنسبة لعيون العقل. وعيون الروح تتشكل نتيجة تطوير ملكات نائمة فتستيقض مع الاجتهاد في تطويرها من خلال تكشف التكامل الأخلاقي في حياة الشخصية. المجال البايومغناطيسي للفرد يبدأ بشكل أساسي كمعزز للبنية الجسدية، حيث هو شيء ينعش الجسم ويحافظ عليه ويحميه. لكن تدريجياً مع مرور الوقت، بعد تجسيد أو تجسيدين، يبدأ هذا المجال البايومغناطيسي بتسجيل الخاصيات الأخلاقية في الحياة، فيبدأ تدريجياً باستعراض الألوان المتعلقة بالخير والشر، يبدأ بتمثيل القسم الخفي فينا ويروي القصة الحزينة المتعلقة بنا. قصة الفرد الذي بقي وسط حكمة عظيمة غير ملموس من قبل الحقيقة التي هو بحاجة ماسة لها. وفي يومنا الحاضر، مع ضغوط وإرباكات كل ساعة، من الواضح أنه وجب حصول انتصار للروح على الجسد، وجب حصول انتصار للسبب على النتيجة، وجب حصول انتصار للواقع على الأوهام. نحن نعيش غالباً في عالم من الأوهام. وكما هناك وجود مادي لنا الآن، كل العناصر التي نتألف منها وكل العادات التي لدينا والمؤسسات التي لدينا والترفيه الذي نختاره والأفكار التي نحوزها بخصوص التعليم..، كل هذه تمثل جزء لما يمكن أن نسميه إلتباس الجهل، وهي جميعاً تمثل جزء من الجانب السلبي للمجال البايومغناطيسي للفرد. بينما نعيش في المجال السلبي فنحن نتفاعل مع العوامل السلبية. ورويداً رويداً تقوم هذه العوامل السلبية بتدميرنا، أو على الأقل تفقر القيم الروحية بداخلنا، إلى أن تصبح في النهاية ألوان الأشكال المضيئة للمجال البايومغناطيسي بداخلنا ضبابية وقاتمة وكئيبة. المجال البايومغناطيسي لمدمن المخدرات مثلاً هو شيء يدعو للكآبة. المجال البايومغناطيسي للفرد الذي ليس لديه أي

استقامة أو تكامل أخلاقي ولا قيم والذي يعيش في الجهل هو مجال سيء جداً. بالإضافة إلى ذلك، مع كون هذا المجال البيومغناطيسي سلبي فهذا يجعله يديم نفسه من ضمن نفسه، ورويداً رويداً الفرد الذي أصبح تدريجياً أكثر فساداً وشراً، نجد أن هذه السمة تتزايد تلقائياً، إلى أن يصل أخيراً إلى نقطة بحيث عليه التغيير أو يفقد كامل قيم التجليات السابقة التي خاضها قبل هذه الحياة.

يأتي وقت في هذه الحالة الغريبة بحيث وجب حصول تحول كامل من السلبي إلى الإيجابي. وجب أن يحصل حركة من جانب الفرد بنية ضبط حياته الداخلية ووضعها في نظام. عليه أن يدرك بأنه ما من طريقة للهروب من عواقب أفعاله. يمكنه الهروب من إرهاب المستبدين والطغاة وكذلك يمكنه الهروب من إرهاب العواصف والكوارث المختلفة، لكنه لا يستطيع الهروب من إرهاب عواقب سلوكه الخاطئ. لذلك يجد الفرد رويداً رويداً ظهور ألم من داخل نفسه. المجال البايومغناطيسي يصاب بأزمة، ووسط أزمته يفشل في دعم الشخصية، ولا حتى هو قادر على الاهتمام بالمشاكل الصحية. والمجالات الأثيرية المختلفة لم تعد تحمي الفرد بأي طريقة ضد الإصابات المتنوعة. لقد تم استنزاف القوة الإيجابية بالكامل. كل الطاقات المختلفة قد أسيء إستخدامها وتم هدرها حتى لم يبقى شيء. في هكذا ظروف سيئة دائماً تأتي فترات في حياة الفرد حيث عليه التغير لكي يحافظ على بقائه. وغالباً ما لا يتم تحقيق هذا التغيير حتى مشهد فراش الموت. حينها، قبل نهاية كل شيء، يفطن الفرد فجأة فداحة الأخطاء التي اقترفها. وإيمانه ليس كبيراً بما يكفي ليكشف له عن حقيقة أنه مهما فعله فإن الخلاص أمر حتمي. عليه أن يستمر في السير إلى الأمام، عبر الحيوات المتتالية، حتى ينمو إلى ما وجوب أن يكون. ومع اختفاءه من هذه الحياة وبحالة محزنة جداً، سوف يبقى الانتصار النهائي أمر حتمي. حيث كل شيء تم خلقه من قبل العقل الإلهي واليد الإلهية عليه أن يمر بسلام، عليه أن يحقق غايته النهائية وينجز ذلك الذي هو مرصود. وهكذا نجد بأن الفرد في حالته الجسدية اختار بنفسه تدريجياً نتائج تضليله وانخداعه. لم يعد يملك صحة جيدة ولا لديه راحة بال، لديه مخاوف وكوابيس، وينمي أنواع مختلفة من العادات في مجهود منه ليلتمس نوع من المساعدة أو القوة، لكن هذا النوع من القوة التي يجدها تجذبه نحو المخدرات والكحول وبالتالي لن توصله إلى أي مكان. كل شيء يسوء رويداً ويداً، حتى يصبح الفرد في النهاية مجرداً من كل طاقاته وقواه نتيجة سوء استخدامها، نجده يتوصل في النهاية إلى مواجهة نفسه وهذا ما عليه فعله.

لدينا أيضاً تشبيه آخر لنذكره. العالم كما نعرفه هو أيضاً كائن قائم بذاته. الكوكب الذي نعيش فيه هو شخص. ليس شخص كما نعرفه بل شخص بصفته تكامل من صفات الوعي المتنوعة والقادرة على المحافظة على غاياتها الجوهرية المتمثل بدعم الحياة في الفضاء. هذا الكوكب هو معرض أيضاً إلى نتائج إرباك القوة وسوء استخدامها والتي نراها حولنا كل يوم. حتى الكوكب لديه ثوبه الذهبي الخاص، ويحوز أيضأ على مجاله البايومغناطيسي وعباءة الصلاح والتقوى. لكن هذه جميعاً ايضاً تعرضت للضرر كما حصل ضرر عند الإنسان، وذلك بسبب الفشل في مكملات الحياة. لكن في حالة الكوكب فالأمر مختلف قليلاً. الكوكب له علاقة أخرى وهي تجعله مضيفاً أو يمكننا القول المرشد أو الوالد لأشكال الحياة المختلفة التي تنمو وتتكشف داخل الكوكب. الكوكب إذاً هو في الحقيقة مكان للنمو والعيش والتطور والتقدم. لكن تلك الأشياء التي وضعت في الكوكب لتنمو وتعيش وتتقدم، إذا ساءت حالتها عبر انحراف توجهها، عندما يتم تحريف وسوء استخدام كافة الفرص التي منحتها الطبيعة فهذا يجعل الكوكب يصاب بالمرض. يصبح عاجز عن تحقيق مصيره، بحيث يعجز عن صنع الأشياء التي عليه صنعها لنا لأننا استنزفنا كامل مصادره الطبيعية وذلك عبر سوء الاستخدام. لقد استنزفنا قوته وجماله وحكمته ومحبته وكل هذه الأشياء، حتى لم يبقى شيء، ويبقى لدينا أجسام خاوية وعقول فارغة. وفي هذه اللحظات من القرارات الحاسمة تتدخل قوانين الحياة، ويقول القانون: لا يمكن الفشل.. قد يكون هناك تأخيرات وقد يكون هناك أخطاء، لكن على المدى الطويل وجب للأشياء أن تمر بسلام. ذلك الذي خُلق من قبل القوة الإلهية سوف لن يرتاح حتى تكسب الألوهية بداخله التفوق على باقي الأشياء.

لدينا الآن ما يمكن تسميتها حالات طارئة. هذه الحالات الطارئة هي الحروب والأوبئة والمشاكل الصحية والمشاكل الجوية والمشاكل البيئية والزلازل.. وكافة المشاكل الاخرى. هذه الكوارث الكبرى تتشابه مع الانهيار العصبي لدى الفرد، يمكن أن نجد تشبيه لها في القرحة المعدية وباقي الحالات الأخرى التي تعذبنا. هذه الكوارث الكبرى لها مثيلها على المستوى الفردي في الصداع والصرع.. الكوكب المريض هو أكثر أو أقل متجلي في كل من الكائنات المريضة فوقه. وتلك الأشياء التي تعيش في حالة مرض ومتواجدة على سطح كوكب مريض عليها أن تعالج ولا يُسمح لها أن تحدث دمار وخراب. وفقاً للكتابات القديمة، فإنه ممكن لعرق أو أمة أن تندثر كلياً نتيجة سوء أعمالها. لكن الحياة في تلك الأمة لا يمكنها أن تندثر، قوى العيش والنمو سوف تستمر. وليس هناك أي ملاك ساقط إلا ووجب استرداده. بالتالي تدريجياً، تلك الأشياء التي تفشل تماماً تندثر وتزول ويأتي مكانها

أشياء جديدة بحيث يكون لديها كمية أكبر من التكامل والاستقامة. هذا هو الوضع المأساوي الذي نقترب منه في الوقت الراهن.. الإندثار.

نحن اليوم نواجه مرة أخرى عواقب سوء الاستخدام المستمر للمصادر الطبيعية. نحن في نفس موقع مدمن الكحول العجوز الذي استمر في شرب الخمر حتى لم يبقى لديه سوى القرحة المعدية والألم الشديد. خطط الطبيعة بسيطة جداً وواضحة جداً، لكن يوجد خلفها حقائق غريبة علينا. أحد تلك الحقائق يوجد حقيقة حتمية تقول بأنه عليك أن تطيع وإلا. عندما تجد بلد أو عالم كما هو قائم اليوم، تجد الأمر ذاته ينطبق على مجموع الأمم ومجموع الكواكب كما نراه منطبق في البلدات والمدن وفي منازلنا الخاصة. دائماً، عندما يكون هناك شيء خاطئ سوف تصاب الحياة الداخلية للفرد بجروح. وهذا الثوب الذهبي، "النفحة"، الذي نبنيه تدريجياً، يتضرر ويتأخر ويُحبط بفعل تجاوزات وانتهاكات وفساد جيل غير عقلاني. لدينا طرق كثيرة ممكنة لفهم هذا الوضع، نحن ندرك ذلك كل يوم، نراه في كل صحيفة ووسيلة إعلامية. نشاهد هذه الحالة في كل مرة نشغل التلفزيون، هذا العالم الموبوء بالمشاكل. لكن ما لا تقوله لنا السجلات بالضرورة هو الأفراد الموبوئين بالمشكال. الأشخاص الذين نعرفهم في نفس الحارة التي نسكنها يمرون بنفس النوعية من الأزمات. الأزمات التي تصيب الفرد سوف تصيب لاحقاً العرق بكامله.

القوى الغامضة التي سببت بدمار أطلنطس التاريخية أصبحت الآن تتشكل وتتجمع عند جذور حضارتنا. في كل مكان لا بد من وجود الاستقامة أو مع مرور الزمن عندما يصبح واضحاً أن الفرد لن يتحرر فسوف يتم إزالته واستبداله بفرد جديد، والفرد الجديد يكون لديه فرصة وبيئة جديدة ولكن كما العادة سوف يكون هناك درس جديد ليتعلمه في الحياة. خلال دراسة كل هذه الأشياء يمكننا بعض المرات أن نقول لأنفسنا: ربما علي أن أحوال تحسين طبيعتي. لماذا نحن نبحث وندرس في مجهود يجعلنا أفضل قليلاً مما كنا؟ نحن ندرس ونبحث لأنه في داخلنا هناك شيء يتعذب، هناك ألم في القلب، ويوجد قلق في العقل، هناك حصر نفسي، وهناك أيضاً مساومات مستمرة على تكاملنا الأخلاقي، ودائماً مع عواقب مريرة. كل هذه الأمور تحصل معنا كل يوم، ولا نعرف ماذا سنفعل حيالها. نشعر بأنه على أحد أن يضع قانون لضبط هذه الأمور، لكن هذا مستحيل، لأننا لا نستطيع وضع قوانين لبعضنا البعض، بل علينا أن نضع قانون لأنفسنا والعيش وفقاً له. والعلاج الوحيد للمشكلة هو ليس محاولة إيجاد تشريعات تساعدنا على الخروج منها، بل عبر إجراء التطبيق

الصحيح للمبادئ المتعلقة بسلوكنا. وهذا بدأ يبدو واضحاً لنا. بدأنا نرى خطة جميلة تتعرض للخطر. تواجه الخطر من أنانية وجشع الأفراد. وهذه الأنانية والجشع تظهر في البداية من خلال المجال البايومغناطيسي، إذ هو المؤشر الأوّل الذي يظهر أعراض المرض. هذه الحالة هي نتيجة حتمية للمساومة المستمرة على المبادئ الأخلاقية والأنانية اللامحدودة والطموح الجارف وكل نوع من الفساد وانعدام الأخلاق. هذه الأمور سببت بمرض مصدر حيويتنا. سببت بمرض الإمدادات التي نحتاجها لكي ننمو وتحقيق مصيرنا. هذه العلل كانت معروفة جيداً لدى القدماء، كانوا على علم جيد بأن المصدر الكبير لآلامنا يكمن داخلنا وليس في العالم الخارجي، وأن العالم يعاني لأننا على خطأ، ونحن نعاني ليس بسبب مآسي العالم وأحزانه بل بسبب فشلنا في ضبط حياتنا وتنظيمها.

أصبح لدينا حضارة عالمية جديدة اليوم، والتي هي الاكثر تعقيداً من كل ماعرفه الإنسان من قبل. هذه الحضارة تشمل كافة أنواع الأفكار المتضاربة والمتطايرة حولنا. نرى أمم حاضرة لتذهب إلى الحرب والموت بسبب الثروة والسلطة والنفوذ والقوة. هذه مجرد صورة كبرى للفرد وما يحويه داخل نفسه من تناقضات وطموحات منحرفة، حيث هو مستعد للإطباق على أحد منافسيه والسعي إلى تدميره بالكامل. عندما تتضاعف أنانية الفرد تصبح مضيفة لمجموعة كائنات شريرة تسعى إلى استدامة الأنانية ونشرها في كل مكان. الكوكب بذاته مريض والأرض تحت أقدامنا أصبحت فاسدة. لا يوجد سوى طريقة واحدة لإصلاح كل هذا، وهي السعي إلى إجراء التغييرات بداخل أنفسنا. يمكن لبعضنا القول: وماذا بعد؟ لنفترض أننا أجرينا هذه التغييرات، كيف سنواجه الملايين الآخرين الذين لن يتغيروا؟ سوف يستمرون في الدرب الخاطئة لأبعد ما يمكنهم وصوله. الجواب على هذا السؤال هو بسيط جداً: ما يفعلونه سوف يواجهون عواقبه بأنفسهم. لكن عندما نتغير فهذا التغيير هو شخصي يخصنا فقط. مهما أصبح الباقون سيئين، نحن على الجانب الآخر نتحسن ونصبح أفضل مع مرور الوقت. مهما كانت الأخطاء التي اقترفوها فنحن لا نحتاج لإقتراف أي منها. والحقيقة المهمة تكمن في وقت الحصاد، عندما يحين الوقت لرحيلنا من هنا والانضمام إلى العصور، في فترة النوم بين التجليين، أو فترة الاستراحة خلال الانتقال بين حياة وأخرى، سوف نأخذ معنا كل شيء كان خيراً، وما من شيء ليس لنا سوف يرافقنا، وبالتالي، رغم معاقبتنا في الحياة العادية، لكن في الحياة العظيمة نحن نكافأ. وإنه أفضل أن نكافأ للأعامل الخيرة بدلاً من المعاناة من العقوبات التي نعانيها جميعاً خلال حصول كل هذه الأشياء الخاطئة حولنا.

لهذا السبب لدينا الدين. الدين الذي ربما هو أجمل مصدر في العالم للوحي والإلهام. لكنه أصبح الآن مقسوماً إلى مذاهب وطوائف مع اختلافاتها الاجتماعية المتنوعة، مع نزاعاتها وحروبها وتناحرها، وعدم التسامح بكافة أشكاله. الدين الذي وجب أن يكون مصدر الوحدة والخير أصبح عكس ذلك حيث الانقسام والتناحر. الدين الذي ينقسم على نفسه سوف ينهار حتماً، كما باقي الأشياء الأخرى التي تنهار. وعندما ينهار الدين سوف يقول الناس بأنه تم إصلاحه من قبل قوة إلهية. تم إصلاحه لأن كل فرد يعرف الحقائق قد غير توجهه، وفي تغيير توجهه تغير مصير العقيدة. لكن هذا غير صحيح، حيث الدين الموحى من السماء ليس بحاجة إلى إصلاح بل نحن بحاجة للإصلاح. كل شيء يبدأ من تحسّن الفرد، هذا هو عالمه الخاص، لقد تم خلقه من أجل كماله. لقد وجد في هذا العالم لكي ينمو ويجني موقعه في منزل الكون الكبير. كل شيء خيّر سوف يأتي عبره، وسوف يأتي إليه من مصدر الخير العظيم. الحكماء الكبار الذين جاؤا ليعلموا البشرية ويجلبون لها التشجيع والقوة والخلاص. الأمر مشابه لحالة المدمن على الخمر والذي أصبح مريض جداً، فيجلبون له أحدهم ليقنعه للتخلي عن عادته السيئة، فيجلبون له طبيب مثلاً ليقنعه بالتوقف والتخلص من هذه العادة ومن ثم يستمر في حياته. كذلك الحال يوجد أطباء للروح، والذين جاؤوا لمساعدتنا. ليس ليقوموا بالعمل بالنيابة عنا لأنهم لا يستطيعون ذلك، بل يلهمونا لكي نقوم بالتغيير بأنفسنا لأن هذا التغيير هو جوهري بالنسبة لنا ولحسن بقائنا.

القليل من التغيير فحسب هنا وهناك في منظومتنا الاجتماعية سوف يساهم في تخفيض مستوى حالات الطلاق بنسبة ٥٠%. القليل من التغيير في بعض شرائعنا وقوانيننا سوف يساهم في تخفيض الجنح التي يقترفها الشباب الصغار. هذه المواضيع تمثل مجالات مهملة ونحن ننتظر صدور قوانين حكومية لتغيير هذه الأوضاع السيئة. لكن الجهة الوحيدة التي تستطيع تغييرها هي العائلة ذاتها، من خلال الترابط والتوافق فيما بين أفرادها، الأبوين والأولاد، متحدون معاً لفعل كل ما هو صائب وسليم. رغم وجود من يسقط من على اليمين ومن يسقط من على اليسار، لكن العائلة المستقيمة سوف لن تتأثر أبداً بالظروف المحيطة. كل الإنجازات التي يمكننا تحقيقها، إذا كانت صائبة فهي خالدة. هكذا كانت تقول الكتابات القديمة، كلما تم استعراض حقيقة معينة، كانت هذه الحقيقة تتلقى أجنحة وتتحول إلى ملاك. الحقائق تصبح خالدة. الوقائع تصبح خالدة. الذين يتمسكون بها ويتعايشون معها سوف يكسبون خلودهم الخاص. ذلك الذي يمثل الحقيقة لا يمكنه أن

يموت. ذلك الذي هو خاطئ لا يمكنه أن يعيش. هذا ينطبق على الأمم كما على المنازل وكل شيء آخر. هذا يصبح جزء من موروثنا الثمين. يصبح جزءاً من أمل المجد لدينا.

نحن نعرف اليوم بأننا وصلنا إلى نقطة حرجة. وعلى كافة موارد الحضارة أن تتوحد لإنجاز تحول إيجابي لغاية وجودنا. نحن لن نندثر أو نتوقف عن الحياة إذا لم نصنع التغيير، لكن سوف نعود مرة أخرى إلى الحياة الشاقة مع الكفاح والصراع والمعاناة لنكسب مرة أخرى ما نسيء استخدامه الآن وهي المعرفة والحكمة في الحياة. طالما هناك أنانية سوف يبقى هناك ألم. طالما هناك جشع سوف يبقى هناك معاناة. طالما هناك كره وحقد سوف يبقى هناك أحزان. وجب التغلب على كل من هذه الأمور السلبية. ومدارس الحكمة القديمة أنشأت نظام التلمذة ووضعت أحكام وقوانين مختلفة لتطوير وإنماء الشخص الذي أراد أن ينمو. الذي أراد أن يكون أفضل. وكل هذا يستند على حقيقة أنه على الشخص ذاته أن يقوم بالمجهود. عليه أن يقرر بحق وبصدق. لم يكن قادر حتى على محاولة اكتشاف إن كان ما يفعله هو صحيح أم لا. كان عليه أن يقرر هذا الأمر بنفسه أيضاً. إذا كان على حق فكان يثبت ذلك من خلال حكمته وتفهمه، وإن كان مخطئ كان يعجز عن إثبات أحقيته. وإذا لم ينمو فكان يحاول مرة أخرى. على كل شيء أن يأتي من المجهود الصادق لإحراز النصر على مركزية النفس وعدم المبالاة.

نحن الآن نوجه كلامنا إلى الجيل الحالي والذي يُشار إليه عموماً بجيل المرح ووالمتعة واللهو. الأمر الوحيد الذي يميزه هو أنه لا يوجد في الحقيقة الكثير من المرح والمتعة في هذا الجيل. وسوف لن يكون هناك مرح ومتعة في المستقبل طالما بقي هذا الجيل على ما هو عليه. لأن المجهود نحو المتعة والمرح ليس محكوماً بأي شيء. ما هي المتعة؟ معظمه مسرف ومبذر ومتهور، مع الكثير من قلة الأخلاق، وكافة أنواع التنافسات التافهة، والكثير من الأخطاء في العمل الجاد. مجال الترفيه المنحرف وكل هذه الأمور تسمى متعة. نحن نمضي معظم ساعات اليوم الواحد أمام التلفزيون، وماذا نشاهد؟ لا شيء يفيدنا في حياتنا إطلاقاً. نحاول أن نأخذ تلك البذرة الصغيرة بداخلنا، بذرة الخلود، ونتوقع منها أن تصمد في بقائها تحت كل ذلك القصف المستمر للعوامل السلبية. كل شخص له طريقته في تمتعه في الحياة. الناس الذين يتجولون الآن وسط كل تلك الوسائل الترفيهية التي نسميها ممتعة، هل هم يتمتعون فعلا؟ هم على الأغلب يصرفون الأموال وغالبهم يصحون في الصباح التالي واقعين في ديون أو مرضى أو حتى أموات. لذلك علينا أن ننظر حولنا حيث يوجد

كل أنواع الأشياء الرائعة والمثيرة للاهتمام التي يمكننا فعلها. أشياء تساعدنا على التعلم ونزيد من الوعي والنمو لدينا. هناك الكثير من الطرق التي تساعدنا على النمو بسعادة وفرح. هناك الموسيقى والفن والأدب، وهناك أنواع كثيرة من الهوايات، وغيرها من نشاطات يمكننا من خلالها تعلم شيء يفيدنا. يمكننا من خلالها النمو حيث ندمج المتعة مع التعليمات ونخرج من كامل الموضوع مع قليل من التنور وبعض التقدير لروائع الحياة. لكن بدلاً من ذلك نجلس جامدين أمام التلفزيون ونشاهد القتل والسرقة والغدر وغيرها من مؤثرات سلبية والتي هي ليست حقيقية أصلاً. هي مجرد منتجات معروضة للبيع، وقد اشتريناها وتمتعنا بها، دون أن يكون لها أي فائدة حقيقية. هذا أمر سيء جداً. نحن نقع لها بسهولة، لكن علينا أن نخلص أنفسنا منها كأفراد. وإذا تخلصنا منها سوف نكتشف بأننا أكبر بكثير من هذه الأمور التافهة.

ليس هناك أي سبب يجعل المجال البايومغناطيسي لأجسامنا ملوثاً بالشوائب. ليس هناك أي سبب ليدفع الفرد إلى تخفيض مستوى مبادئه الأخلاقية فقط من أجل المحافظة على أوقاته الممتعة. إذا كان وقته منخفضاً عليه أن يرتقي فوق مستواه بدلاً من الانخفاض معه. إذا كان هناك أمور وجب أن يفعلها لكنه يهملها لأنه يفضل التمتع بوقته، فقد آن الوقت لكي يصحو من غفوته. جميعنا اليوم نسعى ونكافح من أجل غاية مقدر لها مسبقاً أن تفشل. ولا يمكننا الاعتماد بالضرورة على الآخرين ليحددوا لنا مسارنا. لكن يمكننا أن نحاول بقدر ما يمكن أن لا نشترك بأي عمل يساهم في إفساد الحياة. بل علينا أن نفعل كل ما يمكن لكي نجعل الحياة أفضل. علينا أن نفعل كل ما بوسعنا لكي نجعل أنفسنا أكثر توافقاً مع وظائفنا في الحياة. لو أننا نستطيع رؤية التركيبة الخفية للإنسان، كل ذلك الكم الهائل من القوة الذبذبية المتنوعة، وتأملنا بكل تلك العصور التي تتطلبها بناء هذه الأجسام الفائقة التعقيد، وكيف تم إنعاشها وتفعيلها، حتى تم إنتاج مخلوق مفكر يقف على رجلين، ويحوز بداخله على بذور خلوده. لدينا كل هذه الأشياء لكننا لم نحافظ على الإيمان بها. ولأننا لم نحافظ على إيماننا بها علينا أن نتوقف الآن ونعود لنبدأ من البداية. لا يمكن لومنا على فعل ما هو صائب وسليم بالنسبة لنا. حتى لو العالم بأسره لا يحب هذا العمل فسوف لن نقلق أو نهتم، لأننا في النهاية نمثل جميعاً شخص واحد. لكن بوجود شخص واحد فقط على حق، فهذا هو سر الحوزرة على مسلك الحق والصواب والاستقامة.

في الزمن القديم كان هناك أقلية، والذين مثلوا الأرواح العظيمة التي قادت الآخرين. اليوم نحن في عالم مختلف. نحن في عالم بحيث وجب على الأرواح العظيمة أن تبرز من الناس العاديين في الأرض. وبعد ذلك يسعون إلى صياغة قوانين بسيطة للإنسانية بحيث تطغي على القوانين والممارسات الزائفة لجيلنا الحالي. علينا أن ندرك بأنه من واجبنا السعي إلى إنماء هذا الجسم الروحي بداخلنا، وإنه من حقنا وامتيازنا أن نتحكم بطريقة نمو حياتنا الداخلية. رغم أن الآخرين قد يكونوا غير سعداء، حتى نحن قد نبقى كذلك، لكن إذا كنا نفعل أفضل ما يمكن فسوف يكون هناك مكافئة معينة. العمل الخيّر هو نوع من الصلاة، بينما العمل الشرير هو لعنة. لدينا الكثير من اللعنات في عالمنا لكن ليس هناك سوى القليل من الصلوات. الصلاة من أجل الخير هو من الأشياء البسيطة التي نفعلها لنساعد أحدهم في مشكلة أو نساعد أولادنا للبقاء ضمن نطاق المبادئ الأخلاقية. ابدأ بتربيتهم لكي يكونوا على صواب، ولا تسمح لهم باتباع طريقنا المنحرف. كل ما يمكننا فعله كأفراد سوف نفعله في غياب أي إمكانية للعقاب عليه. لكن معظم ما نفعله الآن نجد أن العقوبة أمر حتمي وواضح. دعونا نحاول أن نفعله بشكل صائب. نحاول أن نكون على توافق مع التقدم إلى الأمام، على توافق مع القانون.

بالعودة إلى فكرة الزواج من الحمل المذكورة في بداية هذا الموضوع، الزواج من الحمل هو بكل بساطة الاتحاد بين روح الفرد والروح العالمية، أو عودة الروح الفردية إلى الروح الكلية والتي ترشد قوة الحياة دائماً وبداً. نحن لا نعرف إلى أين تتوجه الحياة بالضبط، لكننا نعرف أين تذهب لفترة قصيرة على الأقل، لكننا لا نعرف ما يقبع في نهاية طريق الكائن البشري. كافة المعلمين العظماء في العالم أعطونا صورة مشرقة ومجيدة عن ذلك الذي ينتظرنا. لقد أعطونا الرؤيا عن ذلك الذي يزور أولئك الذين يتجاوزوا أخطاء وعيوب زمانهم. وقد مُنحنا عدة ديانات عظيمة، التي قد تختلف في أسمائها لكنها متطابقة جوهرياً في تعاليمها. لكن فقط أولئك الذين يعيشون الحياة الصحيحة يستطيعون معرفة الصيغة الحقيقية لتلك التعاليم. يمكننا عيش تلك التعاليم تدريجياً وبطرق معينة تتناسب مع أوضاعنا. ومن خلال عيشها سوف ننمو من حيث الصلاح والاستقامة. هذا ليس أمر صعب بل هو وظيفتنا أصلاً هنا في الحياة. كل ما علينا فعله هو التحضير لعيش حياة معتدلة ومتواضعة. الطموحات الزائفة سفحت العصور. أمجاد الاسكندر ذهبت دون رجعة، القيصر مات وذهبت سلطته إلى الأبد، هتلر وموسيليني ذهبوا في طريقهم، كل الدكتاتوريين العظماء غادروا ولم يتركوا شيئاً خلفهم سوى صروح من الحزن والأسى. الطغاة الصغار أيضاً ينتظرهم نفس المصير.

الذين يملكون عمل معين ثم يفلسونه بسبب طمعهم في الربح، كل أنواع الجهود لغاية الثراء على حساب إفقار الآخرين، كل هذه الأشياء تمثل طريقة حياة سيطرت على أغلبية الناس الآن. وهي طريقة حياة أدت إلى تجريدنا من استقامتنا الأخلاقية. نستطيع ابتكار أشياء كثيرة لكننا لا نستطيع معرفة كيف نستخدمها. وذاك الذي لا نستخدمه سوف نسيء استخدامه. لدينا طرق كثيرة للحصول على الأشياء، لكن ليس الكثير من الطرق الصائبة لاستخدامها. لتحصل على شيء يعني الحصول على قوة، مع أنها في الحقيقة مجرد فرصة للنمو.

في هذه الفترة بالذات نحن نواجه تحول كبير نحو تغيير جذري وهائل. رغم كل المساوء التي يحمله هذا التغيير إلا انه يجلب بعض الأشياء الجيدة. هو لا يحمل أخبار سيئة بالكامل، بل هناك مجهود هائل يُبذل الآن، حيث الناس في حالة نمو أكثر من أي وقت من قبل. أصبح هناك سبب حتمي للإعتقاد بأن الفرد بدأ يعلم بأنه ليس كائن يحوز على إرادة حرة بشكل مطلق بل هو مخلوق يخضع للقانون، وهذا القانون هو قانون الحكمة والرحمة. بدأ الفرد يدرك أكثر وأكثر بأن خلاصه يأتي من استقامته وتكامله الأخلاقي. من خلال إدراك هذه الحقيقة والعيش وفقها، يمكننا تقديم مساهمة قوية إلى مستقبل عرقنا. ليس هناك سبب يمنعنا عن فعل شيء كل يوم لتبرير الاعتقاد بأننا نعمل فعلياً لغاية خيرة.

خلال وجودنا هنا محاولين فعل شيء لكي نساعد بقدر ما نستطيع، نحن ممتنين بشكل كبير للمساعدة التي تلقيناها، ثم نكتشف فجأة بأنه في عالمنا الصغير هذا هناك أناس يريدون أن يعيشوا بشكل جيد، ويريدون أن يعملوا ما هو أفضل، ويريدون أن يفكروا بشكل أفضل، يريدون أن يضيفوا إلى محتوى الحياة. لقد سئموا من سهرات اللهو وجلسات السمر والمشروبات، لقد سئموا من البذخ والتبذير، وازداد أذاهم من المسكرات والمخدرات، والآن أصبح المرض الأخلاقي يشتد ساعده على عرقنا البشري. لقد أصبحنا وسط دليل كبير وواضح على أننا مخطئون. لم نعد واثقين الآن ما هو الصائب وما هو الخاطئ. نحن نعلم مثلاً ان الصواب هو جميل وخيّر وصادق. الصواب هو شيء يمكننا تعليمه لأولادنا دون خجل. الصواب هو شيء يمكننا محاولة عيشه كل يوم دون اعتذار من أحد. الصواب هو تكريس قسم معيّن من حياتنا للفائدة. لقد شددنا بشكل مبالغ به على موضوع الحرية، وعلى الحقوق الفردية. أصبح لدى الفرد شعور بأنه مبرر تماماً هجر عائلته وترك أصدقائه والانقلاب على وطنه، فقط من أجل أن يكون حراً. ما هي الحرية؟ بالنسبة له، الحرية هي بناء

تدريجي لقفص، والذي مجرد أن قبض عليه سوف يتحول إلى ما هو أسوأ من عبد. الحرية في الحقيقة هي نوع من الاستعباد الذاتي بالنسبة لمعظم الناس. الحرية اليوم هي وضع الفرد لمتعته وأهوائه قبل الخير العام وقبل مصلحته الحقيقية. من خلال النظر حولنا نرى النشوء التدريجي للدين لكن بطريقة جديدة. نحن نقترب أكثر وأكثر إلى وحدة الإيمان. وهذا سيمثل خطوة هائلة في الاتجاه الصحيح. نحن أيضاً نتوصل إلى إدراك حقيقة أن الدين هو ليس القيام بفرائض معينة أو الإلتزام في حضور أماكن العبادة. بل هو عملية جلب حقائق الحياة إلى المنزل وإلى العائلة وإلى مكان العمل. الدين الحقيقي يكمن في الدكان، في المنزل، في المدرسة، في المستشفى، وفي المحاكم. الدين هو ليس شيء نتحدث فيه عن اللاهوت والتفسيرات المختلفة التي غالباً ما تكون خاطئة. بل هو عيش الشريعة الذهبية التي يعرفها كل دين في العالم، وأن ندرك بأنه بالرغم من تقدمنا وارتقائنا التقني والعلمي، إلا أننا لا نستطيع النمو فوق الوصايا العشر مثلاً أو الموعظة على الجبل لسيدنا المسيح، هذه ثوابت حتمية وأبدية. نستطيع أن نخرقها لكننا سوف نعاني بعدها. ويمكننا الالتزام بها وسوف تصبح حالتنا أفضل. وهذا شيء على كل فرد أن يفعله بنفسه، هو لن يفعلها لأن جاره يفعلها أو لأن مجتمعه يفعلها. لكن حتى لو مجتمعه يفعلها، إذا لم يكن الأمر تكريس شخصي نابع من الفرد فسوف لن تجلب نهاية لجهله وسوء استخداماته للسلطة.

لذلك نأمل أن يتذكر كل فرد بأن هذا الثوب الذهبي، أي "النفحة" الإلهية، هو ثوب المحبة الإلهية. هو ارتقاء الحب منتصراً. هو الدليل على أنه عندما نحب بصدق فسوف نخدم دون مقابل، وعندما نحب فعلياً فإننا نعطي دون مقابل، بينما إذا كانت عواطفنا زائفة فنحن نأخذ. مع هذا نحوز أيضاً على الإلهام والذي أصبح لدى معظم الناس يعتبر غريب. بالكاد نحب من هو قريباً منا الآن، خصوصاً إذا تدخلوا في طموحاتنا. كما أننا سوف نهجر القريبين منا إذا تدخلوا في حريتنا. كل شيء بالنسبة لنا وجب أن يتعلق بالحرية. لكن في الحقيقة، ليس هناك أنسان جاهل وحر بنفس الوقت. وليس هناك إنسان منخرط في شؤون دنيوية ويمنح أهمية للمواضيع المادية والمجردة من الأخلاق يكون حراً. جميعنا علينا إدراك حقيقة أن الحرية تعني الامتياز بأن نكون على حق. وهذا الامتياز يعود لنا جميعاً، ومكافئته هي الحرية من كوارث أخطائنا. وليس هناك أي طريقة تجعلنا نربح هذه المعركة. أنظروا إلى السماء، أنظروا إلى النجوم، سوف يمر زمن طويل جداً قبل أن نتمكن من الهيمنة عليهما، أو الخروج إلى الفضاء واستكشافهما، أو زيارة أحد الأجرام.

لا نستطيع تغيير اللانهائي. لكننا لسنا بحاجة إلى ذلك. لأن اللانهائي هو على حق. وليس لدينا أي حق أعظم من حقه. واللانهائي هو الحب اللانهائي، التجسيد الانهائي عبر الزمن اللانهائي والفضاء اللانهائي. ونحن نعيش وسط هذا الحب الإلهي، وخلال عيشنا هذه الحالة يتغلغل محتواها تدريجياً إلى داخلنا وينعش كينونة الروح المشعة، "النفحة". و"النفحة" هي الحب بداخلنا. وبذلك تتحول لاحقاً إلى محبة الإنسانية لكل شيء حيّ. وعندما نطور هذه الحالة ونصبح جزء من كون من المحبة، لن نعد نقلق بعدها من خطايا الجسد. لأنها سوف تصحح نفسها بطريقة جميلة. لن يعد الأطفال يُتركون أمام دار الأيتام مهجورين، ولن يعودوا يأتوا إلى هذا العالم الموبوء وهم مرضى حتى قبل الولادة. هذه الأمور وجب أن تتغير. وجب أن يخرج من داخل أنفسنا اعتبار فريد بحيث ليس فقط يساعد على هذا التغيير بل عندما نبدأ بالتطبيق والممارسة سوف يزداد سطوع نور "النفحة" داخلنا. حينها فقط تصبح قوة الروح منتصرة على القوة الهمجية السائدة في العالم. كل شيء يكون في أمان فقط عندما تسود المحبة وتصنع القوانين. وهذه القوانين المصنوعة من قبل المحبة يمكننا إيجادها في كافة الديانات الكبرى حول العالم، وهي أيضاً كامنة بشكل حتمي وأبدي في قلب الإنسان.

الجزء الثالث

النهاية السعيدة آتية حتماً

مشهد من المستقبل



بعد التعرف على مدى قوة ونفوذ هذه المنظومة المالية المسيطرة على كل جانب من حياتنا، وحتى أنها متغلغلة إلى داخلنا وتتحكم بقوانا الباطنية حيث كل رغباتنا وآمالنا تخضع لعامل المال كلياً، نبدأ بالتساؤل، كيف يمكن لهذا الوضع المأساوي الذي تتخبط فيه البشرية أن يزول ومن ثم يتحرر الإنسان من قيوده؟ طالما أنه ما من طريقة لفعل شيء من جانبنا يمكنه التغلب على سطوة هذه المنظومة النافذة التي تكبلنا من الخارج والداخل معاً، ما هو إذاً طريق الخلاص؟

في الحقيقة، يبدو أن طريقة تفكيرنا هي التي تؤدي بنا إلى هذا الإحباط بخصوص هذا الموضوع. من خلال التساؤلات السابقة يبدو واضحاً اننا نسينا أمر مهم جداً، نسينا عامل حاسم وأساسي، وسبب تجاهلنا له يعود إلى عدم الإيمان الحقيقي لدينا. نحن لازلنا نفترض بأننا كائنات وحيدة موجودة في هذا العالم بشكل عشوائي وتنتظر مصيرها الذي هو تحت رحمة الظروف الفوضوية للوجود. ننسى كلياً أي حضور إلهي يرعى الوجود وكل ما فيه من كائنات. هناك نقطة معينة سوف تتحرك خلالها القوى الإلهية والتي لن تسمح أبداً بانكسار الإنسان إلى هذا الحد. عندما تتيقن بأنه ما

من غاية أو حكمة لاستمرار هذا الوضع فسوف تتصرف، لكن كيف ستفعل ذلك؟ هناك الكثير من الوسائل والطرق، نحن نتكلم عن كيان كلي القدرة وكلي المعرفة وكلي الحكمة. وبالتالي لا أعتقد أن هذه المهمة تمثل أي مشكلة بالنسبة له.

في الحقيقة، لقد اطلعت على الكثير من السيناريوهات المستقبلية المتعلقة بهذا الموضوع، وجميعها تفترض حصول الحل من داخل الطبقة المسيطرة. هذه الحلول لن تأتي أبداً من الجماهير التي هي واقعة تحت تأثير يشبه التنويم المغناطيسي بحيث لا تدرك بالضبط ما هي المشكلة وأين تتأصل هذه المشكلة، حيث الجميع يلهث في سباق محموم نحو الكسب والربح والنفوذ والسلطة ظناً منهم أن هكذا هي الحياة وهكذا تأصلت وبالتالي وجب عيشها بهذه الطريقة لأنها الأنسب. لا يمكن للحلول أن تأتي أبداً من هذا الوسط الجاهل والذي يجهل بأنه جاهل. كما يقول المثل: *".. غسيل السلّم يبدأ من الأعلى.."*، ومن هناك سوف يأتي الحل، أي من قلب الطبقة المسيطرة.

طرق الإله الأعلى لم تكن أبداً عنيفة أو همجية بل هي دائماً تتسم بالمحبة واللطف والرقة. هي تتجلى بطريقة سحرية بحيث ليس لها أي تفسير منطقي نحن معتادين عليه. هي تتجلى كما لو أنها صدفة جميلة، أو حسن حظ ناتج من اجتماع عدة ظروف مواتية، مع أنه لا يوجد في الكون أي شيء يحصل بالصدفة، كله محسوب ومقرر مسبقاً.

من بين مجموعة السيناريوهات المستقبلية التي اطلعت عليها، أكثر ما لفت انتباهي هو ذلك السيناريو الذي تحدثت عنه "أناستازيا" في مجموعة كتب "الأرز الرنان" والتي استشرفته من المستقبل بواسطة قدرتها الاستبصارية. سوف نتعرف من خلال هذه القصة على الطريقة التي يتبعها الإله الأعلى خلال تنفيذ إرادته والتي لا تخلو أبداً من المحبة.

الموضوع التالي مقتبس من الجزء الثامن من مجموعة "الأرز الرنان" للكاتب "فلاديمير ميغري"، وهو يمثل كامل الفصل السابع وهو بعنوان "الملياردير".

الملياردير

كان الملياردير "جون هايتزمان" يحتضر في الطابق الثاني والأربعين من البرج المكتبي العائد له. الطابق بكامله تم تحويله إلى شقة سكنية يستخدمها بنفسه. فيها غرفتي نوم وصالة رياضية ومسبح وصالة طعام ومكتبين، وهذا المكان هو مكان عزلته طوال السنوات الثلاث السابقة. طوال هذه الفترة لم يغادر شقته ولا حتى مرة واحدة. ولا حتى أنه استخدم المصعد السريع إلى أي من طوابق البرج الأخرى حيث تقبع نواة امبراطوريته المالية والاقتصادية والتي تعمل بكامل طاقتها. ولا أنه صعد إلى السطح ولا حتى مرة واحدة، حيث تقبع الطوافة الخاصة والتي تكون في حالة جهوزية على الدوام وطاقمها على استعداد دائم ينتظر أوامره.

ثلاث مرات في الأسبوع، كان "جون هايتزمان" يستخدم أحد مكتبيه لاستقبال أربعة من أقرب مساعديه. خلال هذه الجلسات الوجيزة، والتي لا تدوم أكثر من أربعين دقيقة، كان يستمع إلى تقاريرهم بشيء من اللامبالاة، ثم يصدر أوامر وجيزة في بعض الأحيان. لم يتم مناقشة أوامر الملياردير أبداً، بل كانت تنفذ فوراً وبحرفيتها. قيمة رصيد الامبراطورية المالية تحت قيادته المنفردة تستمر بالازدياد بنسبة ١٦.٥% في السنة. حتى خلال الشهور الستة الماضية، حيث انقطع "هايتزمان" عن إقامة الجلسات الثلاثة أسبوعياً مع مساعديه، لم يظهر دفتر الحسابات أي خسائر مالية أو انخفاض في نسبة المرابح. النظام الذي ابتكره استمر في العمل تلقائياً دون أي خلل.

لم يعرف أحد ما هي قيمة ميزانية الملياردير المالية. بالكاد يُذكر اسمه في وسائل الإعلام. لقد التزم "هايتزمان" بالقانون بشكل صارم، والقانون يقول: *".. المال يكره المشاكل.."*.

عندما كان لازال شاب، تلقى النصح والتعليم من والده بخصوص هذا المجال، كان والده يقول له:
".. دع أولئك السياسيون حديثي النعمة والمغرورين ينشرون غسيلهم على شاشات التلفزيون وفي صفحات الجرائد والمجلات. دع الرؤساء وحكام الولايات يلقون خطاباتهم للجماهير، مطمئنينهم بأن كل شيء على ما يرام. دع المليارديرات يجولون أمام عيون العامة في البلد متباهين بسياراتهم الفاخرة وحراسهم الشخصيين. هذا ليس الطريق يا عزيزي "جون" الذي سوف تتبعه. عليك أن تبقى

في الظلّ وتستخدم قوتك، قوة المال، لتتحكم بالحكومات والرؤساء والأغنياء والفقراء والموجودين في عدة دول مختلفة. لكن وجب أن لا يحزروا من الذي يتحكم بهم.."

".. الخطة بسيطة في حدها الأقصى. أنا من ابتكر فكرة المعونة المالية للدول النامية، والتي تشمل أسماء عديدة من المستثمرين. وفي الحقيقة فإن سبعين في المئة من رأس مال هذا المشروع هو ممول من قبلي أنا لكن تحت غطاء عدة أسماء مختلفة. في ظاهر الأمور، من وجهة نظر الجماهير البليدة، فإن المعونة المالية وجدت بهدف دعم البلاد النامية. لكن في الحقيقة أنا ابتكرتها كوسيلة مجدية لجمع الأتاوة المالية من البلاد المعنية.."

".. إليك مثال على طريقة عملي: لنفترض بأن صراع مسلح نشب بين جهتين. إحدى تلك الجهتين (غالباً كلتاهما) تحتاج للمال. فأمنحهم المال، لكن يتم إعادة دفعه لي مع فوائد. أو لنفترض بأن بلد ما تمر بحالة انتفاضة أو زعزعة اجتماعية، ومرة أخرى يُطلب المال. فأمنحهم المال، لكن يتم إعادة دفعه لي مع فوائد. أو قوتين سياسيتين تدخلان في حالة صراع مع بعضهما، وإحدى الجهتين تتلقى الدعم المالي من أحد وكلائنا، ومرة أخرى يعيدون دفع المال مع فوائد. روسيا وحدها تدفع لنا مبلغ سنوي قدره ثلاثة مليار دولار.."

منذ كان في سن العشرين من عمره، كان "جون هايتزمان" يتمتع بهذه النقاشات مع والده. بالرغم من امتناعه عن الكلام بهكذا مواضيع في السابق، قام الوالد بأحد الأيام بطلب حضور ابنه "جون" إلى مكتبه ودعاه لأن يجلس بارتياح على كرسي بقرب موقد النار، بينما هو بنفسه صنع لابنه فنجان من القهوة مع الكريمة التي يفضلها ثم سأله باهتمام: *".. كيف تسير دراستك الجامعية يا جون؟.."*، أجابه ابنه: *".. هي ليست دائماً مثيرة إلى تلك الدرجة يا أبي.. لدي شعور بأن الأساتذة ليسوا ضليعين في تقديم صورة واضحة وشاملة بخصوص قانون الاقتصاد.."*

قال الوالد: *".. جيد، هذا تقييم ملائم. لكن بشكل أدق: الأساتذة اليوم يعجزون عن تفسير قوانين الاقتصاد لأنه ليس لديهم أدنى فكرة عنها. يظنون بأن الإقتصاد هو من اختصاص العلماء الاقتصاديين، لكنه ليس كذلك. الاقتصاد العالمي هو تحت سيطرة علماء نفس وفلاسفة واللاعبين الرأسماليين الكبار.."*

".. عندما كنت في العشرين من عمري، قام والدي، والذي هو جدك يا جون، بإطلاعي على أسرار المجريات الإدارية. والآن بما أنك بلغت العشرين من عمرك، أعتقد بأنك مؤهل لأن تورث هذا العلم.."

أجابه جون: *".. شكراً يا والدي.."*

وهكذا بدأت، خلال الجلسات قرب موقد النار، الدروس الحقيقية عن عالم الاقتصاد والتي لن يسمع عنها أحد في الجامعات. قام الأب بتعليم ابنه مستخدماً طريقته الفريدة الخاصة. كامل الإجراء التعليمي تم خلال هذه النقاشات من القلب إلى القب، وبنغمة طبيعية جيدة، مع طرح أمثلة وعناصر أخرى خلال الشرح. المعلومات التي كشفها "هايتزمان" الأب إلى إبنه كانت مذهلة. ليس هناك أي طريقة لاستقاءها من أي مكان آخر، حتى لو كانت أرفع الجامعات في العالم.

سأل الأب: *".. قل لي يا جون، هل تعلم كم من الأشخاص الأغنياء في بلدنا؟.. أو في العالم؟.."*

أجابه ابنه بهدوء: *".. قوائم أسماءهم منشورة في المجلات وبالتدريج وفقاً لقيمة ممتلكاتهم.."*

سأل الأب: *".. وأين هو موقعنا في هذه القوائم؟.."*

كانت هذه أول مرّة ينطق الوالد كلمة "نحن" بدلاً من "أنا". وهذا يعني بأنه اعتبر ابنه "جون" شريكاً كاملاً. مع أنه لم يرغب أن يحرج والده، لكن أجاب "جون" قائلاً: *".. اسمك يا والدي ليس مذكوراً في هذه القوائم.."*

قال الأب: *".. نعم، أنت على حق. أنا لست بينهم. رغم أنه فقط مرابحنا المالية السنوية تفوق قيمة ممتلكات الكثير ممن وردت اسمائهم في القوائم. واسمي ليس مذكور معهم لأنه على محفظة الفرد أن لا تكون شفافة ومكشوفة للجميع. الكثير من هؤلاء الأثرياء الأغنى في العالم يعملون إما بشكل مباشر أو غير مباشر لإمبراطورتنا المالية. هم يعملون عندك وعندي يا بني.."*

قال "جون" مستعجباً: *".. أبي، لا بد من أنك عبقري في مجال الاقتصاد. لا يمكنني تصور كيف استطعت جعل امبراطورية كبرى أن تدفع لنا أتاوة مالية سنوياً دون حاجة لتدخل عسكري. لقد نجحت في إقامة عملية اقتصادية هائلة!.."*

أخذ "هايتزمان" الأب ينشغل في تحريك خشب الحطب في الموقد. وبعدها، دون أن ينطق بكلمة، صب كأسين من النبيذ الخفيف لنفسه ولابنه. وبعد رشفته الأولى من الكأس بدأ يشرح قائلاً:

".. كما تعلم، أنا لم أقيم أي عملية إطلاقاً. رأس المال الذي أسيطر عليه يمنحني ببساطة إمكانية لإطلاق الأوامر، وما على الآخرين فعله هو تنفيذها. الكثير من المحللين والخبراء الحكوميين في بلاد مختلفة، حتى رؤسائهم، سوف يندهشون لمعرفة أن الحالة الراهنة في بلادهم ليست مقررة من قبلهم، بل من قبل ما أريده أنا.."

".. مراكز التكنولوجيا السياسية، والمؤسسات الاقتصادية، ومراكز التحليل العملياتي، والوكالات الحكومية في الكثير من البلدان، ولا أي واحدة منها تعلم بأنها تعمل وفق الخطوط الإرشادية الصارمة التي تضعها المديريات التابعة لي. وأنا ليس لدي تلك الكمية الكبيرة من الموظفين. مثلاً، كامل السياسة الإجتماعية/الاقتصادية القائمة في روسيا وكذلك عقيدتها العسكرية يتم تحديدها وتحريكها من قبل إحدى المديريات التابعة لي والتي تتألف من أربعة علماء نفس. كل من هؤلاء لديه أربعة أمناء سرّ (سكرتير). ولا واحد منهم يعلم بنشاطات الآخرين.."

".. سوف أطلعك كيف تعمل منظومة التحكم، إنها بسيطة في الحقيقة. لكن أولاً، يا جون، عليك أن تفهم القوانين الحقيقية للاقتصاد، والتي لن تحصل عليها من أي أستاذ جامعة. حتى أن أساتذة الجامعات يجهلون أن هذه القوانين موجودة. إليك أحد القوانين: في ظروف المجتمع الديمقراطي، فإن الرؤساء والحكومات والمصارف وكذلك المقاولين الصغار والكبار في كافة البلدان يعملون جميعاً لحساب مقاول واحد، والذي يقف عند قمة الهرم الاقتصادي. كانوا يعملون سابقاً لحساب والدي، والآن هم يعملون لحسابي أنا، ولاحقاً سوف يعملون حصرياً لحسابك.."

نظر "جون هايتزمان" إلى والده وبالكاد استطاع استيعاب كامل الموضوع. هو يعلم بكل تأكيد بأن والده ثري جداً، لكن هنا أصبح الكلام لا يتعلق بالثراء بل أكثر من ذلك بكثير، إنهم يتكلمون عن قوة نافذة، سلطة عالمية عليا، والتي سوف يتم نقلها بالوراثة إلى "جون". كل هذه المعلومات المذهلة لم يتم استيعابها بالكامل بعد. كيف يمكن لهذا أن يكون، في مجتمع ديموقراطي حر، الجميع ابتداءً من الرؤساء ونزولاً إلى مئات آلاف الشركات والمحال التجارية، الكبرى والصغرى، والتي من المفترض أنها كيانات قانونية منفصلة، هي في الحقيقة تعمل لصالح رجل واحد فقط، وهو والد "جون"؟

قال الأب مسترسلاً: *".. عندما سمعت من جدك لأول مرة ما قلته لك الآن، واجهت صعوبة في استيعاب الأمر بالكامل. ربما الآن أنت تختبر نفس الحالة.. لكن دعني أوضح أمر واحد بشكل جيد.. هناك أناس أثرياء في هذا العالم. لكن مقابل كل شخص ثري هناك من هو أكثر ثراء. لكن في النهاية هناك من هو الأكثر ثراء من الجميع. كل الأثرياء الآخرين، وبالتالي كل الذين تحت أمرتهم وسيطرتهم، يعملون جميعاً لحساب الرجل الأثرى من الجميع. هذا هو قانون النظام الذي نعيش وفقه.."*

".. كل هذا الحديث عن العون والمساعدة غير الأنانية للدول النامية هو مجرد خدعة. صحيح أن البلدان المتقدمة تمنح القروض للدول النامية عبر المنح الدولية المختلفة، لكنها في الحقيقة تفعل ذلك مقابل استرجاع مبالغ طائلة من الفوائد على القروض الممنوحة. أي بمعنى آخر، إنها عبارة عن أتاوى مالية.."

".. روسيا مثلاً، تدفع مبلغ يقدر بثلاثة مليارات سنوياً لصندوق النقد الدولي IMF، وهذا المبلغ هو مجرد قيمة الفائدة على القروض الممنوحة لروسيا. الكثير من الاقتصاديين يعلمون أن التمويل الأساسي لصندوق النقد الدولي يأتي من رأسمال أمريكي. يعلنون بأن الفوائد الباهضة النسبة على القروض الممنوحة تعود إلى الولايات المتحدة، لكن إلى من تذهب تحديداً هناك، لا أحد يعلم. أمريكا كبلد تمثل درع مجدي للعبة الرأسمالية. وهذه البلد تعتمد على رأس المال أكثر من أي بلد آخر. قل لي يا جون، هل تعلم أن أمريكا لديها ديون وطنية؟.."

أجابه جون: *".. نعم يا والدي، أعرف ذلك. والمبلغ كبير جداً. في السنة الماضية أصبح عدة مئات من الترليونات.."*

قال الأب: *".. إذاً، هذا يعني أنك تدرك بأن هذا البلد يمنح القروض لدول أخرى وبنفس الوقت تقترض لنفسها مبالغ ضخمة من الأموال.."*

قال جون: *".. نعم، وعبر الاحتياطي الفدرالي.."*

سأله الأب: *".. ومن يملك الاحتياطي الفدرالي؟.."*

لم يعرف "جون" كيف يجيب على هذا السؤال. لم يفكر أصلاً بالجهة التي تكون امريكا مديونة لها، لكن خلال محاولته للإجابة على سؤال والده لمعت الفكرة في رأسه: كل دافع ضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية يدفع للإحتياطي الفدرالي. والاحتياطي الفدرالي الأمركي هو مصرف خاص وليس ملك للدولة. وبالتالي فإن كل أمريكا تدفع مئات المليارات من الدولارات لقطاع خاص يملكه أفراد، أو فرد واحد فقط.

....

لم تكن حياة "جون هايتزمان" أبداً منغمسة بأي نشاطات منحرفة أو ضارة من أي نوع. كان يعيش طريقة حياة صحية. لم يكن يدخن أو يشرب الكحول، وكانت منظومته الغذائية صحية تماماً، وكان يمارس الرياضة يومياً في صالته الرياضية الخاصة. فقط في الشهور الستة الأخيرة توقف عن الذهاب إلى صالة الرياضة. أمضى كامل هذه الشهور الستة مستلقياً في الفراش في إحدى غرف نومه الفاخرة، والمزدحمة بأدوات وأجهزة طبية مختلفة. كان الأطباء يتناوبون على مدار الساعة في غرفة مجاورة مستعدين لأي حالة طارئة.

لكن "جون هايتزمان" لم يثق أبداً بالعلم الطبي الحديث. كان يشعر بأنه لا حاجة حتى للحديث مع أطبائه. كان هناك بروفيسور واحد، أستاذ في علم النفس، والذي كان يلتقيه ليستفيد منه بإجابات

قصيرة على بعض تساؤلاته. لم يكن "هايتزمان" يهتم حتى بمعرفة أسماء أطبائه، وحتى اسم البروفيسور، رغم أنه يحمل ملاحظة عنه في نفسه بأنه الأكثر صدقاً وإخلاصاً من بين الباقين. كان البروفيسور يتكلم كثيراً، لكن غالباً ما يضيف في ما يقوله ليس فقط عن المواضيع الطبية بل الإصرار على تحديد سبب المرض.

في أحد الأيام، دخل البروفيسور وكله إثارة وأعلن من على الباب قائلاً: *".. أمضيت كامل ليلة البارحة وصباح اليوم وأنا أفكر في حالتك. أعتقد بأنني اكتشفت مسبب مرضك! هذا يعني أنه مجرد أن قمنا بإزالة المسبب، يمكننا الحديث عن شفاء عاجل جداً.. أه، آسف سيد هايتزمان، نسيت أن أقول مرحباً. مساء الخير سيد هايتزمان. كنت منجرفاً مع أفكاري.."*

لم بجيب الملياردير إلى سلام البروفيسور، ولا حتى التفت إليه، لكن هذا ليس أمر غير عادي، لأنه هكذا يعامل جميع أطبائه. حتى في بعض الأحيان يقوم بإشارة صغيرة بيده لطبيب بالكاد دخل الغرفة، حركة صغيرة بيده، وجميعهم بعلمون بأنها تعني: إرحل من هنا.

دون رؤية أي إشارة من يده هذه المرة، استمر البروفيسور في شرحه بانفعال كما يلي: *".. أنا لا أتفق مع زملائي الأطباء بخصوص الحاجة إلى زرع كبد جديد وكليتين جديدتين وقلب جديد. مع العلم أن هذه الأعضاء لديك لا تعمل بشكل جيد في الوقت الحالي. لا يا سيدي. ولا حتى بأدنى درجة. هذه حقيقة. لكن ولا حتى الأعضاء المزروعة الجديدة سوف تعمل بشكل جيد. السبب وراء عدم عملها بالمستوى المطلوب هو حالة الكآبة الشديدة التي تعاني منها. نعم يا سيدي، إنها حالة الكآبة. راجعت تاريخك الطبي أكثر من مرة. وأعتقد بأنني حققت اكتشافاً كبيراً. طبيبك المناوب، إنه رجل عظيم فعلاً، لقد دوّن كل شي وبالتفصيل في كل مرة كان يذكر حالتك العقلية. كانت أعضائك الداخلية تفشل في عملها دائماً كلما دخلت في حالة كآبة. نعم يا سيدي. إنها حالة غريبة.."*

".. والآن حان وقت السؤال الكبير: هل فشل أعضائك الداخلية هو الذي يسبب الكآبة؟ أو العكس هو صحيح، أي: هل الكآبة هي التي تسبب فشل عمل الأعضاء الداخلية؟ أنا مقتنع تماماً أن الكآبة هي السبب الرئيسي. نعم يا سيدي. إنها حالة الكآبة الشديدة لديك. إنها حالة تصيب من يتوقف عن الكفاح من أجل تحقيق هدف، هو يفقد أي اهتمام بما يدور حوله، لم يعد يرى أي غاية من العيش.

وبعدها يبدأ الدماغ بإرسال أوامر ضعيفة إلى كامل الجسم. وأنا أعني كله. كلما كانت الكآبة شديدة كلما كانت الأوامر من الدماغ ضعيفة وواهنة. وفي مرحلة معينة قد يتوقف الدماغ عن إرسال الأوامر نهائياً، وبعدها يحصل الموت.."

".. إذاً، السبب الرئيسي هو الكآبة، ولكي نلغي هذه الحالة بالكامل، حسناً، هذا أمر ليس لدى الطب الحديث أي جواب أو حل بخصوصه. لذلك لجأت إلى الطب الشعبي. والآن أنا مقتنع تماماً بأن كآبتك الشديدة هي نتيجة لعنة. نعم يا سيدي. وبالتحديد، أحدهم وضع عليك لعنة، وأنا مستعد لدعم استنتاجي بمجموعة حقائق.."

كان الملياردير على وشك القيام بإشارة الانصراف بيده. هو لا يحب موضوع المعالجين الشعبين، الذين يوعدون بطرد الشياطين وإزالة اللعنات أو تحصين مرضاعهم بحجب وطلاسم ضد الكائنات الشريرة. لطاما اعتبرهم أشخاص مخادعين ومجردين من المصداقية. ففكر في نفسه، لا شك أن هذا رد فعل البروفيسور تجاه عدم فاعلية الأدوية الحديثة، ولذلك لجأ إلى ذلك المستوى الوضيع من المعالجين المخادعين. لكن رغم ذلك لم يشير بيده لانصراف البروفيسور. فهذا الأخير سبقه بكلمات تستنهض القليل من الإهتمام، لكنها مثيرة على أي حال.

قال البروفيسور: *".. لدي الشعور بأنك تستعد لصرفي، وربما إلى الأبد. لكن أطلب منك.. لا، أنا أتوسل إليك أن تمنحني خمسة أو ستة دقائق فقط. من الممكن أنه بعد أن تفهم ما لدي قوله لك، سوف تحقق شفاء كامل، وأنا أكون قد حقق اكتشاف هام. مع أنني حققته مسبقاً، لكن فقط أريد أن اتحقق منه للمرة الأخيرة.."*

لم يشير الملياردير بيده أمر الإنصراف. لمدة ثلاث ثواني كاملة راح البروفيسور يحدق إلى يد "هايتزمان" الجامدة مكانها فأدرك بعدها أنه يمكنه الإستمرار في كلامه، وهذا ما فعله لكن بوتيرة سريعة، أكمل قائلاً:

".. ينظر الناس إلى بعضهم البعض بشكل مختلفة. أحياناً مع عدم مبالاة، وأحيان أخرى مع محبة أو كره أو حسد أو خوف أو احترام. لكن العامل الرئيسي لا يكمن في التعبيرات الخارجية للعيون.

المظهر الخارجي قد يكون مجرد قناع، كما الابتسامة المزيفة لنادل المطعم أو البائع. ما يهم هو الميول الحقيقية، المشاعر الحقيقية التي يكنها أحدهم للآخر. كلما كانت العواطف التي يتوجه بها الناس نحو شخص معين إيجابية، كلما تركز داخل هذا الشخص المزيد من الطاقة الإيجابية. وعلى الجانب الآخر، إذا طغت العواطف السلبية في الجو المحيط بالشخص، فسوف يختبر تراكم من الطاقة السلبية والمدمرة.."

".. وفق معتقدات الأهالي المحليين، هذه تسمى لعنة سحرية، والمعالجين الشعبيين يستندون في علاجهم على هذه الظاهرة. من المؤكد أن كافة المعالجين الشعبيين هم مخادعين. النقطة الجوهرية هي أن الشخص الذي كان هدف للكثير من الطاقة السلبية من قبل المحيطين به يستطيع هو بنفسه إلغاء هذه الطاقة السلبية أو، بمعنى آخر، يعوضها بطاقة إيجابية. من خلال الإيحاء للشخص بأنه أزال منه اللعنة السحرية، وذلك من خلال القيام ببعض الإجراءات التمثيلية المتنوعة، يكون المعالج الشعبي قد ساعده على الإيمان بأنه أصبح سليماً. إذا كان المريض يؤمن بالمعالج، فسوف يوازن الطاقات بداخله ويشفى تماماً. لكن إذا لم يؤمن بالمعالج فسوف لن يحصل شيء. أنت لا تؤمن بالمعالجين الشعبيين وبالتالي سوف لن تستفيد منهم.."

".. لكن هذا لا يعني أنك لا تحوز بداخلك على نسبة عالية من الطاقة السلبية والتي هي مدمرة لعقلك وجسمك. والسؤال هو لماذا هي طاقة سلبية؟ لأن رجل في موقعك يُنظر إليك من الذين يحيطونه بامتعاض، وأنا لا أعني القليل فقط من الحسد غير المؤذي. ربما قد ينظرون إليك، أو حتى يعاملونك بكراهية في قلوبهم. هناك أفراد طردتهم في السابق أو لم ترفع رواتبهم. الكثير من الناس يشعرون بمدى قوتك فيتفاعلون معها بخوف شديد. هل ترى؟ كل هذا يراكم المزيد والمزيد من الطاقة السلبية. من أجل مواجهة هذا الأمر أنت بحاجة إلى طاقة إيجابية، وهذه يمكن أن تستمدها من أفراد العائلة أو الأقارب، لكن زوجاتك هجروك، وليس لديك أولاد أو أصدقاء، وأنت لا تتواصل مع أقاربك. أنت محروم من مصادر للطاقة الإيجابية حولك.."

".. الكائن البشري يستطيع إنتاج الطاقة الإيجابية من داخله، وبكميات وفيرة، وكل ذلك لوحده. لكن لكي يفعّل هذه العملية عليه أن يسدد قلبه نحو هدف أو حلم معين، وتحقيق هذا الهدف تدريجياً

خطوة خطوة سوف يولد عواطف إيجابية. لقد حققت الكثير في حياتك لدرجة أنك الآن لم يعد لديك أحلام أو أهداف لكي تسعى إليها.."

".. لكنه من المهم جداً أن يكون لديك هكذا أهداف وعليك الكفاح من أجل تحقيقها. لقد قمت بتحليل الصحة العقلية والجسدية لأنواع كثيرة من أصحاب المهن والأعمال. أحدهم يحب أن يعجن العجين ويصنع الفطائر ويبيعها ويكون سعيداً لأنه جمع المال ويصبح قادراً على شراء شيء يحتاجه، ويحلم في تطوير مصلحته أكثر. في النهاية إنه عبر التقدم بالمصلحة يمكنه الحصول على الكثير من الخدمات والخيرات التي يمكن للحضارة توفيرها.."

".. مدير مصرف أيضاً يكافح إلى تطوير مصلحته، يكافح إلى زيادة أرباحه، لكن غالباً ما يكون حماسه أقل من صانع الفطائر. الأمر يبدو شاذ ومتناقض لكنه صحيح. حماسة المصرفي ليست كبيرة كما حماسة صانع الفطائر. هي ليست كبيرة لدى المصرفي لأنه يوجد القليل من الآمال المغرية التي يتوقعها بالمقارنة مع صانع الفطائر. بالنسبة للمصرفي فإن إنجازات الحضارة ليس لها أي قيمة بل تعتبر مجرد روتين.."

".. إذا أحدهم، مع مدخول مالي متواضع، سنحت له فرصة فجأة أن يشتري سيارة، فإن شراء السيارة سوف يستنهض بداخله شعور هائل بالفرح والرضى أو حتى النشوة، بينما الذي تكون حالته المادية أفضل بكثير سوف لن يصاب بالإثارة نتيجة شراءه سيارة جديدة. بالنسبة له يكون الأمر أقل من عادي. هذا أمر متناقض لكنه صحيح. إن للأشخاص الأثرياء مناسبات للفرح والبهجة أقل بكثير من أولئك الأقل منهم ثراء.."

".. هناك عامل آخر يجلب الرضى والبهجة للشخص وهي النجاح بالمنافسة. لكن بالنسبة لك، سيد هايتزمان، يبدو أنه ليس لديك أي منافسة.. لذلك يبدو أنه ليس لديك سوى طاقة سلبية تنشط بداخلك وتفعل فعلها، ويوجد كمية كبيرة منها. آه، لقد نسيت أن أذكر: هناك قوة واحدة فقط والتي يمكنها التغلب على كافة أنواع الطاقات السلبية، واحدة فقط، لكنها قوية، إنها قوية بشكل كبير، إنها تسمى طاقة الحب. هي تتجلى عندما تكون مغرماً بأحد وهو يبادلك نفس الحب. لكن لسوء الحظ، في

حالتك، على أي حال، ليس لديك أي امرأة في حياتك. وفي الحقيقة، يبدو أنه ليس لديك أي اهتمام بالنساء إطلاقاً، وفي سنك وبوضعك الصحي لا يبدو أن هناك أي أمل بأن تهتم بالنساء.."

".. يوجد الكثير من الدلائل التي تثبت استنتاجي. لقد أجريت مقارنة بين معدل طول عمر الرجال الأغنياء والسياسيين البارزين والرؤساء على مدى المئة سنة الماضية. نتائج أبحاثي مغرية جداً. إن معدل طول عمر أكثر الرجال نفوذاً في العالم لا يبدو كبيراً بالمقارنة مع الإنسان العادي. وفي الحقيقة، هي في أغلبها أقل من معدل الإنسان العادي.."

".. هذا أمر متناقض لكنه صحيح. الحقائق هي حقائق. رغم أن الرؤساء والأثرياء يبقون تحت الرعاية الطبية الدائمة، ورغم حوزتهم على أكثر التكنولوجيات الطبية تطوراً، ويتناولون الأطعمة النظيفة وعالية الجودة، إلا أنهم يمرضون ويموتون كما أي شخص آخر. كل هذا يمثل دليل واضح وجلي على حقيقة أن الطاقة السلبية المحيطة لها تأثير هائل، وليس هناك أي علم طبي، حتى الأكثر تقدماً، يستطيع إزالة هذه الطاقة السلبية.."

".. ما هي خلاصة الموضوع إذاً؟.. يوجد طريقة للخلاص من هذه الحالة. قد تكون الطريقة بسيطة، قد تكون فريدة من نوعها، لكنها موجودة! نعم يا سيدي! إنها موجودة. هي الذكريات!.. عزيزي السيد هايتزمان، أرجوك، حاول أن تتذكر المراحل المختلفة من حياتك. ابحث عن أي ذكرى يمكنها أن تجلب لك مشاعر البهجة والسرور.."

".. والأهم من ذلك، إذا كان هناك أحدهم قطعت له وعد ولم تنفذ هذا الوعد، وحاول أن تجد طريقة لتنفيذ هذا الوعد الآن. أنا أطلب منك ذلك لصالحك، لصالح العلم، حاول لمدة يومين أو ثلاثة أن تتذكر اللحظات الجيدة في حياتك. لدينا أجهزة لمراقبة أداء العديد من أعضاء جسمك. المراقبة تجري دقيقة بدقيقة. إذا قمت بما نصحتك به، وإذا بدأت هذه الأجهزة بالإشارة إلى نتائج إيجابية، فسوف يكون هناك بكل تأكيد فرصة لأن تعود إلى الشفاء الكامل. نعم يا سيدي! سوف تنجح! سوف أجد طريقة بكل تأكيد. أو ربما سوف تجدها أنت على طريقتك الخاصة. أو ربما تأتي لوحدها.. حياتك سوف تتجاوز الأمر بطريقتها الخاصة.."

سكت البروفيسور وراح مرة أخرى يحدق إلى يد مريضه المستلقي دون حراك أمامه. بعد عدة ثواني حصلت إشارة اليد المعهودة فخرج البروفيسور من الغرفة.

....

مثل الكثير من الناس، بدأ "جون هايتزمان" يتذكر ماضيه. كان لديه على الأقل شيء من الاستيعاب لما شرحه له البروفيسور. يمكنه أن يحاول إيجاد لحظات سعيدة من الماضي، وربما سيكون لها تأثير إيجابي. المشكلة هي أن كل ما اختبره في حياته يبدو ليس فقط مجرد من أي شيء مبهج وسعيد، بل كان غير مثير وعديم المشاعر أيضاً.

تذكر "هايتزمان" كيف أخذ بنصيحة والده وتزوج ابنة ملياردير، مضيفاً المزيد من الأموال لامبراطوريته المالية. لكن الزواج لم يجلب له أي رضى، تبين أن زوجته عاقر، وبعد عشر سنوات من الحياة الزوجية ماتت نتيجة جرعة زائدة من المخدرات.

ثم تزوج من عارضة أزياء والتي كان مظهرها يوحي بصورة زوجة محبة بشغف. لكن بعد الزفاف بستة أشهر جلب له حراسه الأمنيين صور لها وهي تمرح مع عشيقها السابق. لم يشأ أن يناقش الموضوع معها. أصدر أوامره ببساطة إلى حراسه لكي يحرصوا على أن لا يكون هناك أي مناسبة ليراها أو يتذكرها حتى.

خلال استرجاعه لذكرياته وصل "هايتزمان" إلى المرحلة التي استلم فيها زمام الأمور في امبراطورية والده. لم يتمكن من تحديد ولا حتى مناسبة واحدة سعيدة والتي شعر بالتعلق بها واستخدامها كمصدر للعواطف الإيجابية. كان هناك لحظة واحدة سعيدة فقط والتي يمكنه تذكرها. وهو عندما أثبت لوالده بأنه ما من حاجة لبقائهم المالكين الحصريين لصندوق النقد الدولي، حيث هناك مستثمرين آخرين في الصندوق والذين يسعون إلى مردود أفضل، يمكنهم تسخير كامل طاقاتهم العقلية لزيادة رأسمال الصندوق، وبالتالي يعملون لحسابهما، أي لحساب عائلة "هايتزمان". استغرق والده بعض الوقت وهو يفكر بالموضوع. وبعد عدة أيام، على مائدة العشاء، كسر الجليد المألوف وتقدم إلى ابنه بالحميد وقال:

".. أنا أوافق على اقتراحك يا جون بخصوص صندوق النقد. أنت على السكة الصحيحة. مبروك! استمر قدماً وقم بالتفكير بخصوص مجالات أخرى أيضاً. لقد آن الأوان لكي تستلم زمام الأمور.."

طوال الأيام القليلة التالية كانت معنويات "جون هايتزمان" مرتفعة ومزاجه مبتهج. لقد اتخذ عدة قرارات أخرى وزاد مدخول امبراطوريته المالية/الاقتصادية أكثر. لكن بعد ذلك لم يستخلص من عمله أي مشاعر خاصة بالفرح. كله صار روتين. كانت تقارير زيادة المرابح باردة وخالية من العاطفة. لم يعد يتلقى أي حميد على إنجازاته. والده مات، والحميد الآتي من أولئك الأقل شأناً لم تجلب له أي متعة من أي نوع.

استمر "جون هايتزمان" بالعودة بذكرياته ووصل إلى مرحلة طفولته. لحظات اللقاء النادرة مع والده كانت شاحبة في خاطره. والده الصارم أبداً، بصفته تقليد في العائلة، كان يقدم النصح لإبنه في حضور المربيات والمعلمات اللواتي وظفهن لرعاية "جون" الصغير.

فجأة، جرت موجة من الدفئ عبر جسم الملياردير المستلقي دون حراك على سريره. حصلت رجفة ممتعة في جسمه. وسط ذكريات "هايتزمان" رفعت الستارة عن مشهد ساطع وواضح. رأى الزاوية القصوى من حديقة منزل عائلته وهناك، محاط بأعشاب الأكاسيا، يقع المنزل الصغير الذي ارتفاعه مترين مع نافذة واحدة. لسبب ما غامض، جميع الأطفال يتوقون إلى بناء منازل خاصة بهم، فسحتهم الخاصة. هذا التوق يكون حاضراً في الطفل حتى لو كان يملك غرفته الخاصة في منزل والديه أو أنه يتشارك نفس الغرفة مع والديه. كافة الأولاد تقريباً يمرون في فترة يندفعون خلالها إلى بناء مأواهم الخاص. يبدو أنه داخل كل رجل يوجد جين خاص يحتفظ بذكرى قديمة تحثه على خلق فسحته الخاصة. وتلبية لهذا النداء الداخلي الذي يتولد من أعماق الأبدية، يسعى الشخص إلى تنفيذه في الحال. لا يهم مدى عشوائية العمل بالمقارنة مع البيوت العصرية، لأن الرجل الذي يبني منزله بنفسه سوف يستمد منه الشعور بالرضى والاكتفاء أكثر من أي شقة أو منزل على آخر طراز.

وهكذا قرر "جون هايتزمان" ذو السنوات التسع من عمره، والذي لديه غرفتين واسعتين في منزل والديه، أن يبني منزله الخاص الصغير بيديه. قام ببناء المنزل الصغير بواسطة علب البلاستيك التي تُستخدم لزرع بذور النباتات. تبين أن هذه العلب أثبتت حدواها كحجارة بناء. كانت ألوانها متنوعة.

صنع "جون" الجدران من العلب الزرقاء، مع حدود صفراء حول كامل محيط المنزل الصغير. جمع العلب فوق بعضها البعض بحيث تثبت ببعضها تلقائياً بواسطة شكلها الذي يسمح بذلك. في أحد الجدران جعل "جون" أسفل العلب تتجه إلى الخارج، وهذا جعل الجهة الداخلية من الجدار مؤلفة من عدد كبير من الرفوف. أما السقف فقد صنعه من وضع ألواح من الكرتون متماسكة من خلال تثبيت قطعة كبيرة من النايلون عليها جمعاً.

أمضى أسبوع كامل يبني منزله الصغير، مستغلاً ثلاثة ساعات في اليوم يُسمح له خلالها التفسح في الهواء الطلق. في اليوم السابع، عندما حان أوان الفسحة، توجه مباشرة نحو منزله الصغير الواقع في إحدى الزوايا عند نهاية الحديقة. مزيحاً أعشاب الأكاسيا، ورأى منزله الذي بناه وجمد في مكانه بذهول. هناك عند مدخل المنزل وقفت فتاة صغيرة تنظر إلى داخل المنزل. كانت الفتاة ترتدي تنورة لونها أزرق فاتح وبلوزة بيضاء مع شراشيب على الأكمام. شعرها الكستنائي تدلى على كتفيها. في البداية، استجاب "جون" لهذا الوضع بالقليل من الغيرة بسبب وجود غريب بجانب منزله، وسأل بنبرة انزعاج: *".. ماذا تفعلين هنا؟.."*

أدارت الفتاة وجهها الجميل الصغير نحوه وأجابت: *".. أنا استعجب.."*. قال "جون": *".. من ماذا تستعجبين؟.."*. قالت: *".. من هذا المنزل الصغير المذهل والذكي.."*. سأل جون بدهشة: *".. ما هو هذا المنزل؟.."*. أجابت الفتاة: *".. هو مذهل والأكثر ذكاء.."*. قال "جون" متفكراً: *".. قد تكون المنازل مذهلة، لكنني لم أسمع بأنها توصف بالذكاء.. فقط الأشخاص يمكن أن يكونوا أذكياء.."*.

أجابت الفتاة شارحة: *".. نعم طبعاً، يمكن للأشخاص أن يكونوا أذكياء، لكن عندما يبني شخص ذكي منزلاً، فهذا الأخير سوف يتحول إلى شيء ذكي أيضاً.."*.

سألها "جون" قائلاً: *".. وماذا تجدينه ذكياً بخصوص هذا المنزل؟.."*

أجابت الفتاة: *".. طريقة بناء الجدار الداخلي هي ذكية جداً. هو يحتوي على الكثير من الرفوف. يمكنك وضع الكثير من الأشياء المفيدة في هذه الرفوف، والألعاب أيضاً.."*

كان "جون" سعيداً بالطريقة التي شرحت فيها الفتاة الأمور. هذا الكلام أطراه، ومن الممكن أن الفتاة أعجبته ايضاً. فكر في نفسه: *هذه الفتاة جميلة، وتشرح الأمور بذكاء*. ثم قال لها: *".. أنا الذي بنيت هذا المنزل.."*، ثم أضاف قائلاً: *".. ما هو اسمك؟.."*

أجابته الفتاة: *".. أنا سالي، وعمري سبع سنوات. أنا أعيش هنا في قسم الخدم، منذ أن بدأ والدي يعمل كبستاني هنا. هو يعرف الكثير عن النباتات وهو يعلمني. أصبحت أعرف كيف أنمي الزهور وكيف أطعم الأغصان إلى الأشجار.. وما هو اسمك؟ وأين تعيش؟.."*

أجابها الفتى: *".. أنا أعيش في القصر.. واسمي هو جون.."*

سألته الفتاة: *".. هل هذا يعني أنك ابن السيد؟.."*

أجابها: *".. نعم.."*

قالت: *".. إذاً، يا جونيكنز، دعنا نلعب بيت وبيت!.."*

قال: *".. كيف نلعب هذا؟.."*

قالت: *".. نلعبها وكأننا نعيش في هذا المنزل، كما يعيش الكبار. يمكنك أن تلعب دور السيد، طلما أنك ابن السيد، وأنا سوف ألعب دور خادمتك، طالما أن والدي خادم هنا.."*

قال: *".. هذا لن ينفع.. وجب على الخدم أن يعيشوا في قسم الخدم.. فقط الزوج والزوجة مع أولادهما يمكن أن يعيشوا في القصر.."*

قالت: *".. إذاً سوف ألعب دور الزوجة.. هل يمكنني أن أكون زوجتك يا جونيكنز؟.."*

لم يجيب "جون" على هذا السؤال الأخير. دخل إلى المنزل وألقى نظرة سريعة ثم استدار إلى "سالي" التي بقيت واقفة خارج الباب. وقال بفضاضة: *".. حسناً، هيا ادخلي والعبي دور الزوجة. علينا أن نفكر كيف سوف نزيّن الداخل.."*

دخلت "سالي" إلى المنزل. نظرت إلى عيني "جون" برقة وإثارة وقالت وكأنها تهمس له: *".. شكراً يا جونيكنز. سوف أحاول أن أكون زوجة جيدة لك.."*

لم يأتي "جون" إلى منزله كل يوم. خلال فترة الفسحة في الهواء الطلق لم يُسمح له دائماً اللعب في الحديقة. كان يؤخذ بدلاً من ذلك، مع مرافقة الحراس الشخصيين والمعلمات، إلى زيارة الحديقة العامة أو إلى ديزنيلاند، أو الذهاب إلى ركوب الخيل. لكن عندما كان يتمكن من الهروب إلى منزله الصغير، كان دائماً يجد "سالي" تنتظره. مع كل زيارة إلى منزله الصغير كان "جون" يبتهج بالتغييرات الحاصلة في المنزل. في البداية ظهرت سجادة على الأرض، ساهمت بها "سالي". ثم ستائر صغيرة على النافذة وفوق المدخل. ثم جاءت طاولة دائرية صغيرة مع إطار صورة فارغ عليها. قالت "سالي":

".. يا جونيكنز، إن مجيئك إلى هنا أصبح يقل تدريجياً. أنا أنتظرك دائماً، لكنك لا تأتي. أعطيني صورة فوتوغرافية لك، وسوف أضعها في هذا الإطار. يمكنني حينها أن أنظر إلى صورتك وهذا سوف يسهل علي الأمر خلال انتظاري لك.."

ترك "جون" صورة فوتوغرافية له عندما جاء ليودع القصر، وكذلك "سالي". كان سينتقل مع والديه إلى قصر آخر.

....

ابتسم الملياردير "جون هايتزمان" المستلقي على سريره في شقته الفاخرة خلال تذكر هذا المقطع من حياته، بكل تفصيل منها، تلك العلاقة الطفولية مع الفتاة الصغيرة "سالي". فقط الآن أدرك أن تلك الفتاة كانت تحبه. أحبته من أول حب طفولي لها. كان طائش، غير مستجاب، وصادق ومخلص.

ربما، فقط ربما، هو أيضاً أحبها، أو ربما كانت مجرد نزوة عابرة. لكنها بكل تأكيد أحبته، وأكثر من أي شخص آخر يمكن أن يحبه لباقي حياته. وهكذا بقيت الذكريات المتعلقة بالمنزل الصغير في زاوية الحديقة وتواصله مع "سالي" تستنهض بداخله الكثير من المشاعر الدافئة والسعيدة. هذه المشاعر بعثت الدفئ في كامل جسمه وجعلته يشعر بتحسن.

بعد انتقاله من ذلك القصر، التقى بـ"سالي" مرة واحدة فقط، وذلك بعد احدى عشرة سنة. لكن هذه المرة.. مشاعر جديدة أثارت جسمه بالكامل. حتى أن "جون هايتزمان" نهض من سريره جزئياً. راح قلبه يضخ الدم في عروقه بقوة متزايدة. ذلك اللقاء.. لقد نسيه تماماً. لم يفكر به أبداً طوال هذه الفترة المديدة. لكنه الآن احتل كامل أفكاره وجعلته مثاراً.

عاد إلى القصر الذي قضى فيه طفولته، عائداً بعد احدى عشرة سنة للزيارة ليوم واحد فقط. هذا هو كل الوقت الذي يمكنه توفيره. بعد تناول طعام الغداء خرج إلى الحديقة، وبطريقة ما وجد نفسه متوجهاً إلى الزاوية البعيدة للحديقة، حيث بين أعشاب الأكاسيا بنى منزله الصغير. مع زياحة الأعشاب ودخوله إلى الفسحة، جمد في مكانه مدهوشاً. المنزل الصغير الذي بناه قبل احدى عشرة سنة كان واقفاً أمامه في نفس الموقع. لكن كامل محيطه.. كل ما حوله مليئ بالأزهار، ودرب رملية قادت إلى المدخل، حيث يوجد الآن مقعد طويل. وحتى المنزل بذاته كان مليء بالأزهار. لم يكن المقعد هنا من قبل، لكنه موجود الآن. هذا ما لاحظه "جون" البالغ. أزاح الستارة المغطية للمدخل وانحنى ودخل إلى المنزل الصغير.

بعدها مباشرة شعر بحضور شخص آخر. كانت الصورة الفوتوغرافية العائدة لطفولته واقفة على الطاولة الدائرية كما السابق. كانت الرفوف مرتبة وأنيقة وتملأها ألعاب "سالي" الطفلة. على أحد الرفوف القريبة من الطاولة يوجد وعاء مليء بالفواكه الطازجة. فراش هوائي موجود على الأرض ومثبت فوقه شرشف صغير. وقف "جون" هناك في المنزل الصغير لمدة عشرين دقيقة، متذكراً مشاعر سعيدة من طفولته. تسائل، لماذا هذا يحصل؟. لقد ملكت عائلته عدد كبير من القصور الجميلة. حتى أن هناك قلعة. لكن لا القلعة ولا القصور أثارت هكذا مشاعر محببة كما يحصل هنا في هذا المنزل الصغير المبني من علب بلاستيكية.

عندما خرج من المنزل الصغير، لمح "سالي". كانت تقف هناك بصمت عند المدخل، كما لو أنها مترددة في تعطيل الذكريات التي كانت تجري في ذهنه. نظر إليها "جون، ولاحظ وجنتيها تلمعان باللون الأحمر. أخفضت عينيها بخجل، وقالت بصوت عاطفي ناعم مخملي ورقيق بشكل غير طبيعي: *".. مرحباً، جونيكنز.."*

لم يجيبها مباشرة. وقف هناك يستعجب بجسد "سالي" البالغ والجميل جداً. فستانها الحاضن لجسمها تطاير مع نسمة الهواء. عبر شفافية القماش يمكن رؤية تكاوين هيئتها المنحوتة. لم يعد لفتاة صغيرة بل صبية بالغة، أنثى لينة وطرية.

قال جون كاسراً صمت طويل: *".. مرحباً يا سالي. مازلتي ترعين المنزل هنا؟.."*

قالت: *".. نعم، في النهاية، أنا وعدتك بذلك. هناك بعض الفاكهة في الداخل، إنها مغسولة. تناول بعضها. إنها لك.."*

قال: *".. فهمت.. إنها لي.. حسناً، إذاً، دعينا ندخل معاً ونتناول منها.."*

أزاح "جون" الستارة جانباً، داعيا "سالي" أن تسبقه في الدخول. دخلت وجثمت على الأرض. أخذت وعاء الفاكهة من الرف ووضعته على الطاولة بقرب الصورة الفوتوغرافية المؤطرة. لم يكن هناك أي كراسي في المنزل الصغير، وجلس "جون" على السجادة. مد يده وتناول عنقود من العنب وخلال العملية لمس كتف "سالي". أدارت رأسها والتقت عيناهما. شهقت بحدة، مما أدى إلى فك أحد أزرار الفستان من جهة صدرها. أمسك "جون" بكتفي "سالي" وشدها نحوه. هي لم تقاوم. بل بالعكس، حيث مالت عليه بجسمها المحموم والمتوهج. لم تقاوم "سالي" عندما ألقاها "جون" ببطئ وحذر على السجادة، وراح يقبلها ويلاطفها و...

كانت "سالي" عذراء.. لم يدخل "جون" من قبل ولا بعد في علاقة حميمة مع عذراء. والآن، بعد مرور أربعين سنة على آخر لقاء، أدرك "جون هايتزمان" فجأة بأن هذه كانت اللحظة الوحيدة التي كانت جميلة وحميمة فعلياً مع امرأة، أو بالأحرى، فتاة حولها هو إلى امرأة. بعد ذلك، غطا في النوم

لفترة قصيرة. عندما استيقظا، راحا يتحادثان معاً. عن ماذا تحدثا؟ راح "جون هايتزمان" يعصر دماغه بقدر ما يستطيع. أراد كثيراً ان يتذكر جزء من الحديث على الأقل. ثم تذكر.

ذكرت "سالي" كم هي الحياة جميلة. قالت بأن والدها كان يجمع المال لشراء قطعة أرض لها، والتي إذا أمكن لاحقاً، يمكنه بناء منزل متواضع لها. و"سالي" نفسها سوف تقوم بتصميم الحديقة وتزرع فيها تنوع كبير من النباتات، وسوف تعيش حياة سعيدة وتنشئ أولادها هناك. قرر "جون" في حينها في نفسه بأنه سوف يساعد "سالي".

تأمل "جون هايتزمان" في نفسه: *".. يا للعجب، هذه فتاة يمكنها أن تكون سعيدة فقط بحيازة قطعة أرض وعليها منزل صغير. مجرد أشياء تافهة. كان علي أن لا أنسى مساعدتها في الحصول على قطعة الأرض، وبناء المنزل.."*

لكن "جون" نسي فعلاً ما كان ينويه. لقد نسي كلياً بخصوص "سالي". لقد كان انتباهه مشدوداً نحو مغريات حياته المتعددة. يخت جديد وطائرته الخاصة جلبا له السعادة لعدة أيام. ثم وجد عامل إلهاء طويل الأمد في إدارة أسواق المال، ومضيفاً المزيد من الميارات إلى ثروة وممتلكات والده، والتي ورثها لاحقاً. كان هذا العمل الأخير عامل إلهاء شغله لأكثر من عشرين سنة متواصلة. هذا العمل طغى على كل شيء آخر. ثم خاض مرحلة زواجه الأول، ثم زواجه الثاني. لم تخلفن زوجاته أي أثر لهما ورائهما. بعد أن بلغ سن الأربعين، لم تعد إدارة الأسواق تمنحه أي متعة، ثم بدأ يعاني بعدها من نوبات كآبة متواترة، والتي انتهت أخيراً إلى إصابته بانهيار عصبي.

لكن الآن لم يعد "جون هايتزمان" في حالة كآبة. ذكرياته عن "سالي" حركته بالكامل. لكن بنفس الوقت جعلته غاضباً من نفسه. فكر في نفسه: *".. كيف يمكن لهذا أن يحصل؟ وعدت نفسي بأنني سوف أساعد سالي، هذه الفتاة التي أحبتني، أن أوفر لها قطعة أرض ومنزل صغير، وقد نسيت.."*

"جون هايتزمان" هو رجل معتاد على الإلتزام بوعوده، خصوصاً تلك التي قطعها على نفسه. أدرك بأنه لن يتوقف عن الغضب على نفسه إلا إذا...

ضغط على الزر لإحضار السكراتير. عندما دخل السكراتير، كان "جون هايتزمان" يجلس على جانب السرير. رغم أنه وجد صعوبة في التلفظ بالكلام، حيث هذه المرة الأولى منذ ستة شهور يحاول أن يتكلم فيها. قال: *".. قبل حوالي خمسين سنة كنت أعيش في قصر معين، وأنا لا أتذكر العنوان، يمكنك إيجاده في الأرشيف. كان يوجد بستاني يعمل هناك، وأنا لا أتذكر اسمه، لكنه موجود حتماً في دفاتر الحسبات في الأرشيف. كان لدى البستاني ابنة، اسمها سالي، ابحث أين تسكن سالي الآن. أنا أحتاج هذه المعلومة غداً صباحاً في الحد الأقصى. وإذا حصلت عليها أبكر من ذلك قم بإعلامي فوراً، بغض النظر عن الساعة، في الليل أو النهار. نفذ الآن!.."*

قرع السكراتير الباب في فجر الصباح التالي. عند دخوله إلى المكتب، كان "جون هايتزمان" يجلس على الكرسي المتحرك بجانب النافذة، مرتدياً بذلة رسمية. كان حالقاً ذقنه وشعره ممشط وأنيق. قال له السكراتير: *".. سيدي، تم صرف البستاني قبل أربعين سنة ومات بعدها بقليل. قبل موته تمكن من شراء قطعة أرض في مزرعة مهجورة في ولاية تكساس. بدأ يبني على هذه الأرض منزل، لكنه كسر ظهره خلال عملية البناء ومات. أكملت ابنته سالي بناء المنزل وهي تعيش فيه الآن. وهذا هو العنوان. هذا كل ما لدينا من تفاصيل في الوقت الحالي. لكن إذا أمرت فسوف نستمر في جمع كل المعلومات التي تحتاجها.."*

أخذ "جون هايتزمان" الورقة من السكراتير وتفحصها جيداً. بعد أن طواها بترتيب وضعها في الجيب الداخلي من الجاكيت وقال: *".. دع الطوافة تحضر نفسها للطيران خلال ثلاثين دقيقة. أريد أن أهبط على بعد أربعة أو خمسة أميال من منزلها في تكساس. دع سيارة تنتظرني في موقع الهبوط هناك. أريدها سيارة عادية، ليس ليموزين، ولا أريد حراس شخصيين، فقط السائق. نفذ الآن!.."*

....

في الساعة الثالثة بعد الظهر، كان "جون هايتزمان" يعرج ببطئ متكئاً على عصاه، ويشق طريقه وسط الدرب المرصوفة المؤدية إلى كوخ متواضع تحيطه خضرة زكية الرائحة. عندما لمحها للمرة الأولى، كانت تدير ظهرها نحوه. كانت المرأة العجوز تقف على سلم صغير وتغسل الجانب

الخارجي من النافذة. توقف "جون هايتزمان" وراح ينظر إلى هذه المرأة بشعرها الرمادي الجميل. استطاعت أن تشعر بتحديقه إليها فاستدارت لتواجهه.

وقفت هناك لفترة تحدق بعينيها إلى الرجل العجوز الواقف على درب منزلها. ثم فجأة قفزت من على السلم وركضت نحوه لتستقبله. كانت مشيتها خفيفة، لا شيء في هذه المرأة يدل على كهولة. توقفت على بعد متر من حيث يقف "هايتزمان"، وقالت بصوت عاطفي منخفض: *".. مرحباً يا جونيكنز.."*، مباشرة أخفضت عينيها وغطت بيديها الاحمرار على خديها.

قال "جون هايتزمان": *".. مرحباً سالي.."*، دون أن يقول أي كلمة أخرى. أو بدلاً من ذلك، كان يتكلم لكن مع نفسه فقط، وليس بصوت عالي: *".. كم أنت جميلة يا سالي، وكم هي جميلة عيناك اللامعتين، والتجاعيد الصغيرة حول عينيك.. لازلت جميلة وفضيلة كما كنت في السابق.."*

ثم قال بصوت مسموع: *".. كنت أمر من هذا المكان يا سالي. سمعت بأنك تعيشين هنا، لذلك قررت أن أمر عليك. وربما لكي أمضي الليلة هنا.. هذا إذا لم أكن أفرض نفسي.."*

أجابته "سالي" بفرح: *".. أنا سعيدة جداً لرؤيتك يا جونيكنز. يمكنك إمضاء الليلة هنا بكل تأكيد. أنا هنا وحدي، لكن غداً سوف يأتي حفيدي لقضاء أسبوع. لدي حفيدين، حفيدة عمرها تسع سنوات، وحفيد أصبح عمره اثنتي عشرة سنة. هيا أدخل يا جونيكنز، سوف أحضر لك فنجان من شاي الأعشاب. أنا أعلم ما نوع الشاي الذي تحتاجه. تعال هيا.."*

قال لها جون: *".. إذاً، أنت متزوجة يا سالي؟ وأصبح لديك أولاد.."*

أجابته سالي بفرح: *".. لازلت متزوجة يا جونيكنز. ورزقنا بإبن واحد. والآن حفيدين.. لماذا لا تجلس على الطاولة هناك في الشرفة، وسوف أخرج لك الشاي إلى هناك.."*

جلس "جون هايتزمان" على أحد الكراسي البلاستيكية على الشرفة. وعندما جلبت له "سالي" الشاي، سألها قائلاً: *".. كيف تعرفين أي نوع من الشاي أحتاج يا سالي.."*

أجابته: *".. كان والدي يجمع الأعشاب لوالدك. كان يجففها ومن ثم يصنع منها شاي معين، وكان هذا الشاي يساعد والدك كثيراً. وأنا أيضاً تعلمت كيف أجمع تلك الأعشاب. قال لي والدي أنك أنت أيضاً يا جونيكنز ورثت هذا المرض ذاته.."*

سألها جون: *".. لكن كيف عرفت أنني قادم؟.."*

قالت: *".. أنا لم أعرف يا جونيكنز. لكنني أجمعها لأنه ربما أحتاجها. لكن قل لي يا جونيكنز، كيف تجري أعمالك؟ كيف أصبحت الأمور في حياتك؟.."*

أجابها جون: *".. أعتقد أنها تسير بطرق كثيرة مختلفة. كنت مشغولاً بعدة أشياء متنوعة، لكنني لا أريد أن أفكر بذلك الآن. لديك مكان جميل هنا يا سالي. إنه جميل جداً، الكثير من الزهور.. وحديقة.."*

قالت: *".. نعم، هي جميلة فعلاً. أنا أحب العيش فعلياً هنا. لكن أنظر هناك على اليمين، إنهم يقيمون مشروع إعمار كبير. إنهم يخططون لبناء مركز لمعالجة النفايات. وهناك على اليسار يوجد معمل من نوع معين. إنهم يتحدثون عن نقلنا من هذا المكان.. لكن أنت متعب الآن من رحلتك، يبدو أنك كنت تسافر عبر مسافة طويلة يا جونيكنز. أستطيع أن أرى كم أنت مرهق. سوف أجهز لك السرير بالقرب من النافذة المفتوحة. فقط استلقي وارتاح. لكن اشرب الشاي أولاً.."*

خلع "جون هايتزمان" بذلته مع بعض الصعوبة. كان مرهقاً بالفعل. كانت عضلاته مصابة بالضمور نتيجة استلقائه في السرير لمدة ستة شهور وبالكاد تساعده في الوقوف على قدميه. تمكن أخيراً من سحب البطانية فوقه ومن ثم غط في النوم مباشرة. كان يعجز مؤخراً عن النوم دون تناول حبة منوم. بينما هنا كان الأمر أسهل بكثير حيث نام فوراً. نام حتى فترة الظهر من اليوم التالي ولم يرى الصباح في هذا اليوم. قام من فراشه واستحم وخرج إلى الشرفة. كانت "سالي" تحضر الغداء في المطبخ، وكان ولد صغير وفتاة صغيرة يساعدانها.

عندما رأته "سالي" قالت مبتهجة: *".. أهلاً بك يا جونيكنز! يبدو أنك نمت نوماً هنيئاً. تبدو منتعشاً! تعرف على الأحفاد. هذه أيمي، وهذا الشاب الصغير هو جورج.."*

قال العجوز جون: *".. وأنا اسمي جون هايتزمان. صباح الخير!.."*، ومد يده نحو الولد الصغير.

قالت سالي: *".. ها أنتما تعرفتما على بعضكنا.. والآن اذهبا وامشيا قليلاً لتتكون لديكما قابلية للطعام، بينما أنا وأيمي نحضر الغداء.."*

قال جورج الصغير لهايتزمان: *".. أود أن أريك حديقتنا.."*، فراح كل من الرجل العجوز والفتى الصغير يمشيا معاً عبر الحديقة الرائعة. كان الفتى الصغير يشير دائماً إلى النباتات المتنوعة ولم يتوقف عن الحديث عنها. كان "هايتزمان" في حينها مشغول بأفكاره الخاصة. عندما وصلا إلى نهاية الحديقة، أعلن الفتى قائلاً: *".. خلف أعشاب الأكاسيا هذه يقع منزلي، جدتي بنته لي.."*

أزاح "هايتزمان" الأعشاب وألقى نظرة.. هناك وسط فسحة صغيرة خلف أعشاب الأكاسيا وقف منزله الصغير، المصنوع من نفس علب البلاستيك. فقط السقف بدا مختلفاً قليلاً. والستارة على المدخل كانت مختلفة. أزاح "هايتزمان" الستارة وانحنى قليلاً مع دخوله المنزل الصغير. كافة المفروشات هي كما يتذكرها. فقط الصورة على الطاولة كانت مغلفة بطبقة من النايلون. بدا لهايتزمان أن الصورة هي لحفيد سالي. راح يفكر: *".. كل شيء هو في مكانه المعهود.. يبدو أن هذا المنزل الصغير له صاحب جديد وهو صاحب الصورة على الطاولة.."*. التقط "هايتزمان" الصورة وحملها بيديه. ولكي يخلق محادثة مع الصغير، علق قائلاً: *".. حسناً يا جورج الصغير، يبدو أن صورتك مناسبة هنا.."*

أجابه الفتى: *".. لكن هذه ليست صورتي، يا عم جون. هذه صورة فتى كان صديقاً لجدتي خلال صفولتها. صادف وأنه يشبهني.."*

....

شق "جون اهيتزمان" طريق عودته صعوداً عبر درب الحديقة بأسرع ما سمحت به رجليه، يعرج متكئاً على عصاه، ويتعثر في معظم الأوقات. وصل وهو يلهث وشاعر بالإرباك، تقدم نحو "سالي" وسألها: *".. أين هو الآن؟.. أين زوجك يا سالي؟.. أين.."*

قالت سالي: *".. أرجوك اهدأ يا جون.. وجب أن لا تسمح لنفسك أن تكون مستثاراً. أجلس أرجوك.. يبدو يا جون بأنه في طفولتي وعدت فتى جميل بأنني سوف أكون زوجته.."*

صاح جون بصوت عالي وانتفض من الكرسي: *".. لكن تلك كانت لعبة!.. لعب أطفال!.."*

أجابته سالي: *".. ربما كذلك، لكن على أي حال، دعونا نعتبر أنني مستمرة في هذه اللعبة. وأنا لازلت أمثل بأنك زوجي.. زوجي وحبيبي.."*

قال جون: *".. يبدو أن جورج يشبهني كثيراً، كما كنت أبدو في طفولتي. هل هذا يعني أنك ولدتي طفلاً بعد قضائنا تلك الليلة معاً يا سالي؟ هل ولدتي طفاً؟.."*

قالت سالي: *".. نعم يا جون، ولدت ابنك. وهو يشبهني. لكن يبدو على الأغلب أنه يحمل جيناتك، لأن حفيدنا يشبهك تماماً.."*

راح "جون هايتزمان" يحدق بالتناوب إلى "سالي" ثم إلى الولد والفتاة خلال إعدادهم طاولة الطعام على الشرفة. لم يعد قادراً على الكلام. كانت أفكاره ومشاعره مشوشة. ثم، لأسباب هو نفسه لم يفهمها، قال بنبرة عمل جدية: *".. علي أن أرحل فوراً. وداعاً يا سالي.."*

تقدم بخطوتين نزولاً إلى درب الخروج، ثم استدار وسار نحو "سالي" التي كانت واقفة هناك بصمت. بالكاد يدعم نفسه على العصى، نزل جاثياً على ركبة واحدة أمامها، أخذ يدها وطبع عليها قبلة ناعمة وطويلة. ثم قال: *".. يا سالي، لدي مسائل مهمة جداً وطارئة وعلي معالجتها. وجب أن أغادر فوراً.."*

وضعت يدها على رأسه، وراحت تجعلك شعره بنعومة، ثم قالت: *".. نعم، طبعاً. عليك الرحيل، إذا كان لديك مسائل مهمة ومشاكل لتعالجها. إذا واجهت أي صعوبات يا جون، يمكنك أن تأتي دائماً إلى هنا إلى منزلنا. ابننا الآن يدير شركته الصغيرة، معروفة باسم لوتوس، وهو يعمل في تصميم الحدائق والمشاهد الطبيعية. هو لم يتخصص في هذا العمل بواسطة التعليم، لكنني علمته بنفسي، وهو ينجز الكثير من التصاميم الذكية، وليس هناك تقصير في الطلبات المقدمة إلى شركته. هو يساعدني مالياً ويزورني كل شهر.."*

".. لكن يبدو أن لديك مشاكل مالية؟ وشيء من المشاكل الصحية أيضاً؟ عد إلى هنا يا جون. أنا أعرف كيف أعالجك، ولدينا ما يكفي من المال لنستمر في العيش.."

قال جون: *".. شكراً يا سالي.. شكراً.. علي الإسراع!.. علي فعل ذلك.."*

سار نزولاً عبر درب المدخل إلى البوابة، وفكره مشغول بخطة خطرت في باله. وراحت "سالي" في حينها تراقبه وهو يبتعد وهمست في نفسها: *".. عد إلي، يا حبيبي!.."*. كانت تكرر هذه العبارة كما لو أنها مانترا، حتى بعد مرور ساعة، ناسية أمر الأحفاد. حتى أنها لم تلحظ الطوافة تحوم في السماء لمدة نصف ساعة فوق المنطقة، فوق قطعة الأرض العائدة لها، مع المنزل الصغير والحديقة الرائعة.

....

مع وصول طوافة "جون هايتزمان" وهبوطها على سطح برج المكاتب، كان مساعدوه المقربون وسكرتيراتهم منهمكين في العمل في صالة الاجتماع، يتفحصون الأشكال ويتحضرون لتقديم تقاريرهم للسيد. لم يعودوا معتادين على الاجتماع في حضوره، والآن راحوا ينتظرون وصوله مع خوف واهتياج كبير.

عندما دخل "جون هايتزمان" الصالة، الجميع وقف على قدميه. بدأ يتكلم حتى قبل وصوله الكرسي عند رأس طاولة الاجتماع. ثم قال: *".. أجلسوا. لا أريد تقارير اليوم. استمعوا جيداً لما سأقوله. لن أكرر نفسي مرة ثانية. ليس هناك وقت. لذلك. في تكساس هناك فيلا صغيرة، وهذا هو العنوان.*

مهمتكم هي شراء كل الأراضي المحيطة بهذا المنزل وعلى قطر يبلغ مئة ميل. اشتروا كل المعامل والمنشآت الصناعية المتواجدة على هذه الأراضي، حتى لو اظررنا إلى دفع ثلاثة أضعاف ثمنها. المسؤول من بينكم عن شراء وبيع العقارات يمكنه أن يغادر الصالة الآن وينشغل بهذه المهمة فوراً. سخروا كامل وكلائنا في هذه المهمة إذا تطلب الامر ذلك. وجب أن لا تستغرق هذه العملية أكثر من أسبوع.."

انتفض أحد مساعديه من مكانه وأسرع نحو مخرج الصالة. ثم أكمل "جون هايتزمان" كلامه:
".. وجب إزالة كافة المباني والمعامل والمنشآت المتواجدة على هذه الأراضي خلال شهر واحد كحد أقصى، حتى لو تطلب الأمر استئجار مئات من شركات الإنشاءات. وجب زرع الأعشاب في هذه المواقع خلال شهر من الآن.."

راح "هايتزمان" يعطي التعليمات للمساعد الأخير الذي بقي في الصالة: *".. يوجد شركة صغيرة في تكساس، واسمها لوتوس. قم بتوقيع عقد عمل معها لمدة خمس سنوات. كلف هذه الشركة لتصميم التجمعات لكافة الأراضي التي سوف نشتريها في محيط تلك الفيلا في تكساس. مهما كان المبلغ الذي تطلبه تلك الشركة، قم بمضاعفة المبلغ. نفذ الآن!.."*

بعدها بأسبوعين ظهر "جون هايتزمان" أمام حشد جماهيري مؤلف من ألف وخمسمائة شخص. تم حشد هذا الجمهور بمساعدة شركات خاصة تتعلق بمجال الزراعة. يتألف هذا الجمهور من متخصصين في تصميم الحدائق، بستانيين، ومهندسين زراعيين. كل منهم بحاجة إلى عمل، خاصة وأن الحملة الإعلانية ذكرت بأن قيمة العقد تبلغ ضعف معدل السعر المألوف.

صعد "جون هايتزمان" إلى المنبر وبدأ يتكلم بنبرته السلطوية المعهودة، والتي كانت جافة: *".. وفقاً لما تنصه العقود المعروضة عليكم، كل منكم سوف يتلقى قطعة أرض مجاناً وللاستخدام لمدى العمر، ومساحتها خمسة فدادين. سوف يُعرض عليكم عدة تصاميم لمنازل مسبقة الصنع لكي تختاروا بينها، وهذه المنازل سوف يتم بناءها على كل قطعة أرض وفي أي موقع تختارونه في الأرض، وكل ذلك تكون تكاليفه على حساب شركتي. وعلى مدى السنوات الخمس التالية سوف تدفع الشركة لكل عضو بالغ في العائلة كما تنص عليه العقود. مهمتكم هي تحويل المنطقة التي*

تستلموها إلى مكان جميل. سوف تزرعون الحدائق ومشاتل الزهور وتصنعون فيها برك الماء والممرات. عليكم أن تجعلوا كل شيء جميل وجيد. الشركة سوف تدفع تكاليف البذور ومهما طلبتوه من مواد وأدوات أخرى تتعلق بهذا المجال.. هذا كل شيء. إذا ليس هناك أي أسئلة، يمكن لأولئك الذين يقبلون العرض أن يوقعوا على العقود الآن.."

لكن الجمهور المؤلف من ألف وخمس مائة شخص كان غارقاً في صمت مطبق. لم يقف أحد من مقعده ليتوجه إلى الطاولات حيث تجلس السكرتيرات منتظرة ومعها العقود جاهزة للتوقيع. بعد مرور دقيقة من الصمت المطبق، وقف رجل عجوز من مقعده وسأل قائلاً: *".. قل لي يا سيدي، هذه الأراضي التي تعرضون علينا الاستقرار فيها، هل هي ملوثة بمواد سامة قاتلة؟.."*

رد عليه أحد مساعدي "هايتزمان" قائلاً: ".. لا، بالعكس تماماً، كامل هذه المنطقة تحوز على بيئة نظيفة، والتربة غنية وخصبة.."

قالت إحدى النساء من بين الجمهور: *".. إذاً أخبرونا بصدق، ما هو نوع التجربة التي تخططون إجراءها على الناس؟.. الكثير منا لديهم أطفال، وأنا من جهتي لا أريد أن أعرّض طفلي إلى هذه التجارب التي لا نعلم عنها شيء.."*

ضجّت الصالة بالهرج والمرج، وراح يُسمع صراخ من بين الجماهير تقول: انتهازيين! غير إنسانيين! وحوش! وراح الناس يقفون ويتوجهون نحو مخرج الصالة. حاول مساعدو "هايتزمان" الشرح والإجابة على التساؤلات لكن دون جدوى.

جلس "هايتزمان" هناك عاجزاً يشاهد الناس تغادر الصالة. أدرك بأن انصرافهم يمثل الضربة الأخيرة لآماله. أو حتى شيء أكثر سوءاً.. كان يريد أن يفعل شيئاً جيداً لسالي، ولابنه وأحفاده. كان يريد ليس فقط عدم وجود دخان متجشئ في المنطقة التي يقبع فيها كوخ "سالي" الجميل، بل أيضاً لكي يكون هناك حدائق محيطة، وجيران جيدين أيضاً. لقد اشترى الأراضي بالكامل، والدخان المتجشئ أزيل بالكامل بأوامر منه، وتم زرع الأعشاب في مكانها. لكن لا يمكن للأرض أن تكون جيدة إلا إذا

سكنها أناس جيدين. وها هم يغادرون الآن. هم لم يفهموا. كيف يمكنهم أن يفهموا على أي حال؟ ما الذي سيجعلهم يصدقون؟

خطرت في باله فجأة ومباشرة. هم لم يعرفوا شيئاً عن المسألة، ولهذا السبب لم يصدقوا. لكن الآن إذا قال لهم الحقيقة... وقف "جون هايتزمان" على قدميه بدأ يتكلم بصمت ولازال متردداً، قال:

".. يا أيها الناس!. أنا أفهم الوضع.. أنا بحاجة إلى شرح المسألة لكم، سأشرح الأسباب وراء ما تقوم به شركتي. لكن يستحيل شرح الأسباب. لأنه فقط أنني.. كما ترون، إنها على الشكل التالي.. أو ربما.. هناك شيء شخصي بالنسبة لي في كل هذه العقود. أو كيف سأوضح الأمر؟.."

كان "هايتزمان" مربكاً، ولم يعد يعرف كيف يستمر بالكلام. لكن الناس وقفت في مكانها. كانوا واقفين في الممرات بين صفوف المقاعد وفي مخارج الصالة. وجميعهم كانوا ينظرون بإمعان إلى "هايتزمان". كانوا صامتين، وها هو لم يعرف كيف يباشر الكلام. لكن بطريقة ما، نجح في تماسك نفسه واستمر في الكلام:

".. في فترة طفولتي.. في صغري.. كما ترون.. أحببت تلك افتاة. لكن لم أدرك حينها بأنني واقع في حبها. لقد تزوجت لاحقاً من نساء أخريات. وانشغلت في الأعمال. طوال السنوات الخمسين الماضية لم أرى تلك الفتاة. ولم أفكر فيها حتى. ومؤخراً تذكرتها. اكتشفت بأنها الشخص الوحيد الذي أحبني بصدق. ولازالت حتى الآن. لكنني لم أعرف عن الأمر. كما ذكرت في السابق، نسيتها بالكامل. وأدركت بأنها الوحيدة التي يمكنني أن أحبها.."

".. وبعد ذلك.. التقيت بها. هي الآن طبعاً متقدمة في السن. لكنها تبقى بالنسبة لي كما كانت عندما تعرفت عليها من سنين سابقة. هي تحب حديقتها. هي تفعل كل شيء بشكل جميل جداً. وأردت أن يحيطها الجمال من كل صوب. وجيران جيدين. من الأفضل أن يكون هناك جيران جيدين وسعيدين يعيشون بجوارها.. لكن كيف كان علي تحقيق ذلك؟ بصفتي رجل أعمال تمكنت من تخبئة مبلغ من المال جانباً. وهكذا تمكنت من شراء الأرض، قسمتها إلى قطع صغيرة، وأوجدت هذه العقود. فعلت كل ذلك من أجل من أحبها. أو ربما، فعلتها من أجلي أنا.."

نطق "جون هايتزمان" الجملة الأخيرة وكأنه يطرح سؤال على نفسه. بدأ بعدها يتكلم كما لو أنه بفكر بصوت عالي، كما لو أنه لم يرى الناس واقفة أمامه. قال:

".. جميعنا نعيش من أجل شيء ما.. ما الذي نعيش من أجله؟.. نحن نكافح من أجل شيء.. ما الذي نكافح من أجله؟.. أنا سوف أموت قريباً.. ما الذي سوف أتركه خلفي سوى الغبار؟.. لكن الآن سوف لن أموت، ليس قبل أن أنجز مشروعي. وحينها سوف أترك ورائي شيء أبدي.. أترك خلفي حديقة لمن أحببت.. سوف أترك خلفي الكثير من الحدائق.."

".. في البداية كنت أريد أن أوظف عدد كبير من العمال وأتعاقد مع شركة كبرى متخصصة في إصلاح الأرض وتصميمها. أردت التعاقد مع موظفين يرعون النباتات. لكن بعدها خطرت لي فجأة. أي نوع من الجمال سوف يتجرد من الحياة إذا لم تخلقه لنفسك. ولهذا السبب قررت جعلها بهذه الطريقة الحالية، أي أن يخلقها أناس لأنفسهم. لهذا السبب أنا أعرض عليكم قطع الأرض والمنازل، وكل ما أطلب في المقابل هو الجمال الذي سيحيط بمن أحبه.."

".. أنتم لم تصدقوا بأن الشروط المعروضة في العقود هي صادقة.. أنتم لم تعرفوا ما الهدف الذي جعل الجهات المختلفة تعرض عليكم هذه العقود. لكنكم أصبحتم تعرفون الآن.."

عند هذه النقطة سكت "جون هايتزمان". والناس الواقفين عند الممرات سكتوا أيضاً. أول من كسر الصمت هو المرأة التي أعلنت عن تشككها بالمشروع. أسرعت إلى صف الطاولات بالقرب من خشبة المسرح حيث العقود ملقية عليها، ثم طلبت من أحد السكرتيرات إدخال اسمها إلى أحد نسخ العقود، ثم وقعت عليها دون أن تقرأ ما فيها. ثم استدارت باتجاه الجمهور الواقف وقالت:

".. ها أنا قد وقعت العقد. أنا أول من وقع. هذا يعني أنني سوف أدخل التاريخ، لأنني الأولى. عندما تفكرون بالمسألة، لم يقدم أي رجل، مهما كان ثرياً، على منح حبيبته هدية كهذه، كما فعل هذا الرجل الواقف هناك على المسرح. وإنه يستحيل عليه فعل أكثر مما فعل.."

ثم صاحت امرأة أخرى: *".. لا أحد يمكنه التفكير بفعل المزيد في كامل التاريخ البشري المكتوب.."*

وصاحت امرأة ثالثة: *".. أنا أحبك.."*

وأعلنت امرأة رابعة: *".. أنا أريد قطعة أرض بجانب حبيبتك.. ما هو اسمها؟.."*

قال هايتزمان: *".. اسمها؟.. ربما من الأفضل أن لا تعلم. دعوها تظن بأنها إرادة قدرية.."*

مع القليل من الجيشان، توجه الناس في الصالة نحو صف الطاولات بجانب المسرح. ثم تشكل طابور. راح بعضهم يمازح البعض الآخر، ينادون بعضهم بكلمة جار، لكن الأغلبية، خصوصاً النساء، استمروا في تحديقهم إلى الرجل الجالس عند المسرح مع لمعان المحبة في عيونهن.

للمرة الأولى في حياته، شعر "جون هايتزمان" بطاقة المحبة موجهة إليه. طاقة الحب والبهجة الصادقة تنبعث من قلوب الكثير من البشر. طاقة منتصرة كلياً، باستطاعتها علاج أي مرض. مشى إلى خارج المسرح، دون أن يعرج أو يتلوى في مشيته.

لعدة شهور راح يشارك شخصياً في إدارة عملية إزالة المنشآت المتبقية في الأراضي التي اشتراها. وناقش في تفاصيل التصاميم العائدة للتجمعات السكنية حول منزل "سالي"، وكذلك تصاميم متنوعة لحدائق القطع الأخرى، وبالإضافة إلى البنية التحتية لكامل المكان.

بعدها بسنة، عندما تقدم "جون هايتزمان" نحو البوابة المؤدية إلى كوخ "سالي"، على أبعد ما يمتد النظر، كان الناس يزرعون الشتلات الصغيرة من أجل حدائقهم الكبيرة. بعض الشتلات كانت واقفة قرب بوابة "سالي" وجذورها منظمة بترتيب. يبدو وكأن "سالي" شعرت من خلال حدسها بأنه قادم، فركضت إلى الخارج لاستقباله. قالت وهي مبتهجة: *".. جون! إنه جميل جداً أن أراك مرة أخرى! جميل جداً!..* مرحباً *يا جون.."*

ركضت نحوه تقفز ولو أن في حذائها نابض، نشاطها وسعادتها جعلاها تبدو ولو كأنها فتاة صغيرة. التقطت يد "جون" وشدته معها ليتناولا فنجان شاي، وراحا يتسامران بسعادة طوال الوقت ودون توقف. قالت له: *".. هل تعلم ماذا يحصل يا جون؟! هل تعلم أن معجزة حصلت ولازالت تحصل في*

هذا المكان! أنا سعيدة جداً! سوف لن يعد هناك دخان معامل بجوار منزلنا. سوف يكون هناك جيران جيدين! أنظر كيف تتأنق الحياة في كل مكان حولنا! إذا كنت تواجه أي فشل في العمل يا جون لا تقلق، لا تشغل رأسك الصغير بخصوص ذلك. يمكنك أن تضحك في وجهها وتأتي لتعيش معنا هنا. لقد أصبحنا أغنياء الآن. لقد حصل ابننا على عقد عمل كبير جداً، وأنا أعني ضخم جداً! هو الآن مسؤول عن مشروع كامل للتخطيط والتصميم. وقد حصلنا على المزيد من الأرض. ابننا سوف يبني لنفسه منزل جديد. ونحن الاثنين، إذا أردت، يمكننا العيش هنا.."

أجابها جون: *".. أنا أريد بكل تأكيد.. شكراً يا سالي على دعوتك.."*

ظهر بعدها صوت من وراء "جون هايتزمان" قائلاً: *".. لكن لماذا تستمرون في العيش في منزل قديم؟.."*. استدار جون إلى الوراء وشاهد ابنه. لقد عرف مباشرة بأنه ابنه. واستمر الرجل الشاب بكلامه قائلاً: *".. إذا كان فهمي صحيح، لا بد من أنك تكون أبي.. عندما أخبرني جورج الصغير بأنك ظننت بأن الصورة في المنزل الصغير هي له، عرفت من جاء إلينا في المرة الماضية. ووالدتي لم تتعلم أبداً كيف تخفي مشاعرها الحقيقية.."*

".. أنا طبعاً لم أملك نفس المشاعر تجاهك كما هي الحال مع أمي، لكن من أجل سعادة والديّ، أنا مستعد لأن أدفع تكاليف بناء منزل جديد لكليكما.."

قال جون هايتزمان، الذي كادت تتغلب عليه العواطف: *".. شكراً يا بني.."*. أراد أن يحتضن ابنه، لكن لسبب ما تردد. تقدم نحوه الرجل الشاب ومد يده وقدم نفسه: *".. أنا جون.."*

قالت سالي: *".. عظيم!.. إنه عظيم أنكما التقيتما وتعرفتما على بعضكما البعض. عندما تعرفان بعضكما أكثر سوف تحبان بعضكما البعض. لكن دعونا الآن نتناول الشاي.."*

وخلال جلوسهم على الطاولة استمرت "سالي" في الكلام دون توقف عن الأحداث الاستثنائية التي تحصل عبر الشهور الماضية.

راحت سالي تكمل كلامها بخصوص ما يحصل قائلة: *".. هل يمكنك التخيل يا جون؟ فقط تخيّل! يتحدثون هنا عن قصة يمكنها أن تكون الأجمل في العالم. قصة تتحقق على أرض الواقع. فقط تخيّل يا جون، يقول الناس بأن كل هذه الأراضي تم شرائها من قبل شخص واحد. ثم قام هذا الشخص بدعوة أفضل المصممين والمهندسين الزراعيين والبستانيين وأعطى كل منهم عدة فدادين من الأرض مجاناً ولاستخدامها لباقي حياتهم. طلب منهم أن يجعلوا قطع الأرض لديهم جميلة. وقدم لهم كافة البذور والشتلات مجاناً، وسوف يستمر بدفع الرواتب لهم لمدة خمس سنوات مقابل تجميل أرضهم. فقط تصوّر، هو الذي سوف يدفع لهم. أسرف كامل مدخراته في هذا المشروع، حتى آخر قرش لديه.."*

قاطعها "هايتزمان" معترضاً: *"..حسناً، ربما ليس كل أمواله.."*

أكملت "سالي" قائلة: *".. يقول الناس بأنه صرف كامل أمواله في المشروع.. وهل تعرف لماذا فعل هذا كله؟.."*

سألها "جون هايتزمان" بهدوء: *".. لماذا؟.."*

أجابته "سالي" متحمسة: *".. هنا يكمن جمال القصة. فعل ذلك لكي تستطيع المرأة التي يحبها أن تعيش وسط كل هذا الجمال. قالوا بأنها مصممة حدائق أيضاً. وفي مكان ما في المحيط هنا لديها كوخ أيضاً. لكن لا أحد يعرف من هي وأين تعيش. هل تستطيع أن تتخيل يا جونيكنز ماذا سيحصل لو عرف الناس من هي؟.."*

سألها "حون": *".. ماذا سيحصل؟.."*

أجابته "سالي" قائلة: *".. وماذا غير ذلك؟ الكل سوف يرغب في الذهاب وإلقاء نظرة عليها وحتى يلمسها كما لو كانت آلهة. أنا بنفسي مثلاً، قد أرغب في لمسها. من الممكن أنها امرأة استثنائية. ربما هي استثنائية من الخارج، أو ربما من الداخل. الجميع هنا يقول بأنه ما من امرأة في العالم*

يمكنها أن تلهم رجل ليتخذ هكذا خطوة غير عادية وجميلة. لهذا السبب يريد الجميع رؤيتها وحتى لمس هذا الرجل وزوجته الاستثنائية.."

قال "جون هايتزمان" مؤكداً: *".. ربما سوف يفعلون ذلك، لكن ماذا علينا أن نفعل حيالها يا سالي؟.."*

سألته "سالي" متعجبة: *".. ماذا تعني بنحن؟.."*

قالها "جون هايتزمان" وكأنه يردد الشعر: *".. أنا أقول نحن، لأن تلك المرأة الاستثنائية، تلك التي يجري كل شيء هنا من أجلها، هي أنت يا سالي.."*

حدقت "سالي" إلى "جون" دون أن ترمش، محاولة أن تفهم ما سمعته للتو. عندما توضحت لها لمحة مما فهمته، أفلتت الفنجان الذي بيدها، لكن لا أحد انتبه لصوت تكسره إلى أجزاء. أدار "جون هايتزمان" رأسه باتجاه صوت آخر، وهو صوت وقوع الكرسي، عندما انتفض ابنه من الكرسي. أسرع "جون" الصغير إلى والده وقال بانفعال، وبصوت جهير ناعم: *".. أبي! أبي! هل يمكنني معانقتك؟.."*

كان "جون هايتزمان" أول من عانق ابنه. كان قادر على سماع صوت دقات قلب ابنه وهي تتسارع. وعانقه ابنه بالمقابل، هامساً بانفعال: *".. لم يشهد العالم من قبل هكذا إعلان قوي عن الحب، دون حتى استخدام كلمة الحب. أنا فخور بك يا أبي! أنا سعيد جداً من أجلك يا أبي.."*

عندما التفت الأب وابنه نحو "سالي"، كانت لازالت تحاول استيعاب ما حصل. امتلأت وجنتاها فجأة بالأحمر، واستقامت التجاعيد حول عينيها. وراحت الدموع تسيل على خديها. شعرت "سالي" بالحرج. أسرعت إلى "جون" الكبير وأمسكت بيده وقادته نحو درج الشرفة. راقب الابن والديه، يسيران عبر ممر وسط الحديقة، ماسكين أحيديهما، متوجهان إلى أعشاب الأكاسيا التي تخفي خلفها المنزل الصغير العائد لطفولتهما، ثم راحا يقفزان عبر الأعشاب كما الأولاد الصغار.

بعدها بعشر سنوات كان "جون هايتزمان"، والذي يبدو أصغر بكثير من قبل، يجلس على البار في إحدى المقاهي المحلية برفقة بعض الرجال من جماعة المنطقة. راح يضحك شارحاً:

".. لا، لن أترشح إلى منصب الرئاسة، لا تحاول إغرائي. هي ليست مسألة العمر. ليس ضروري أن تكون رئيس لكي تتحكم بالبلد. هذا أمر تستطيع فعله بينما أنت تقبع في حديقتك الخاصة. اقد أثبتم من خلال مثالكم كيف يمكن أن تعيشوا حياة جيدة. وكامل أمريكا الآن تتحول إلى حديقة مزدهرة. إذا استمر الوضع على ما هو الآن، سوف نسبق روسيا.."

دخلت "سالي" وهي تردد: *".. سوف نحقق ذلك! سوف نحقق ذلك!.."*، ثم توجهت إلى "جون" وقالت: *".. دعنا نتوجه الآن إلى المنزل يا جونيكنز. الطفل الصغير يرفض أن ينام من دونك.."*، ثم أضافت هامسة في أذنه: *".. ولا حتى أنا.."*

وهكذا انطلقا يمشيان باتجاه المنزل، تحت ضلال الأشجار، في طريق تفوح فيه رائحة منعشة. هذان الشخصان اللذان لم يبلغا بعد سن الكهولة: "جون هايتزمان" و"سالي". دائماً في فصل الربيع يبدو الأمر وكأن حياتهما بدأت للتو. كما لو أن الحياة الحقيقية بدأت للتو في أمريكا.

....

الخاتمة

نحن نحاول منذ زمن بعيد معرفة ما هو الحب. لكننا لن نجده من خلال محاولة اقتباس تعريف من كتاب أو قاموس أو ما شابه. الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها بعث الحب الصادق والبسيط والأصيل هو عبر الاختبار العملي، عبر واقع الحب ذاته. هل نحن قادرين أن نكون ودودين مع بعضنا البعض؟ هل نستطيع مسامحة أعدائنا؟ هل نستطيع أن نفعل الخير مع أولئك الذين يستغلونا بخبث ولؤم؟ هل نحن ننوي عيش طريقة حياة فريدة؟ هل نحن مهتمين بالتواضع البسيط للفضيلة؟ هل نرغب في أن تولد سعادتنا من خلال جعل الآخرين سعيدين، بدلاً من التضحية بهم في سبيل سعادتنا؟ هل نريد منزل سعيد؟ هل ننوي تعزيزه من خلال جودة شخصيتنا وتكاملنا الأخلاقي؟

الحب هو نوع من الوعي الفعال الذي ينشط في روح الإنسان. هو شيء له قوة تحريرية ضد طغيان الميول الشخصية الأنانية. هو يضع شيء أكبر منك في الساحة الخارجية لحياتك. هو مكرس لأفعالك ومشاريعك وغاياتك وقناعتك التي فيها خير عام لكل البشرية. الحب هو عاطفة راشدة، وليس الحماسة الغامضة التي تنشط أثناء المراهقة. هو تكريس والتزام دائم وصامد. الحب هو ليس شيء تبقى معه حتى يؤلمك ومن ثم تبتعد عنه. الحب هو ليس الدخول في مواقف مختلفة بهدف الربح أو المكسب أو الارتقاء الاجتماعي. لا يمكن أن يكون هناك أنانية أو مركزية للنفس في الحب الحقيقي. وكذلك، لا يمكن للحب أن يُشترى أو يباع أو يُتاجر به عموماً. إنه يبقى كما كان وسيضل دائماً عاطفة إنسانية نقية. وإذا تم تدنيسه أو تحريفه فسوف يمثل هذا أحد أكثر المحن والنكبات فظاعة والتي علينا مكافحتها خلال فترة وجودنا هنا.

بين مبدأ الحب في داخل روحنا وبين آلية التعبير في حياتنا الخارجية، يوجد تكوين لشخصية غريبة مليئة بمركزية النفس ومليئة بالطموحات المزيفة ومليئة بالتعصب والاستبداد وعدم الاعتدال وعدم التسامح، هذه الشخصية التي نود أن نرعاها ونلبي طلباتها دائماً وإلى الأبد هي ليست فقط شخصية تجلب لنا المآسي والأحزان، بل تكوين هذه الشخصية أنتج أكثر من ثمانية آلاف حرب على مر التاريخ المكتوب. وهذا كثير جداً في الحقيقة. والكثير من هذه الحروب نشبت بحجة الدفاع عن السلام. كما أننا قاتلنا أيضاً بخصوص موضوع الدين وموضوع الأخوية الإنسانية والتي نحتاجها

بشدة. ومع ذلك، بعد أن حصل الذي حصل، ننظر حولنا ونقول: ماذا علينا أن نفعل حيال الأمر؟ هذه فعلاً وضعية رهيبة. وإذا استمرت كما هي سوف تتحول إلى وضعية قاتلة. لذلك علينا أن ندرك بأن كل المساومات التي نجريها في سبيل تلبية رغباتنا الخاصة، كل هذه المساومات لن تقود إلى شيء. هي لم تنجح من قبل ولا يمكنها أن تنجح أبداً.

كل هذا الكفاح الجاري من قبل رؤوس محكومة بالعقيدة المادية التنافسية سوف لن يؤدي إلى مكان سوى القبر. ولا نأخذ معنا عندما نخرج من هذه الحياة سوى ما جلبناه معنا، وهو أنفسنا. لذلك من المفروض أن لا يكون هناك صعوبة بالنسبة للشخص أن يقول لنفسه: فلأجعل هذه الحياة اليومية أكثر سعادة لكل فرد. دعونا نقوم بالأمر بشكل صحيح ولو لمرة واحدة.

إذا كنت تنوي مقاومة سطوة المنظومة المالية التي تقيد حياتك وحياة كل إنسان على هذه المعمورة، فإن الطرق العنيفة في المواجهة لن تنفع. لا يوجد لديك سوى طريق واحدة فحسب، المحبة والتفاني، مع استغناء كامل عن الطموحات الجارفة والأنانية المستبدة. اعتمد على ما يجلبه لك القدر وتقبله وآمن بأنك تحت رعاية كائن عظيم، كليّ المعرفة وكليّ القدرة، يعرف ماذا يفعل ولماذا يفعله، لذلك فهو لن يتركك وحيداً ولن يحرمك من أي شي ضروري لبقائك. دعه يوفر لك مستلزماتك وحاجياتك على طريقته الخاصة. وكل ما عليك فعله من جانبك هو الصبر والانتظار والتأمّل بما هو لصالحك.. وليس التوق إلى ما يمتعك. هناك فرق كبير بين ما هو لصالحك وما هو لمتعتك.

أصبر وانتظر ما يجلبه القدر إليك، ولا تحاول أبداً الخروج إلى الحياة متبعاً الصراع العنيف أو الوسيلة الخبيثة كسبيل للعيش. قد تبدو وسيلة الانتظار بالإيمان غير عملية وسط هذا العالم اللئيم والمهووس، لكنها رغم ذلك أثبتت جدواها بكل جدارة. عندما تؤمن بصدق، سوف تسخّر القوة الإلهية كل ما تحتاجه من ظروف وأشخاص وتوفر لك كافة المستلزمات التي تساعدك في خوض الحياة بسلام. القوة الإلهية واسعة الحيلة، وطريقتها سحرية بكل ما تعنيه الكلمة. من خلال الإيمان بها والاتكال عليها تكون على الأقل قد كسبت نفسك وجنبتها الكثير من الخطايا التي قد تقترفها وما ينتج منها من مآسي وأحزان. آمن واكسب. أعقل وتوكّل. هذه هي وسيلة خلاصك الوحيدة وسط معترك هذه الحياة الدنيوية المؤقتة. أنت لست هنا لجني الأموال ومراكمة الممتلكات واحتلال المناصب، بل لتتعلم وتنمو في مدرسة الحياة.

كان النساك والزهاد في الزمن القديم يتبعون طريقة معينة لفحص مدى إيمانهم. كافة الثقافات القديمة عرفت هذه الطريقة جيداً وآمنت بجدواها. هذه الطريقة طبعاً أصبحت غريبة بالنسبة لنا الآن، في هذا العصر. كان الشخص، عندما يتخذ قرار بأنه يرغب في تقوية إيمانه بالقوة الإلهية، يخرج وحيداً إلى مكان نائي بعيداً في البرية، يحمل معه بعض الماء أحياناً، وأحياناً كثيرة لا شيء على الإطلاق. فيجلس هناك وحيداً مجرداً من أي وسيلة عيش، وينتظر ويتأمّل، تواصله مع الخالق والاتكال عليه يكون قائم دائماً. ينتظر ساعات، ثم أيام، ثم أسابيع، دون أي مؤن من أي نوع. وعندما يعود النساك من خلوتهم الاستثنائية، يكون الناس في انتظارهم ليستمعوا إلى رواياتهم العجيبة. كيف كان يأتيهم الطعام من حيث لا يتوقعون أو يدرون! كيف كانوا يستدلون على مواقع الماء، كيف كانوا يلتقون مع أشخاص عابري سبيل، في منطقة خالية وجرداء بحيث لا يمكن أن يمر منها أحد، فيلبون حاجيات ومستلزمات الناسك مهما كانت. الروايات الأكثر عجباً كانت تتعلق بالحيوانات التي تقدم المساعدة أحياناً! كان البعض يفشلون في تفعيل الإيمان لديهم، فكانوا يعودون مهرولين بعد ساعات أو أيام. لكن هناك البعض الذي سطعت تلك القوة الباطنية داخلهم، لدرجة أن تلك الحياة الجديدة أصبحت ممتعة بالنسبة لهم، فبقوا في خلواتهم حتى مماتهم. أولئك هم النساك القديسين الذين تم تبجيلهم من قبل مجتمعاتهم المحلية. لازالت أسماء هذه النوعية من الناس تُذكر حتى الآن بين كافة الشعوب حول العالم. هكذا طريقة في فحص الإيمان انتهت واندثرت اليوم، في هذا العصر المتطور الذي نحتفل به ببهجة وفرح. لم يعد هناك من يتذكر هذا التقليد حتى، فما بالك ممارسته. القوة الإلهية حاضرة لتلبية كافة حاجاتنا، كل ما نحتاجه لتفعيل هذه القوة بداخلنا هو الإيمان الصادق والمتين، والاتكال الكلي على العالي القدير. أنت لا تحتاج إلى الخروج والاختلاء وحيداً في البرية لكي تفعّل هذه القوة الباطنية التي تلبي كل حاجاتك المعيشية. كل ما عليك فعله هو تفعيل الإيمان بداخلك أينما كنت وكيفما كانت ظروفك المعيشية. الإيمان بوجود قوة إلهية عظيمة ترعاك وتحميك وهي حاضرة دائماً لتلبية حاجاتك الأساسية. تسخر لك الأشخاص وتخلق لك الظروف المناسبة لإتمام الأعمال الضرورية وتلبية كامل حاجاتك. أنا لا أتكلم بناء على كتاب قرأته أو من عقيدة عمياء اعتنقها، بل أستند على تجربة عملية دامت سنين طويلة، وربما سأروي لكم تجربتي في يوم من الأيام.

....

انتهى